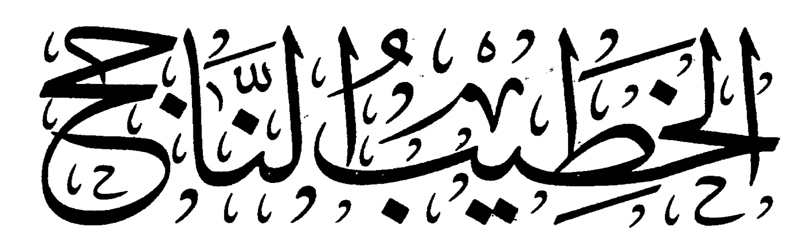


المُناسبات الهِجرية

كتبه

محمد ناجي سنان

عفا الله عنه








الخطيب الناجح

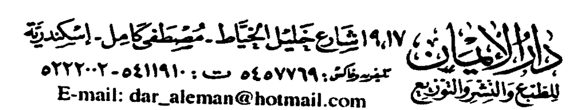


الطبعة الأولي ٢٠٠٨

رقم الإيداع
٢٠٠٧/٨٨٢٢

الترقيم الدولي
977-331-447-2





مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، خير من دعا إلى الله وأرشد ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فهذا الجزء الأول من سلسلة [**الخطيب الناجح**] تحت عنوان [**المناسبات الهجرية**] نقدمها لعامة المسلمين ، ونخص بها أئمة المساجد والمتحدثين على المنابر ، وإن شاء الله ـ إن كتب الله لنا التوفيق والبقاء إلى أجل ـ سوف نتبعها بمواضيع أخرى ، وأما إن غلبت علينا أشغالنا ، أو وافانا الأجل ؛ فإني أطلب العذر من إخواني المسلمين ، وأتمنى عليهم أن يخصوني بدعوة صالحة في ظهر الغيب ، عسى الله أن يرحمني بها ، أو يغفر لي خطيئتي يوم الدين .

وقد يسأل سائل : ما الذي جعلني أكتب في هذا الموضوع وقد غصّت به المكتبات ، وسبقني إليه كثير من المسلمين ؟!.

ورداً على ذلك أقول:

لقد نظرت إلى كثير من تلك المصنفات في هذا الباب ؛ فلم أجد ما يشفي غليلي في هذا الجانب ، أو يسد حاجة المسلمين ، أو حاجة الخطيب الناجح ؛ لأن في أغلبها حشو زائد ، أو قصر مخل ، فقررت ـ مستعيناً بالله ـ أن أضع بين أيديكم هذا الجهد المتواضع ، فإن لقي منكم استحساناً فالحمد لله ، وإن لقي غير ذلك فلا ألومنّ إلا نفسي والشيطان ، والله المستعان وعليه التكلان .

وأخيراً ، أسأل من الله عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان الحسنات ، وأن يكفر به عني السيئات ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه
محمد ناجي سنان
عفا الله عنه
اليمن - تعز

الْجُزْءُ الأَوَّلُ

المُنَاسَبَات الهِجْرِيَّة

الجزء الأول

أحـــداث الهجـــرة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . .

أما بعــــد :

أيها المسلمون: إننا في هذه الأيام نستقبل أول أيام السنة الهجرية الجديدة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، تلك الهجرة المباركة ، التي غيرت مجرى التاريخ في أمتنا العظيمة ، نستعرض من خلالها جزء يسير من حياة الرسول ﷺ في مكة ، وما لحق بها في المدينة من أعمال الهجرة المباركة ، والحقيقة أن الرسول ﷺ لم يكن يريد أن يترك وطنه مكة الذي تربى فيه وترعرع فيه ، لأن فيه ذكريات ، والذكرى تؤرقه ، إذاً أيها المسلمون : إن كل إنسان إذا لم يشعر بالأمن والأمان في بلده ، أولا يستطيع أن يظهر شعائر دينه ، فما عليه إلاَّ أن يترك تلك البلاد الكافرة وينتقل إلى بلاد الإسلام .

والهجرة بهذا المعنى وبهذا الحال ، تكون واجبة على المسلمين كما جاء في الآية الكريمة ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً (٩٩)** ﴾ .

[النساء : ٩٧-٩٩] .

وعليه فإن هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ، كانت من هذا النوع الذي

أشرنا إليه سابقًا ، وإلاَّ لم يكن عليه الصلاة والسلام يريد أن يترك وطنه الذي تربى فيه وترعرع في أرضه وسهوله وجباله ، نستشف ذلك من خلال وفائه لوطنه حينما كان يلتفت إلى مكة ويودعها ، فتدمع عينه حزنًا عليها ، ويقسم بالله ويقول : «**والله إنك لأحب البقاع إلى الله ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت**» والحقيقة أن ترك الأوطان والخروج منها مصيبة كبرى لا يعلمها إلا من ذاق حرارتها ، وعاش الحرمان فيها ، لذلك قرن الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ، ترك الأوطان بالقتل حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ**﴾ [النساء:٦٦]، فدل هذا على أن الإخراج من الوطن الذي تربى فيه الإنسان ، وترعرع بين جوانحه ، وفيه مراتع الشباب وملاعب الصبا، يعتبر ذلك من أعظم شيء على النفس ، كما يقول ابن الرومي في هذا الباب :

ولي وطن آليت ألاَّ أبيعه ... وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمًا ... كثيرة كنعمة قوم في ظلالك
وحبب أوطان الرجال إليهم ... معاهد قضاها الشباب هنالك
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم ... عهود الصبا فحنوا لذلك

خرج ﷺ من وطنه مكة ، شريداً طريداً ، وليس ذلك باختياره أو رغبته وإنما بقوة الكافرين وأذآهم .

حصول الأذى في مكة :

ولما اشتد عليهم البلاء في مكة ، جاءت هذه الهجرة المباركة ، بعد صبر طويل وليل دامس رهيب ، جاءت تحقيقًا لوعد الله القائل﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ۝ ﴾ [القصص:٥] ، جاءت هذه الهجرة المباركة ، بعد أن واجه المسلمون في مكة صنوفًا من الأذى

والتعذيب ، وألوانا أخرى من السخرية والاستهزاء والتأليب ، من ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يُصلي في حجر إسماعيل ، فجاء إليه عقبة بن أبي معيط ، فخنقه خنقا شديدا ، حتى جاء إليه أبو بكر ودفعه عن رسول الله ﷺ وهو يقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، وكذلك حوصروا في شعب أبي طالب حتى أكلوا أوراق الشجر ، ولما اشتد بهم الأذى ، أذن لهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة ، حيث كان هناك ملك عادل لا يُظلم عنده أحد ، ثم توجه ﷺ إلى الطائف يعرض دعوته ، لعله يجد من ينصره أو يؤويه ، ولكنه وجد من أهل الطائف سوءا وأذىً كثيرا ، حتى أنهم أغروا به سفهاءهم وأطفالهم ، أن يرموه بالحجارة ، حتى أدموا قدمه الشريف ، ثم بعد ذلك توفيت زوجته خديجة رضي الله عنها ، ولحق بها عمه أبو طالب ، اللذان كانا يقفان معه في دعوته ، فسمي ذلك العام بعام الحزن ، وذلك لشدة ما رأى من قومه ، كما يقول ابن هشام في سيرته : لما ذهب أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ الشيء الكثير ، حتى لقيه سفيه من سفهاء مكة ، فنثر التراب عنه ، فدخل إلى بيته والتراب على رأسه، فجعلت إحدى بناته تغسل التراب عنه وهي تبكي، فيقول لها : لا تبكي يا بنيتي ، فإن الله مانع أباك، ثم بعد هذا وذاك العلو والاستكبار ، جاء الفرج من الله سبحانه وتعالى ، يأمره بالهجرة إلى المدينة ، تلك الهجرة المباركة التي غيرت مجرى التاريخ ، وقامت على إثرها أعظم حضارة في التاريخ ، وأعظم دولة في المدينة ، أرسى قواعدها محمد ﷺ .

مؤتمر قريش :

وفي مكة لما يئست قريش من دعوته وعودته إليهم ، وإلى دين آبائهم وأجدادهم ، ولم تنفع معه سياسة الترغيب والترهيب ، وكذلك نظروا في هجرته إلى المدينة ، بأنها ستشكل خطراً عليهم وعلى مصالحهم ، وزعاماتهم المتهالكة ، بحيث صار له أشياعًا وأتباعًا ومؤيدين في الداخل والخارج ، عند ذلك اجتمعوا

في دار الندوة ، وعقدوا مؤتمرا خبيثًا حاقداً على الإسلام وعلى الرسول ﷺ ، وحضر معهم في جلستهم الطارئة إبليس اللعين في صورة شيخ كبير ، وفي آخر الجلسة المشئومة اقترحوا عدة اقتراحات ، منها :

الاقتراح الأول: أن يحبسوه ، فلا يلتقي بأحد من الناس ، ولا يكلم أحداً ، ولا يدري عن أحد ، ولا يعلّم أحدا ، فضحك عليهم إبليس ، وقال : هذا رأى غير سديد ، فإن الأفكار والمعتقدات لا يمكن حبسها بأي حال من الأحوال ، ولو حبست أفكاره ودعوته لانطلقت من وراء الحبس والجدران ، وهذا صحيح ، فابن تيمية رحمه الله ، لم يستطيعوا أن يحبسوا أفكاره وهو سجينا في قبضتهم ، ولذلك كان يقول عن نفسه : ماذا يفعل أعدائي بي ، أنا جنتي وبستاني في صدري ، وإن حبسوني ، فحبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة ، ثم خرج من السجن بعد سنوات ، وعنده أكثر من ستين مجلدا ، تدرَّس حتى الآن في كليات وجامعات العالم إلى يومنا هذا ، ولذلك أدرك الشيطان أن هذا الأمر وأن الحبس لا يفيد شيئًا ، فاقترحوا :

الاقتراح الثاني: أن يخرجوه إلى المنفى خارج مكة ، لكي يرتاحوا منه ومن شره ، ومن الزوبعة التي يحدثها في مكة ، فقال لهم الشيطان : لو نفيتموه لأتاكم بعد أيام ، بجيش جرار ، وغزاكم في عقر داركم ، صدقهم وهو كذوب ، فقالوا : إذاً لم يبق إلاّ حل واحد ، ألا وهو القتل ، فصدَّق عليهم إبليس ظنه ، واعتمدوا ختمه ، وقال : الآن أصبتم ، هذا هو الرأي السديد .

الإذن بالهجــــرة :

عند ذلك يأتي الخبر من السماء ، يحمله جبريل عليه السلام، ويكشف المؤامرة الخطيرة ،التي عقدها إبليس مع كفار قريش ، فينزل بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ، وعندها يأتيه الإذن بالهجرة إلى المدينة، ويوصيه جبريل عليه السلام

ألاّ يبيت في فراشه ، فاستجاب النبي ﷺ لهذا الأمر الإلهي من السماء ، وذهب إلى بيت صاحبه أبي بكر رضي الله عنه في وقت الظهيرة ، وهو متقنع في ردائه ، وقص عليه الخبر : بأن الله سبحانه وتعالى قد أذن له بالهجرة إلى المدينة ، فقال أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي :الصحبة يا رسول الله ،الصحبة يا رسول الله، فلقد كان أبو بكر رضي الله عنه حريصًا على أن يرافق أعظم رجل في التاريخ ،ولذلك حشد كل طاقاته وإمكاناته المادية والمعنوية ، وسخرها في خدمة الإسلام ، وفي خدمة محمد عليه الصلاة والسلام ، في هجرته المباركة إلى يثرب ، ولهذا جهز أبو بكر رضي الله عنه :

[١] راحلتين : وقال يا رسول الله : جهزت راحلتين فخذ أحدهما ، فقال عليه الصلاة والسلام : نعم ولكن بالثمن .

[٢] ثم استأجر أبو بكر ، عبد الله بن أريقط ، ليدلهما على الطريق ، فكان عبد الله بن أريقط أعظم دليل سياحي في ذلك الزمان .

[٣] ثم قام أبو بكر بتكليف ابنه عبد الله ، بنقل الأخبار السريعة والمستعجلة إليهما ، وهما في الغار ، فكان عبد الله ينقل الأخبار، أولا بأول ، حيا على الهواء مباشرة ، من موقع الحدث، وكأنه يشبه وكالات الأنباء العالمية اليوم .

[٤] ثم أمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ابنته أسماء : أن تصنع لهما الطعام ، بالوجبات الخفيفة والسريعة ، وترسله إلى الغار ، ولكنها لم تجد ما تربط به كيس الطعام ، فشقت نطاقها نصفين وربطت به ذلك الكيس ، لذلك سميت بذات النطاقين رضي الله عنها .

[٥] ثم أمر أبو بكر ، مولاه عامر بن فهيرة،أن يأتي إليهم بالغنم في المساء ، ليشربوا من ألبانها ، ولكي تزيل بحوافرها آثار الأقدام ، التي عند الغار .

بهذه الأعمال الجليلة ، التي قدمها أبو بكر رضي الله عنه للإسلام ، استحق أن يكون من المبشرين في الجنة ، واستحق أن يرافق أعظم رجل في التاريخ ، محمد ﷺ .

قصتــه في الغــار :

ولما أراد النبي ﷺ أن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ، اجتمع المشركون على بابه يريدون قتله، فأمر عليه الصلاة والسلام علياً،من أن ينام على فراشه تلك الليلة ، ويتغطى ببردته الخضراء ،ثم خرج النبي ﷺ من بين أيديهم سالما غانما بإذن الله ، وهم نائمون ، وقد نثر التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [يس : ٩] ، ثم توجه ﷺ ليلاً إلى جهة اليمن جنوبا إلى غار ثور ، بحيث سلك طريقا معاكسا للمدينة ، وفي ذلك تمويه عن المشركين ، لأن المدينة تقع في شمال مكة ، وغار ثور يقع في جنوب مكة ، نحو اليمن ، يبعد عن مكة ساعة بالأقدام ،ولما وصل ﷺ إلى الغار ، فهناك تنزل الآيات، وتحصل المعجزات ، كما ذكرها أهل السير ، وضعفها بعض العلماء ، من ذلك أن الله عز وجل أنبت شجرة عظيمة على فم ذلك الغار ، ثم ألهم العنكبوت بأن تنسج خيوطها على أغصان تلك الشجرة العظيمة ، ثم ألهم الله عز وجل حمامتين بريّتين بأن تبيضا فوق تلك الشجرة ، ولهذا لما وصل المشركون إلى باب الغار ، أعمى الله أبصارهم وأفئدتهم ، ولم يفكر احدا منهم ، أن يدخل ذلك الغار ، أو حتى ينظر إلى قدمه ، فعادوا إلى مكة بخفي حنين ، ولكن أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان يحترق من أجل الإسلام ، كان شديد الخوف والقلق على رسول الله ﷺ من المشركين ، فقال يا رسول الله: والله لو نظر أحدهم إلى قدمه لرآنا ، فيتبسم النبي ﷺ ويهدئ من روعه ، ويقول له لا تحزن إن الله معنا ، ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ثم نزلت الآيات تؤكد ذلك بقوله تعالى ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

وعليه نقول أيها الأخ الحبيب: إذا واجهتك الشدائد والمحن ، فوصيتي لك أن تقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ وإذا واجهتك المشكلات والفتن ، فما عليك إلاَّ أن ترفع لافتة ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ وهي أحسن كلمة يمكن أن يتسلى بها الإنسان .

معجزات الطريق إلى المدينة :

أما رسولنا عليه الصلاة والسلام ، فقد خرج من الغار سالمًا معافًا ، هو وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه ، في رحلة شاقة إلى المدينة ، يحدوهم الأمل أن يقيموا دولة الإسلام هناك ، وفي الطريق :

مر النبي ﷺ بأم معبد في خيمتها ، فسألها إن كان عندها شيئا من اللبن أو الطعام ، وقد كانت أم معبد مشهورةً بالكرم والضيافة ، لكنها اعتذرت للرسول ﷺوقالت له : ما عندنا شيء غير هذه الشاة الهزيلة ، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فاستأذن النبي ﷺ في حلبها، فأذنت له، فأمسك النبيﷺ بضرعها، ومسح عليه وقال : بسم الله ، فدرَّت لبنًا كثيرًا صائغًا للشاربين، فشرب النبي ﷺ ثم سقى الحاضرين معه جميعًا ، ثم ترك حليبًا كثيرًا لأم معبد ، وقال لها : هذا الحليب إعطه لأبي معبد إذا قدم عليك ، ولما وصل أبو معبد وقصت عليه الخبر ، قال : هذا والله ما يكون إلاَّ صاحب قريش ، ووالله لئن أدركته لأتبعنه .

قصة سراقة بن مالك رضي الله عنه :

أما قريش فقد أعلنت جائزة عظيمة لمن أتى بمحمد عليه الصلاة والسلام حيًّا أو ميتًا، فله مئة ناقة من الإبل ، وبالفعل أخذوا يبحثون عنه ، ويتسابقون إلى تلك الجائزة العظيمة التي أعلنتها قريش ، ولكنهم بعد أيام يئسوا من تحصيله واللحاق به ، أما سراقة بن مالك من قبيلة مدلج ، فقد كان أشدهم ذكاء وأوفرهم حظًا ، فأمر جاريته أن تخرج الفرس من خبائه ، فقد كانوا عربًا شجعانًا ومسلحون ، يعرفون الغارات والقتال ، وفن الرماية والصيد ، وكانوا ينامون في

الصحراء ، ويصارعون الأسود والسباع ، حتى ذكر التنوخي فقال : منهم من صارع الأسد ، ومنهم من صارع النمر حتى قتله ، وغير ذلك مما اشتهر به العرب في الجاهلية والإسلام ، المهم أن هذا الشجاع سراقة بن مالك ، ركب فرسه ولحق برسول الله ﷺ حتى أدركه ، فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله : أدركنا الطلب ، فالتفت رسول الله ﷺ فإذا هو سراقة بن مالك ، فدعا عليه ﷺ ، فساخت أقدام فرسه في الأرض ، ثم زجره ثانية ، لكنها ساخت مرة أخرى ، عند ذلك علم أنه لن يوفق إلى طلبه ، وأن الله سيحميه ، وأنه رسول مؤيد من عنده ، فطلب الأمان من الرسول ﷺ وناداه بقوله : يا محمد ، أنا سراقة بن مالك ابن جعشم ، لا يأتيكم مني سوءا تكرهونه ، ولكن أريد الأمان ، فدعا له النبي ﷺ فعادت فرسه كما كانت .

الله أكبر إنها الآيات ، جاء في الصباح يطلبه أسيرا لقريش ، والآن يطلب الأمان لنفسه ، ثم بشره الرسول ﷺ بقوله كيف بك يا سراقة إذا سورت بسواري كسرى ، فقال سراقة متعجبا : كسرى بن هرمز؟! قال : نعم ، كسرى بن هرمز فازداد عجبا من هذا الرجل الذي خرج شريدا طريدا من أهله ووطنه ، لا يجد كسرة خبز يأكلها ، وهو ضائع في الصحراء ، ومعه دليل يدله على الطريق ، ومع ذلك يقول : سوف أنتصر ، وسوف أقيم دولة الإسلام ، وسوف أهزم كسرى وقيصر ، أكبر حاكمين في العالم آنذاك ، إنه لعجبٌ ، ثم دارت الأيام وفتح الله دولة فارس للمسلمين ، وجاءت الغنائم من هنا وهناك ،في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان فيها سواري كسرى ، ذلك الوعد الذي أوصى به النبي ﷺ لسراقة ابن مالك ، فأخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وألبسه ذلك السوار تنفيذا لوعد رسول الله ﷺ ، وأمره أن يطوف به في المدينة راكبا وهو يقول :

الحمد لله الذي ألبس سراقة بن جعشم ، أعرابيًا من بني مدلج ، سواري كسرى .

استقبال الرسول ﷺ في المدينة :

أما الرسول ﷺ فقد استمر في هجرته إلى المدينة ، والقرآن معه والله يكلاه بحفظه ورعايته ، والتاريخ يستقبله ، والناس في المدينة ينتظرونه ، وينتظرون يوما موعودا مع الرسول ﷺ ، ليصل بهم إلى بر الأمان ، ولينشر العدل والسلام في العالم الحيران ، وينهي الظلم والإثم والعدوان ، كما يقول الشاعر:

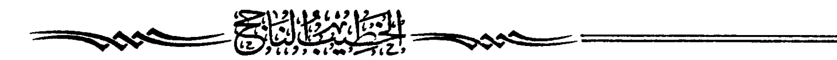
والدهـــر مـشـتـاق وأمة أحـــمـد يـتـهـيـأ الـتـاريـــخ لاسـتـقـــبـالـهـا

ولما أصبح النبي ﷺ على مقربة من المدينة ، طارت الأخبار إليهم تسبق نسيم الصباح ، فخرج أهل المدينة عن بكرة أبيهم ، أطفالاً وشيوخًا ونساء ، يستقبلون أعظم رجل في التاريخ ، فكانوا يخرجون كل يوم في الصباح الباكر إلى أطراف المدينة ، ثم يعودون إلى منازلهم في وقت الظهيرة ، حتى كان اليوم الثالث من خروجهم ، صعد يهودي من يهود المدينة على رأس نخلة عظيمة ، وشاهد النبي ﷺ يأتي من مكان بعيد ، فقال ذلك اللئيم: يا بني قِيله هذا جدكم قد حضر ، ويقصد بذلك الأنصار ، لأن أمهم كانت تسمى قيله فتواثب الأنصار لاستقباله ، وارتجت المدينة فرحا بمقدمه ﷺ ، ولذلك يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : والله الذي لا إله غيره ، ما كنت أظن أن الفرح يبكي أحداً حتى رأيت الأنصار يبكون من الفرح ، يوم شاهدوا محمد ﷺ ، فخرج الأطفال والشيوخ والنساء لاستقباله ، وأخذوا يعبرون عن فرحهم وبهجتهم بالنشيد الجميل ، الذي سجله التاريخ بسطور من ذهب :

طلع البدر علينا من ثانية الوداع وجب الشكر علينا ما داع لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع جئت شرفت المدينة جئت يا خير داع

فاكتست المدينة حلة خضراء ، وسادها الأمن والخير والسلام ، وقامت فيها أعظم دولة للإسلام ، التي أرسى قواعدها محمد عليه الصلاة والسلام .



إقامة النبي ﷺ في المدينة :

ثم توجه بعد ذلك بناقته القصوى ، نحو المكان الذي أسس فيه مسجده الشريف ، فكانت قبائل الأنصار تستقبله قبيلة ، قبيلة ، وترحب به ، وتريد أن تأخذ بزمام ناقته ، وهو يقول لهم دعوها فإنها مأمورة الله أكبر حتى تلك الناقة مأمورة ، لا تريد أن تتخذ قرارا أحاديا ، إلاَّ بأمر من الله ، أو أمر من رسوله ﷺ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ [النجم :٣-٤] ، ثم سارت تلك الناقة الذكية ، إلى ساحة لبني النجار ، أخوال النبي ﷺ ، فبركت قليلا ، ثم قامت فدارت دورة تعبدية ، لأنها مأمورة ، كأنها تريد أن تضع البوصلة في مكانها الصحيح والمناسب ، وتحدد بذلك حيث يكون المسجد ، ثم ينزل عليه الصلاة والسلام من على راحلته ، وقد أخذ أبو أيوب الأنصاري بخطام ناقته، فغبطه الناس على هذه الكرامة والضيافة، وهنؤه على تلك المزية العظيمة ، وقد كان أبو أيوب وزوجته أم أيوب، يتبركون بآثار النبي ﷺ، فكانوا يتبركون بآثار أصابعه وفضل طعامه، عندما يعود إليهم رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ولهذا كان النبي ﷺ يقول: « **لولا الهجرة لكنت امرئ من الأنصار** » ، فنسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المهاجرين في سبيله ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .



ما يستفاد من الهجرة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . .

أما بعد ،أيها المسلمون:

تحدثنا معكم في الموضوع السابق عن الهجرة النبوية إلى المدينة ، وعن أحداثها التاريخية ، واستعرضنا فيها حياته ﷺ في مكة قبل الهجرة ، التي تسمى بالمرحلة المكية، أو مرحلة الأذى والاستضعاف ، وذلك لشدة ما لاقاه ﷺ من قومه وعشيرته الأقربين ، حتى أذن الله سبحانه وتعالى له بالهجرة إلى المدينة المنورة ، تلك الهجرة المباركة التي تمخض عنها سيرته العطرة ، بذكر حياته التاريخية الهجروية ، وما حصل له في الغار من آيات ومعجزات ، وما دار بينه وبين سراقة بن مالك ، وأُمّ معبد في خيمتها، من أخبار ومحادثات ومهاتفات ، وكذلك ذكرنا لكم عند وصوله إلى المدينة المنورة ، كيف عاش أهل المدينة يومهم ذاك ، فخرج الأطفال والشيوخ والنساء ، لاستقباله ﷺ، وارتجت المدينة بهتافات المستقبلين والمرحبين ،حتى أقسم أنس بن مالك رضي الله عنه، أن الأنصار يوم ذاك فقدوا توازنهم ورجاحة عقولهم من شدة الفرح ، فيقول رضي الله عنه : والله الذي لا إله غيره ، ما كنت أظن أن الفرح يبكي أحداً ، حتى رأيت الأنصار يبكون من الفرح يوم أن شاهدوا محمد ﷺ .

ونحن بهذا الصدد ، وبهذه المناسبة، لا نريد أن نعيد هذه المواقف والأحداث عليكم ، ولكن نريد أن نخرج بالفوائد والعبر التي استقيناها من هذه الهجرة المباركة ، والتي منها أولا:

الدرس الأول: معلوم أن سياسة الأذى والتعذيب وفتح السجون والمعتقلات،

لا يزيد ذلك أصحاب الدعوات الحقة ، إلاَّ ثباتًا على دينهم وعقيدتهم ، نستشف ذلك من خلال ثبات المؤمنين في مكة قبل الهجرة ، وهم يعذبون تحت السياط والنار ، وما ردهم ذلك عن دينهم وعقيدتهم ، فيقول النبي ﷺ لعمه أبو طالب :والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته أو أهلك دونه وكذلك سياسة التجويع والتخويف ، والحصار الاقتصادي ، لا ينفع مع المؤمنين الذين آمنوا بربهم وازدادوا إيمانا إلى إيمانهم ، فقد صبروا في شعب أبي طالب ثلاث سنوات ، دون الأ يجبى إليهم قفيز ولا درهم ، ومنعت قريش عنهم الإمدادات والمساعدات الغذائية والمادية والعينية ، ومع ذلك فقد كانوا أوفياء لدينهم وعقيدتهم ، مخلصين لربهم ، قابلوا تلك المحن والشدائد ، بصبر وثبات وعزم عنيد ، وعندما أشار لهم النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة ، تركوا ورائهم في مكة المال والأهل والوطن ، من أجل أن يبقى لهم الإسلام .

أما أهل المدينة الذين وقفوا موقف الرجال ، وأيدوهم ونصروهم ، فقد مثَّلوا جانب الأخوة والإسلام ، في أروع صوره وأبهى حلله ، وعليه فإنما يلاقيه الدعاة إلى الله اليوم ، والمجاهدون في سبيله ، سُنَّة كونية إلهية ، تحقيقا لقوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ③ ﴾[العنكبوت ١-٣] .

وقال تعالى في آية أخرى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

الدرس الثاني: إنه يجوز للمسلمين أن يتركوا ديارهم وأوطانهم ، إذا لم يستطيعوا أن يظهروا فيها شعائر دينهم ، كالصلاة والصوم والحج والآذان وغيرها من العبادات ، فهذا النبي ﷺ ترك مكة ، وهي أحب البقاع إلى الله ، كما قال

ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت فترك الصحابة رضوان الله عليهم ، المال والأهل والوطن ، من أجل أن يبقى لهم الإسلام ، وهاجروا إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، وفيهم عثمان بن عفان، وجعفر بن أبي طالب ، ومصعب بن عمير ، والزبير بن العوام ، وصهيب الرومي ، الذي تبعه المشركون وقالوا له: والله لا ندعك تذهب أبداً ، وقد جئتنا صعلوكًا لا أهل لك ولا مال ، فقال لهم: وهل إن دللتكم على مالي ستخلون سبيلي؟ ، قالوا: نعم ، فقال: إن مالي في مكان كذا وكذا ، ثم ولى مهاجرا إلى الله ، فلما وصل إلى المدينة ، ورآه النبي ﷺ قال له : «**ربح البيع أبا يحيى** » .

إذاً يجوز للمسلمين في مرحلة الاستضعاف ، أن يدخلوا في حماية غير المسلمين، وبالأخص إذا كان أولئك الكفار من أهل العدل والإنصاف، كالنجاشي مثلاً ، ذلك الملك العادل الذي هاجر إليه المسلمون ، فآواهم وأيدهم ونصرهم ، رغم أن قريشًا أرسلت إليه بهدايا كثيرة ، تريد منه أن يعيدهم إليها مرة أخرى ، لكنه رفض أن يسلم أحدا من المسلمين حتى يسمع منهم ، في شأن دينهم الجديد ، فقال لهم: ما هذا الدين الجديد الذي أتيتم به ، وفارقتم به دينكم ودين آباءكم وأجدادكم؟ فتحدث إليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال: أيها الملك الذي لا يُظلم عنده أحد ، نحن قوم كنا في جاهلية عمياء ، نعبد الأصنام ونأتي الفواحش والآثام ، ونقطع الأرحام ، ونسيئ الجوار ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف أمانته وصدقه وعفافه ، ودعانا إلى عبادة الله لا شريك له ، وأن نخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من قبل من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وصلة الرحم وأداء الأمانة ، فصدقناه وآمنا به ، واتبعنا النور الذي جاء به ، فتصدى لنا قومنا وظلمونا ، وقهرونا وضيقوا علينا ، فهاجرنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألاَّ نُظلم عندك ، ثم قرأ عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، صدراً من سورة مريم حسب طلبه ، فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته ، ثم قال لهم: إن هذا الذي جئتم به

والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، ثم رد إلى قريش هداياهم التي بعثوا بها إليه ، وزاد استمساكه بالمسلمين الذين هاجروا إليه .

الدرس الثالث : من دروس الهجرة المباركة : الحكم على مشروعية الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، وأنها واجبة إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يظهر شعائر دينه ، في بلده الذي يعيش فيه، وعليه فإن الإقامة في بلاد الكفار ، وعدم الهجرة منها ، يعتبر كبيرة من الكبائر ، لأن الرسول ﷺ يقول : «**أنا بريءٌ ممن يقيم بين أظهر المشركين**» ما عدا أهل الأعذار الذين عفا الله عنهم بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩)** ﴾ .

[النساء ٩٧-٩٩] .

وأما أولئك الذين استقروا في بلاد الكفار وهم قادرون على الهجرة منها ، فقد تسقط منهم ولاية المؤمنين ، استنادا إلى قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا** ﴾ [الأنفال : ٧٢] ، وكذلك يجب أن تكون الهجرة لله وفي سبيل الله ، فالذي ينوي بهجرته المتاع الفاني ، أو عرض من الدنيا قليل ، لا شك أن هذه نية سافلة حقيرة ، يبين ذلك ما رواه أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه** » فقد ضرب النبي ﷺ في هذا الحديث مثلا لذلك الذي نوى بهجرته ، أن يخرج من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ، ومن نار المعصية إلى رحاب الإيمان ، وبين ذاك المهاجر الذي خرج من أجل الدنيا ، أو

عرض منها قليل ، قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإسراء : ١٨-١٩] .

الدرس الرابع : نستفيد منه ، ذلك الموقف البارز والشجاع ، الذي لعبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في هذه الرحلة الشاقة ، فقد جنّد نفسه وجميع أفراد أسرته لخدمة الدعوة ورسول الدعوة ، وهذا في حد ذاته يعتبر شجاعة وإقدام ، وتضحية في سبيل الإسلام ، لقد جند أبو بكر رضي الله عنه أمواله ونفسه، وابنه عبد الله وابنته أسماء ، وراعي أغنامه عامر بن فهيرة ، فكان عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، يأتيهم بالأخبار عن قريش أولا بأول ، وكانت ابنته أسماء تصنع لهم الطعام ، ثم ترسله إليهم ، لذلك دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ، وسميت بذات النطاقين ، ولهذا فقد رأينا كيف قدَّم أبو بكر نفسه فداء لرسول الله ﷺ ، حينما سبقه إلى الغار ، خشية أن يصيبه سوء أو مكروه ، وكان شديد الخوف والقلق على رسول الله ﷺ من المشركين ، فقال يا رسول الله: والله لو نظر أحدهم إلى قدمه لرآنا ، فأجابه بقوله : « **لا تحزن إن الله معنا ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما** » ولقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، على مستوى رفيع ، ومزية عالية ، إذ نزل فيه وبصاحبه قرآن يتلى إلى يوم القيامة : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

وقد استنبط العلماء من ذلك ، مدى الحب الذي يكنُّه رسول الله ﷺ لأبي بكر ، وأنه أقرب الناس إليه ، وأولاهم بالخلافة من بعده ، كما يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : « **لو كنت مُتخذاً أحداً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً** » وعليه يجب أن يتخذ المسلمون جميعا أبو بكر رضي الله عنه قدوة لهم ، في

حبه لرسول الله ﷺ ، وتضحياته في سبيل الإسلام ، إذاً فلا يكفي أن يكون الإنسان منطويا على نفسه ، مقتصرا على عباداته ، بل يجب عليه أن يستنفد كل طاقاته وإمكاناته ، لخدمة دينه وأمته ومجتمعه ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الدرس الخامس: الإيمان بالمعجزات الحسية وعدم التكذيب بها ، فقد رأينا كيف أحاط المشركون برسول الله ﷺ في بيته ، يريدون قتله ، فخرج من بين أيديهم سالما وقد نثر التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ** ﴿٩﴾ ﴾ [يس : ٩] ، وكذلك من أبرز المعجزات الحسية في هذه الهجرة المباركة ، قصة أم معبد ، لما مرّ النبي ﷺ بخيمتها ، وعندها شاة هزيلة ، لا تحلب ولا تلد ، فاستأذن الرسول ﷺ بحلبها فأذنت له، فدرت حليبًا كثيرًا ، فشرب منه ﷺ وسقى الحاضرين معه ، حتى شربوا جميعًا ، ثم ترك حليبًا كثيرًا لأبي معبد ، أما حديث سراقة الذي لحق برسول الله ﷺ يريد تسليمه لقريش حيًا أو ميتًا، مقابل جائزة عظيمة، أعلنتها قريش لمن يأتي به حيًا أو ميتًا ، فقصته معروفة ومشهورة ، وقد اتفق أئمة الحديث على صحتها ونقلها ، وأنها معجزة من معجزاته ﷺ، فما جرى له مع سراقة بن مالك دليل على صحة الهدف ، الذي كان يحمله ويدعو إليه ، فعندما خرج شريدا طريدا يخشى على نفسه الهلاك ، ومع ذلك يعد سراقة بسواري كسرى، فيقول له : « **كأني بك يا سراقة تلبس سواري كسرى** » ، فقال سراقة متعجبا : كسرى بن هرمز!؟ قال: « **نعم** » ، كسرى بن هرمز ثقة ما بعدها ثقة ، ثقة بوعد الله القائل ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج : ٤٠] ، ثقة ويقين ، بنصر الله الموعود ، وأن الله بالغ أمره ، والذي يجب أن نستفيده من هذه العبر ، ألاّ يتسرب اليأس إلى نفوس أبناء هذه الأمة ، وألاّ تنثني أمام تلك المحن والعقبات ، لأن فيها عناصر القوة وعوامل البقاء والاستمرار.

الدرس السادس: قريش وموقفها العجيب والمتناقض من الرسول ﷺ ، ففي

الوقت الذي كانوا يتهمونه بالكذب والسحر والكهانة والجنون ، كانوا مع ذلك يضعون عنده أموالهم وحوائجهم ، التي يخافون عليها ، ويسمونه الأمين ، يظهر ذلك من خلال تخليفه لابن عمه ، على بن أبي طالب رضي الله عنه في مكة ، ليرد الودائع والأمانات ، التي كانت عنده لأهل مكة ، وفي هذا استنبط العلماء على أنه يجب الوفاء في الحقوق والواجبات ، وعدم استحلالها ، حتى لو كان ذلك مع الكفار ، استنادا لقوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا** ﴾ [المائدة : ٨] ، ولهذا كان نبينا عليه الصلاة والسلام مشهود له بالعفة والصدق والأمانة ، حتى من أعدائه الذين وقفوا في طريقه ، فقد جعلوه حكما بينهم في مسألة وضع الحجر الأسود ، وشهدوا على أنفسهم أنه من الصادقين ، لما جمعهم في بطن مكة ، وقال لهم : « **أرأيتم لو أخبرتكم أن وراء هذا الجبل ، جيش يريد أن يغير عليكم ، أكنتم مصدقي ؟** » قالوا : نعم ، ما عهدنا عليك كذبا قط،ولكنهم في المقابل، لما دعاهم إلى الإسلام ، وأنه رسول إليهم من رب العالمين ، قالوا عنه كذاب وساحر ومجنون ، وهو الصادق الأمين ، ولكن أين المسلمون الآن من هذا الخُلق الكريم ، الذي تمتع به الرسول ﷺ ، ومن هذه الأخلاق : الأمانة التي عرضت على السموات والأرض ، وناء بحملها الجبال والشجر والدواب ، وغيرها من الجمادات ، فالآن في آخر الزمان ، قد ضيعت الأمانة ، كما قال ﷺ : « **إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة** » .

الدرس السابع: الاهتمام في بناء المساجد وعمارتها : فقد كان أول عمل قام به النبي ﷺ بعد الهجرة عند وصوله إلى المدينة ، هو بناء مسجده الشريف ، وذلك لما فيه من أسس وركائز لبناء المجتمع المسلم ، وتوحيد صفوفه وترسيخ أواصر الأخوة والمحبة بين المسلمين ، وقيل أن مسجد قباء ، هو أول مسجد تم تأسيسه على التقوى بعد الهجرة المباركة ، كما قال تعالى : ﴿ **لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)** ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

وعن عائشة ﵂ أنها قالت: لبث رسول الله ﷺ عند وصوله دار الهجرة، في بني عمرو بن عوف، بضع عشرة ليلة، وأسس مسجد قباء الذي أسس على التقوى، وصلى فيه ثم ركب راحلته، فسار يمشي والناس معه، حتى بركت ناقته عند مسجده عليه الصلاة والسلام، رواه البخاري في باب الهجرة.

فكان تأسيس مسجده عليه الصلاة والسلام حيث بركت ناقته، في تلك البقعة المباركة، التي كانت مملوكة لغلامين يتيمين في المدينة من بني النجار، فساومهما رسول الله ﷺ على بيعها بعشرة دنانير، وكان فيها شجر ونخل وقبور لبعض المشركين، فأمر رسول الله ﷺ بتلك القبور فنبشت، وبتلك النخيل والشجر فقطعت، ثم بنى ﷺ مسجده باللّبن، وسقفه بالجريد، وكان ﷺ يباشر البناء مع أصحابه بنفسه، وينقل معهم الحجارة وهو يقول:

اللهم لا عيش إلاّ عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

والذي يظهر لنا من ذلك، أن مسجد الرسول ﷺ كان متواضعا في بنائه وتأسيسه، لكنه كان مليئا بالمصلين والطائعين، عامرا بذكر الله والتائبين، أما مساجدنا اليوم، فهي عظيمة البناء واسعة الأرجاء، ولكنها خالية من العباد، وقد هجرها كثير من الناس اليوم، واتخذوا سبيلا غير سبيلها، فهناك من الناس من لا يحضر المسجد في الأسبوع إلاّ مرة واحدة، ألا وهو يوم الجمعة، ومنهم من لا يحضره في السنة إلاّ شهرًا واحدًا، وهو شهر رمضان، ومنهم من لا يدخله في عمره إلاّ مرة واحدة، حين يأتي محمولاً على الأكتاف، ليُصلى عليه، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

الدرس الثامن: التآخي بين المسلمين: فمنذ الوهلة الأولى من وصوله ﷺ إلى المدينة واستقراره فيها، عمل أولاً على إقامة مجتمع إسلامي راسخ متماسك، يتألف من المهاجرين والأنصار، الذين جمعتهم المدينة بين لابتيها، ولذلك مدحهم الله عز وجل بقوله تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ** ﴾ [الفتح : ٢٩]، حتى وصل بهم الحال والإيثار، إلى أن يعرض

أحدهم على أخيه إحدى مزارعه وإحدى زوجاته ، فيقول له : بارك الله لك في مالك وأهلك ، ولكن دلني على السوق ، فإني ماهر في التجارة ، ولا شك أن الإسلام قد جاء ليؤكد هذه الرابطة الأخوية الإيمانية ، بين المؤمنين ، وينفي تلك الروابط والعصبيات الجاهلية ، كما قال ﷺ : «**إن الله أذهب عنكم عُبّية الجاهلية وفخرها بالآباء ، الناس لآدم ، وآدم من تراب** » وعليه فإن القرآن الكريم تبرأ من أبي لهب الحسيب النسيب ، عم الرسول ﷺ ، وأخبر أنه سيدخل جهنم مع الداخلين ، بينما أعتبر الرسول ﷺ سلمان الفارسي من أهل البيت ، فقال عليه الصلاة والسلام سلمان منا أهل البيت ، لماذا ؟ لأنه استجاب للحق والهدى ، وهذا هو الأساس الثاني الذي اعتمده الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار في المدينة ، حتى أنهم كانوا يتوارثون بهذا التآخي ، ولكن بعد نزول قوله تعالى : ﴿ **وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنفال :٧٥] ، نسخت هذه الآية تلك الأحكام السابقة ، من أحكام المواريث المكتسبة ، من حيث التآخي بين المسلمين.

الدرس التاسع: توقيع المعاهدة بين المسلمين واليهود ، الذين كانوا يسكنون المدينة آنذاك، ويشكلون خطرا على المسلمين ،وقد انطوت، وشملت تلك الوثيقة الرسمية ، على كثير من البنود والفقرات الهامة ، والتي منها :

[١] يهود بني عوف ، أمة واحدة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

[٢] من خرج من المدينة فهو آمن ، ومن قعد فيها فهو آمن.

[٣] إن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

والحقيقة أن هذه الوثيقة تدل على مدى عدل الإسلام ، والمعاملة الحسنة ، التي عامل بها النبي ﷺ يهود المدينة ، وأنه بذلك أراد أن ينشر الأمن والخير

والسلام ، في ربوع المدينة وما جاورها ، ولكن اليهود ، لما خرج المسلمون منتصرون على المشركين ، في معركة بدر ، ألهب ذلك الانتصار حفيظتهم وحقدهم الدفين على المسلمين ، مما جعلهم يظهرون ما في قلوبهم الخبيثة ، من غيظ وحقد على المسلمين ، فقالوا : يا محمد ، لا يغرنك أنك قابلت قومك ، لا علم لهم بالحروب ، أما والله إن حاربناك ، فستعلمن أينا نحن الناس ، عند ذلك جمعهم النبي ﷺ في سوق بني قينقاع ، وذكَّرهم بأيام الله ، ودعاهم إلى الرشد والصواب ، وأن يكفوا أيديهم وألسنتهم عن المسلمين ، لكنهم لم يستجيبوا لهذا التحذير والإنذار ، واستمروا في غيهم وضلالهم ، ثم بعد ذلك تعرضوا لامرأة مسلمة في سوق بني قينقاع ، وقتلوا واحدا من المسلمين ، والحقيقة أن اليهود لو احترموا ما بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق ، لما قاتلهم النبي ﷺ ، ولما أخرجهم من المدينة ، ولكنهم أبوا إلاَّ الشر لأنفسهم ﴿ **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ [النحل : ٣٣] .



يوم عاشـــوراء

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . .

أما بعد : أيها المسلمون:

إن في ديننا وشرعنا ومعتقداتنا ، مناسبات شرعية عظيمة ، وأحداث تاريخية مجيدة ، أولاها المسلمون جل اهتماماتهم وعنايتهم ، ونحن في هذه الأيام نعيش الأجواء الإيمانية والتاريخية ليوم عاشورا ، ذلك اليوم العظيم الذي نجَّا الله فيه موسى من فرعون ، لذلك كانت اليهود تعظم هذا اليوم وتحتفل فيه ، لأن فيه ذكرى لهم ولآبائهم وأجدادهم ، من بني إسرائيل ، الذين عاشوا ردحًا من الزمان تحت الظلم والقهر والاستبداد ، فقد كان فرعون يذبح أبنائهم ، ويستحي نسائهم ، ويستضعف طائفة منهم ، حتى كسرت شوكته في يوم عاشورا ، تحقيقًا لوعد الله القائل: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴿٥﴾ ﴾ [القصص : ٥] .

لقد كان بنو إسرائيل ينتظرون اليوم الذي يمكن ، أن يتحرروا فيه من العبودية والاستعباد لفرعون وجنوده ، وأن يعيشوا في أمن وسلام ، فكانوا ينتظرون ذلك اليوم بفارغ الصبر والآلام ، لأن فيه انتصاراً لحقهم وحريتهم ، التي كانوا ينشدونها ، ويتطلعون إليها دائما في كل وقت وحين ، حتى أذن الله لموسى أن يقارع الظلم والطغيان ، وينتصر عليهم في يوم عاشورا ، ليذهب فرعون ومن معه من الظالمين والمجرمين أدراج الرياح ، فيصبح عبرة للمعتبرين وذكرى للذاكرين ، كما قال تعالى: ﴿ **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ** ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس: ٩٢] .

إذا أيها المسلمون: إن يوم عاشورا ، يمثل نقطة تحول في تاريخ البشرية ، ويمثل بارقة أمل لكل المظلومين والمستضعفين في الأرض ، لأنه يعني انتصار الحق على الباطل ، وذهاب ليل دامس ، وبزوغ فجر جديد ، لأولئك المظلومين الذين حبسوا أو قتلوا ، أو أخرجوا من ديارهم وأوطانهم بغير حق ، فيوم عاشورا يمثل بالنسبة لهم ، رمز للانتصار والحرية ، إن يوم عاشورا أيها المسلمون : تُذل فيه أعناق الظالمين ، وترتفع فيه أعلام الحق المبين ، فيذكّرنا بكل الظالمين والمجرمين الذين عاثوا في الأرض فسادا ، لأن الله عز وجل يمهل ولا يهمل ، كما جاء في الحديث : «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» ثم قرأ : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود : ١٠٢] ، وعليه فإن مصارع الظالمين والمجرمين،ما تزال عالقة في الأذهان، ولا ينساها التاريخ أبداً، فما زلنا حتى الآن ، نذكر فرعون وهامان وقارون ، ونذكر أبو جهل ، وأُمية ابن خلف ، وغيرهم من الظالمين والمجرمين.

قصة موسى عليه السلام مع فرعون :

ولهذا فإن فرعون الذي واجه مصيره المحتوم في يوم عاشورا،سقط منه كل أرديته التي كانت تنفخ فيه ، فصار عبرة للمعتبرين وذكرى للذاكرين ، كما قال تعالى : ﴿ **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ﴿٤٠﴾ ﴾ [القصص : ٤٠] .

يقول سيد قطب-رحمه الله-: لقد سقط من فرعون الباغي العادي المتجبر، كل أرديته التي كانت تنفخ فيه ، وضاعت منه كل قوته وقدرته التي كان يبطش بها ، ذلك المجرم الذي عاث في الأرض فساداً ، وعاش في بني إسرائيل زمانا، فطغى وتجبر عليهم ، وأعرض عن ذكر ربه الأعلى كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي**

نسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص : ٤] ، وفي آية أخرى يقول سبحانه و تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص : ٨]، فرعون : ذلك الطاغية المجرم ، كان يسعى دائما إلى قتل موسى عليه السلام ، ويكرر من قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [غافر : ٢٦] ، وكان يخطط لذلك في كل مرة ، ولكن الله عز وجل يرد كيده في نحره .

ومع ذلك قام فرعون بثلاث محاولات فاشلة ، لقتل موسى عليه السلام :

المحاولة الأولى: عندما كان موسى في المهد صبيا، أمر فرعون بذبحه وقتله ، فاستو هبته زوجته آسيا بنت مزاحم ، وقالت له : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القصص : ٩] ، عند ذلك استجاب فرعون لطلب زوجته ، مُكرهاً رغم أنفه وخارجا عن إرادته ، فعاد موسى عليه السلام إلى أمه التي حملت به وخافت عليه ، كي تقر عينها ولا تحزن ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [القصص : ١٠]، عاد موسى إلى حضن أمه ، والتقم ثديها يمصه بحرارة وشوق ، ثم تربى وترعرع في قصر فرعون ، ليكون عدوا له وحزنا كما قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القصص : ١٤]، لقد بلغ موسى عليه السلام مرحلة الشباب والفتوة ، وأصبح الآن يشكل خطرا على فرعون وجنوده ، ولكن الله عز وجل أعمى أبصارهم وبصيرتهم ، ولم يتنبه فرعون لهذه التغيرات الجذرية ، والأحداث المتسارعة ، إلاَّ عندما قتل موسى أحدا من رجاله الاقباط ، كما قال تعالى : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾[القصص : ١٥] ، لقد أصبح الآن موسى عليه السلام ، يملك قوة وشباباً ثائرا ، يستطيع من خلاله أن يواجه الظلم والطغيان ، وأن يزعزع الأمن

والاستقرار لفرعون وجنوده ، وبدأ موسى يفتح الجبهات الداخلية ، ويؤسس الحركات السرية والجهادية ، لإسقاط فرعون وملكه ، عند ذلك شعر فرعون بالدور الخطير الذي يقوم به موسى في أرجاء دولته ، فاتخذ مرسومًا ملكيًا بقتل موسى ، أو إخراجه من بلده الذي تربى وترعرع فيه ، وكانت هذه المحاولة الثانية لقتل موسى ، والتي باءت بالفشل ، عند ذلك أصبح موسى عليه السلام خائفًا في المدينة يترقب ، وإذ به يأتيه النذير من مكان بعيد ، كما قال تعالى : ﴿ **وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ** (٢٠) ﴾ [القصص: ٢٠] ، فاستجاب موسى لنصيحة العقلاء ، وخرج من مصر إلى جهة غير معروفة ، حتى لا يدركه فرعون وجنوده ، ثم توجه بعد ذلك إلى مدين ، وهي المدينة التاريخية التي عاش فيها قوم شعيب ، وأُهلك فيها أصحاب الأيكة ، هناك في المنفى .

بدأ موسى يعيش حياته الطبيعية ، ويعد عدته لسحق فرعون وجنوده في يوم عاشوراء ، وبدأ يعيد ترتيب أوراقه ، وينظِّر لأفكاره ، التي ستكون سببا في زوال فرعون ونظام حكمه ، فبدأ يشن حربا إعلامية ، ويقود حملة خارجية ، على فرعون وجنوده ، ومن حسن الحظ له ، أنه وجد في أهل مدين بغيته ، فاستقبله نبي الله شعيب ، فآواه وأيده ونصره ، وزوَّجه إحدى بناته كما قال تعالى حاكيًا عنه : ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ** ﴾ [القصص: ٢٧] .

ولما قضى موسى الأجل ، وأحسن الوفاء ، سار بأهله إلى مصر ، فأراد موسى أن يعود إليهم ناصراً ومحرراً ، بأفكاره الجديدة التي تبناها في الخارج ، وقد كان موسى عليه السلام يستمد تلك الأفكار ، وتلك المعلومات ، ليس من قرارة نفسه ، وإنما هي وحي يوحى ، فقد كانت تأتيه تلك الأوامر والتوجيهات من رب العالمين ، وهو يقف عند تلك الشجرة المباركة في الوادي المقدس طوى ، كما قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ⑪ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ⑫ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ⑬ ﴾ [طه : ١١-١٣] ، يأمره بالتوجيهات ويضع بين يديه الآيات فيقول له : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ⑰ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ⑱ ﴾ [طه : ١٧-١٨] ، كان موسى ﷺ يستخف بتلك العصا ، وينظر لها بتواضع شديد ، وكأنه يريد أن يقول : إن هذه العصا لا يمكن الاستعانة بها ، أو نحارب بها فرعون وجنوده ، ولا يكمن أن نتغلب عليهم بهذه الآلة المتواضعة البسيطة ، لكن الله عز وجل حولها إلى آية من آياته العظيمة ، كما قال تعالى لنبيه موسى ﷺ : ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ⑲ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ⑳ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ㉑ ﴾ [طه : ١٩- ٢١] ، خاف موسى خوفًا شديدًا ، وولى هاربًا ولم يلتفت إلى خلفه من شدة الخوف ، لكن الله عز وجل هدأ من روعه ، وأمَّن من خوفه بقوله : ﴿ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ [القصص : ٣١] .

عند ذلك أيقن موسى ﷺ أن هذه الآية، وهذه العصا، سيكون لها شأن عظيم ، فعاد إلى مصر يحمل قوة جبارة ، وسلاحًا فتاكًا ، يشبه قوة ردع سريع ، ولكن فرعون الأبله ، لما وصل إليه موسى وكلمه وذكره بأيام الله ، ودعاه إلى عبادة الله لا شريك له ، وأن يترك الظلم والقهر والاستبداد ، تكبر فرعون وعتا عتوًا كبيرًا ، وقال : أنا ربكم الأعلى ، وما علمت لكم من إله غيري ، ثم بدأ يتوعد موسى بأنه سيفتح السجون والمعتقلات ، وسيضرب بيد من حديد ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ㉙ ﴾[الشعراء : ٢٩]، هذا هو الأسلوب الوحيد الذي يستخدمه كل الطغاة والمجرمين مع أصحاب الدعوات الحقة ، لكن موسى ﷺ أبى أن يتنازل لفرعون ، وتحداه بآيات الله : ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ١٠٨ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ١٠٩ ﴾ [الأعراف :١٠٨ - ١٠٩] ،أتى بالمعجزات،ولكن فرعون أخذته العزة بالإثم ، واستمر في غيه وظلمه وعناده ، وادّعى أن موسى يملك سحرا

وليس آية من آيات الله ،وبدأ يروج الإشاعات،بأن موسى ساحر كذاب، وأنه سيرد المثل بالمثل ، والسحر بالسحر، والصاع بصاعين، فقال يا موسى ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩)﴾ [طه: ٥٧-٥٩]، فاجتمع الناس من كل حدب وصوب، في يوم مهيب، يلتقي فيه أصحاب الآيات والمعجزات، وأصحاب الكذب والدجل والكهانات ، فيدخل سحرة فرعون إلى المعركة بغرور كبير وثقة عمياء،ثم يستعرضون بسحرهم، ويقولون: ﴿ يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩)﴾ [طه :٦٥-٦٩] .

ففي هذه المناظرة العجيبة، تسقط كل الأقنعة الزائفة والشعارات الكاذبة، وتتحول تلك العصا إلى حية عظيمة هائلة،يخرّ على إثرها سحرة فرعون ساجدين، ويقولون:﴿ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٢) ﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢] ، فتسقط من فرعون أول الخيارات الكاذبة ، التي كان يراهن بها ويعتمد عليها، وعند ذلك يستخدم سياسة أخرى وسلاحًا آخر ، فيعود إلى سياسته الهمجية والإجرامية ، ويستخدم وسائل البطش والتنكيل ، التي يلجأ إليها كل الطغاة في العالم ، عندما يقفون عاجزين أمام الحق والحجة والبيان ، فيصرح فرعون أمام الملأ من قومه ، بانه سيستخدم سياسة التعذيب والترهيب ، ويلوح باستخدام العصا وسكين الجزارين فيقول لهم: ﴿ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١)﴾ [طه: ٧١] ، فنحن اليوم نسمع في أمتنا مثل هذه التصريحات التي أدلى بها فرعون ، ويدلي بها الفراعنة في هذا الزمان ، أولئك الذين تسلطوا على رقاب هذه الأمة ، ونهبوا ثرواتها وخيراتها ،

من أجل تأمين حياتهم وحياة أبنائهم من بعدهم ، أما موسى عليه السلام والذين آمنوا معه ، فقد كانوا حماة للدين والعقيدة ، ويعملون لمصلحة البشرية من بعدهم ، ولكن فرعون أبى إلاَّ أن يبطش بهم بطش الجبارين ، ويتفنن في إيذائهم ، فظل يطاردهم في المدينة من مكان إلى مكان ، ومن زقاق إلى زقاق ، حتى أذن الله بهلاكه في البحر في يوم عاشوراء ، ليكون عبرة لغيره ، ولكل الفراعنة الذين ساروا على نهجه وطريقته ، والذين اقتبسوا شيئًا من ظلمة وجبروته ، فإن مصيرهم حتمًا إلى هذه النتيجة المخزية ، ونحن على ثقة كاملة بأنه سيأتي اليوم ، الذي نرى فيه أولئك الجبارين والمجرمين ، يسقطون من كبريائهم وعليائهم ، كما تسقط الجراد على النار ، أو كما تسقط تلك التماثيل والأصنام ، التي وضعوها لأنفسهم ، وسنرى بإذن الله أن يوم عاشوراء ، يعود عليهم في كل عام مرة أو مرتين ، ولهذا ندعو الله ونبتهل أن يهلك الظالمين بالظالمين ، وأن يخرجنا من بين أيديهم سالمين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

حقيقة الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون :

ولمزيد من التوضيح والبيان ، فإن فرعون كان يمثل قومه الأقباط في مصر ، وكان موسى يمثل قومه من بني إسرائيل ، لذلك كان الصراع في مصر بين الفريقين ، وبين طائفتين ، لأن فرعون كان يخشى على نظام حكمه من بني إسرائيل ، فاستغل منصبه وقوته وجبروته في إضعافهم وإذلالهم ، وأمر بقتل أبنائهم الغلمان ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** (٤) ﴾ [القصص : ٤] ، لكن الله عز وجل أراد أن ينتقم لأولئك المستضعفين من بني إسرائيل ، فأرسل له موسى في المهد صبيا ، وعلمه ورباه في قصره المشيد ، ليكون عدوا وحزنا لآل فرعون ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ** ﴾ [القصص : ٨] ، كانوا خاطئين عندما أخذوه من البحر ، وتركوه يعيش حرًا

طليقًا في حياته، ولما بلغ أشده واستوى، بدأ يشكل خطرًا على فرعون وجنوده ، لأنه قتل واحدًا منهم ومن قبيلتهم الأقباط ، كذلك بدأت الأنظار تتجه إليه ، والآمال تعوّل عليه ، فاستند إليه بنوا إسرائيل في تخليصهم من فرعون وجنوده ، وظلمه وجبروته ، حتى أذن الله عز وجل بذلك النصر المبين في يوم عاشوراء ، فنال بنو إسرائيل استقلالهم وحريتهم ، في ذلك اليوم المشهود الذي شرع فيه الصيام ، تعبيرا عن الفرح والسرور ، وشكرًا لله على نجاة موسى من فرعون ، ولهذا لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وجد اليهود يصومون ذلك اليوم ويعظمونه، وقد اتخذوه عيدا لهم ، فسألهم عن ذلك ، فقالوا: إنه اليوم الذي نجًا الله فيه موسى من فرعون ، فقال ﷺ : « **نحن أحق بموسى منكم** » ثم صامه وأمر الناس بصيامه شكرًا لله عز وجل على توفيقه وامتنانه ، ثم إكرامًا لموسى عليه السلام ، وقد كان النبي ﷺ يحرص على الصيام في هذا اليوم ، استنادا لما جاء في الحديث : «**أربع لم يكن يدعهن رسول الله ﷺ : صيام يوم عاشوراء ، والعشر ، وثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتا الفجر**» رواه الإمام أحمد، ولكن مع ذلك كان النبي ﷺ يحرص على مخالفة اليهود ، كما جاء في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ صام يوم عاشوراء ، فقالوا له: يا رسول الله ، إن هذا يوم تعظمه اليهود ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **لئن عشت إلى قابل ، لأصومنّ التاسع والعاشر** » ، وفي رواية ضعيفة«**صوموا يوما قبله، أو يوما بعده ، خالفوا اليهود**» ، ومع ذلك يجوز إفراد يوم عاشوراء بالصيام ، لمن كان له عذر أو مرض أو يشق عليه الصيام ، عملاً بقوله تعالى: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، وقول الرسول ﷺ : «**ما أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عن شئ فدعوه**» وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يرى في أحد أقواله: بجواز الإفراد ليوم عاشوراء ، والله تعالى أعلم .

المهم أن الصيام من أحب الأعمال إلى الله ، سواء كان فريضة أو نافلة ، وذلك لما فيه من الأجر والثواب كما قال ﷺ : «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد**

يوم القيامة ، فيقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوة ، فشفعني فيه ، ويقول القرآن : أي رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال : فيشفعان » وجاء في الحديث المتفق عليه ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **« من صام يومًا في سبيل الله ، باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا » ،** ولهذا كان النبي ﷺ يحرص على الصيام في وقت الأحداث والمناسبات ، التي ورد في ذكرها أثر أو دلالات ، فقد كان يحرص على صيام الاثنين والخميس ، لأن الأعمال فيها تعرض على الله في هذين اليومين ، وكان من هديه ﷺ أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال : **«أوصاني خليلي بصيام ثلاثة أيام من كل شهر»** ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : **« كان رسول الله ﷺ لا يفطر أيام البيض في سفر ولا حضر »** رواه النسائي بسند ضعيف ، ولكن الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يصوم الاثنين والخميس ، وعشر أيام من ذي الحجة ، والأيام البيض ، ويوم عرفة وعاشوراء ، ويتبع رمضان بست من شوال ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.



المولـد وأحـكامـه

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ، وقيوم السماوات والأرضين ، ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد : أيها المسلمون:

إن مولد الرسول ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، يذكرنا بسيرة العظماء الذين سجل التاريخ حياتهم بسطور من ذهب ، ولقد كان لرسولنا عليه الصلاة والسلام النصيب الأوفى ، والدرجة الأعلى ، بين أولئك جميعا ، ولهذا استغل بعض المسلمين هذه المناسبة العظيمة ، في هذا الميلاد العظيم ، وأخذوا يطبلون ويحتفلون ، بذكرى مولده عليه الصلاة والسلام ، ونحن في هذا المقام لا نحل ذلك ولا نحرم ، وإنما هذا شأن العلماء ، ولكن ندعو إخواننا المسلمين أن يتوسطوا في هذه المسألة ، وألاَّ يصلوا بذلك التعظيم ، إلى الشرك أو البدع المحدثات ، التي ما أنزل الله بها من سلطان .

الأدب مع الرسول ﷺ :

ولهذا ينبغي ويجب ، أن نعظم رسولنا عليه الصلاة والسلام ، بما كان يعظمه به صحابته الكرام ، فقد كانوا يعظمونه بالأدب معه ، وإتباع سنته ومنهجه وطريقته ، يشهد لذلك ما رواه عروة بن مسعود رضي الله عنه عندما رجع من صلح الحديبية إلى قريش ، فانذرهم بقوله :ـ والله لقد وفدت على الملوك وأبناء الملوك ، ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي ، ووالله ما رأيت ملكا قط ، يعظمه أصحابه ، كما رأيت أصحاب محمد يعظمون محمداً ، ومن أدبهم وتعظيمهم له بعد موته ، ما رواه البخاري : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، دخل

مسجد الرسول ﷺ ، فوجد شابان من أهل الطائف يلعبان ، ويرفعان أصواتهما في مسجد رسول الله ﷺ ، فقال لهما: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف ، فقال عمر: والله لو كنتما من أهل المدينة ، لأوجعتكما ضربًا ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ ؟ ! ولهذا سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كيف كان حبكم لرسول الله؟ ، فقال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا ، وآباءنا وأمهاتنا ، ومن الماء البارد على الظمأ الشديد ، ويظهر ذلك جلياً ، لما زار أبو سفيان ابنته حبيبة ، زوج النبي ﷺ في المدينة ، فأراد أبو سفيان ان يجلس على فراش رسول الله ﷺ ، حيث كان مبسوطاً عندها، لكنها طوته من تحت أبيها، فقال لها: ما أدري يا بنيتي أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني؟ فقالت : هذا فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك ، فلا أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ ، أورده بن كثير في البداية والنهاية ، وابن حجر في الإصابة، ومن ذلك الأدب الرفيع ، فقد كان الإمام مالك إذا أراد أن يجلس للحديث ، اغتسل وتطيب ولبس أجمل الثياب ، تعظيمًا لحديث رسول الله ﷺ ، بل قيل : إنه كان لا يدخل المدينة إلاَّ حافياً ، تأدبًا واحترامًا للرسول ﷺ ، وإن مما يزيد المؤمنين تعظيمًا ومحبة لهذا الرسول الكريم ، تذكر أحواله وأعماله وحرصه على أمته ، ورأفته بهم ورحمته ، وما لاقاه من الكيد والأذى في مكة والطائف .

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم ، كان أشد من يوم أحد؟ قال : نعم يا عائشة ، « **لقد كان أشد ما لقيت من قومك يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، ولم أستفق إلاَّ وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت بصري ، فإذا سحابة قد أظلتني ، فيها جبريل ، فناداني وقال : يا محمد ، إن الله قد سمع ردَّ قومك لك ، وقد بعث إليك ملك الجبال ، لتأمره بما شئت ، فناداه ملك الجبال وقال له : يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت ، فقال عليه الصلاة والسلام : بل أرجو أن يخرج الله من**

أصلابهم من يعبد الله ، ولا يشرك به شيئاً» .

أحوال المحتفلين بالمولد النبوي :

إذاً أيها المسلمون : إن تلك الأعمال ، وتلك الآداب ، التي مارسها أصحاب رسول الله ﷺ في حق نبيهم ورسولهم ، ما هي إلاَّ تعظيما له واحتراماً ، ولم تكن شركاً أو بدعاً محدثات ، ما أنزل الله بها من سلطان ، أما اليوم ، فكم من الأعمال الجاهلية ، التي يمارسها أصحابها ، احتفالاً بذكرى مولده عليه الصلاة والسلام ، والحقيقة أن أغلب هؤلاء المولعين ، بهذه الاحتفالات والتراهات ، هم من المبتدعين والمنحرفين ، والكسالى والبطالين ، أو تجد بعضهم من الذين لا يحضرون الجمعة ولا الجماعات ، ولا يهتمون بأمور العبادات ، ولا يطبقون سُنَّة الرسول ﷺ في واقع شؤونهم وحياتهم ، حتى إذا وافق الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، أخذوا يطبلون ويحتفلون ، وقد يكون هؤلاء من الذين لا خلاق لهم عند الله ولا عند رسوله ، أو يكونوا أولئك من المنافقين الحاقدين على الإسلام وأهله ، أو من الشهوانيين ، الذين يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ، أو من الظلمة الذين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ، فيظهرون محبة الرسول ﷺ ، تبريرا لمواقفهم وأعمالهم ، وهم بذلك لا يخادعون إلاَّ أنفسهم ،كما قال تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ٩-١٠]، إذا فهم كاذبون لان أقوالهم تخالف أفعالهم والله عز وجل يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢،٣] .

بدعة الاحتفال بالمولد النبوي :

أيها المسلمون: إن الأمة مطالبة باحترام رسولها عليه الصلاة والسلام ، وإتباع

منهجه وطريقته ، وتأمل سيرته وسلوكه ، امتثالاً لقوله ﷺ عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار وإن من البدع المحدثات في الدين ، الاحتفال بمولده عليه الصلاة والسلام ، واتخاذ ذلك اليوم عيداً ، وهذا مخالف لأمر الرسول ﷺ الذي يقول: « **لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، إنما أنا عبد الله ، فقولوا عبد الله ورسوله** » والقائل أيضًا : « **إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم ، الغلو في الدين** » ،ومن أعظم الغلو في الدين ، الاحتفال بمولده عليه الصلاة والسلام ، لأنه من البدع المحدثات ، التي حذر منها النبي ﷺ بقوله : «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »، أي مردود على صاحبه ، وإن استحسنه هو ، أو رآه الناس حسنا، ولو كان هذا الاحتفال مشروعا أو مستحبا ، لأمر به النبي ﷺ ، أو فعله الصحابة من بعده ، والخلفاء الراشدين ، ولكنها بدعة ضالّة ، روج لها أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ، ومن أهل الفرق الضالة ، الذين كذبوا على الله وعلى الناس ، بما يطرحونه من شبه وخرافات وخزعبلات، في تلك الاحتفالات ، وخير شاهد على ما نقول : ما يحدث في هذه المناسبات ، من الشرك والبدع والاستغاثات بغير الله تعالى :

[١] كإقامة السرادق، ونحر الذبائح ، ولطم الخدود ، وشق الجيوب ، وضرب الدفوف، والغلو الزائد في مدح الرسول ﷺ ، وطلب العون والمدد منه ، بينما هو عليه الصلاة والسلام يقول لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله أي لا تغلوا في مدحي وتعظيمي،كما غالت النصارى في مدح عيسى بن مريم عليه السلام وتعظيمه،حتى عبدوه من دون الله، فقالوا: إنه ثالث ثلاثة ، والله عز وجل قد نهاهم عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ** ﴾ [النساء : ١٧١] ، وكذلك يحصل

في هذه الاحتفالات إنشاد القصائد الشركية، التي قد تخرج الإنسان من الإسلام وهو لا يدري ، كقصيدة البردة للبوصيري ، التي يقول فيها يمدح الرسول ﷺ :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم
ما لم تكن آخذ يوم المعاد بيدي صفحًا وإلاّ فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

نعوذ بالله من هذا الكلام ، لأنه ساواه بالله سبحانه وتعالى .

وكذلك عندما يقومون بهذه البدع المنكرات ، والأمور المحرمات ، التي تحصل في هذه الاحتفالات ، كأنهم بذلك :

[٢] يتهمون الرسول ﷺ بالنقص والتقصير في تبليغ دعوته ، عندما يحتفلون بمولده وهو لم يأمرهم بذلك ، وحاشاه ﷺ أن يكتم علمًا علمه الله ، وهو القائل : **«ما بعث الله من نبي ، إلاّ كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم »** رواه مسلم .

ولو كان الاحتفال بمولده عليه الصلاة والسلام ، من الخيرية لهذه الأمة ، لبينه لهم ، أو فعله في حياته ، أو فعله الصحابة الكرام من بعده ، ولكنه لم يحدث شيئا من ذلك ، فعلم أنه من البدع المحدثات في الدين.

وكذلك من المخالفات الشرعية التي تحدث في هذه الاحتفالات:

[٣] التشبه بالنصارى الذين يحتفلون بمولد عيسى عليه السلام في رأس كل سنة ميلادية ، ويسمونه « عيد الكريسمس» ، الذي يحدث فيه من المنكرات ما الله به عليم ، فيشربون الخمور ، ويدقون الطبول ، وهم سكارى مخمورون ، فكل هذا يحصل باسم ميلاد المسيح عيسى عليه السلام ، أما نحن المسلمون ، فقد أُمرنا بمخالفة اليهود والنصارى ، وعدم السير في نهجهم وطريقتهم ، كما قال ﷺ : **«لا تشبهوا بأهل الكتاب خالفوا اليهود والنصارى»** .

ومن المنكرات التي تحدث في هذه الاحتفالات ، ما يحدث فيها من:

[٤] الاختلاط بين الرجال والنساء ، في بعض الأماكن والمناسبات ، وهذا محرم شرعا ، استجابة لأمر الله القائل: ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب : ٥٣]، ونتيجة لذلك ، فقد أفرد النبي ﷺ بابا خاصا للنساء في مسجده ، يدخلن منه ويخرجن منه ، حتى لا يخالطهن الرجال ، فإذا كان هذا في الصلاة ، فما بالكم في تلك الاحتفالات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وكذلك من الأمور المنهيات:

[٥] إنشاد القصائد وضرب الدفوف ، في بعض المساجد ونحوها ، وهذا عمل خطير ، واستهتار وامتهان للمساجد ، التي لم توضع لهذه الأمور ، وإنما وضعت للصلاة والذكر والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، كما قال تعالى: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾** ﴾ [النور: ٣٦] .

إذاً فعمارة المساجد لا تكون بهذه التراهات والخرافات والخزعبلات ، وإنما تكون بالقرآن والصلوات.

التوازن بين الأمرين :

وعليه فإن ذكرى مولد الرسول ﷺ ، حدث تاريخي كبير ، يستحق منا أن نوليه جلّ اهتمامنا وعنايتنا، وألاّ نجعل ذلك الحدث ، وتلك المناسبة العظيمة ، شماعة أو جسراً يعبر عليه أو من خلاله، أولئك المغرضين والحاقدين على الإسلام، والذين تربطهم المصالح والأهواء ، في هذه المناسبة العظيمة ، فيطرحون الشبهات والخرافات باسم الإسلام ، أو باسم الرسول ﷺ ومولده الكريم ، وعليه نقول ونؤكد ، أن تلك الأعمال المشينة ، وتلك المخالفات ، التي تحصل من بعض

المسلمين في هذه المناسبة العظيمة ، هي ليست من الإسلام في شئ ، بل تشوه صورة الإسلام وأحكامه وآدابه وأخلاقه الكريمة ، ولكن مع ذلك ، يجب ألاَّ نبالغ في هذا الأمر ، وإنما يجب علينا ، أن نلتزم الوسطية والاعتدال ، بمعنى أنه يمكن لنا في هذه المناسبة ، أن نستعرض حياة الرسول ﷺ منذ ولادته إلى وفاته ، في المساجد والمدارس واللقاءات ، وفي الحلق والمنازل والاجتماعات ، ولكن دون حيف أو ضلال ، أو بغي أو فساد، وحسب ظني أن هذه الكيفية ، هي التي توافق ما جاء في الكتاب والسُّنَّة، وهي الطريق الوحيد والأسلوب الأمثل الذي يمكن من خلاله ، أن نعيش الذكرى بمولده عليه الصلاة والسلام ، لأن في ذلك الوسطية والاعتدال التي دعا إليها الإسلام ، في قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، أما تلكم الأعمال الجاهلية ، التي يقوم بها بعض جهَّال المسلمين في هذه المناسبة ، فلا يمكن الموافقة عليها أو التسليم بها ، لأنها تخالف نصوص الكتاب والسُّنَّة وما كان عليه سلف الأمة، ولهذا نقول إذا أردنا أن نعظم رسولنا عليه الصلاة والسلام ، فهناك أمور يجب الوفاء بها في حق الرسول ﷺ :

❁ أول ذلك الإيمان به وبرسالته ، وأنه رسول من رب العالمين كما قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء :١٠٧]، ولهذا كان يقول عليه الصلاة والسلام : « **والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلاَّ كان من أصحاب النار** » رواه مسلم، ثم أخذ الله سبحانه وتعالى الميثاق على النبيين والمرسلين، أن يؤمنوا به وبرسالته الخالدة ،كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران : ٨١] ، ومن حق الرسول ﷺ على هذه الأمة ، طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء :٥٩] ، بل قرن الله سبحانه وتعالى طاعته بطاعة رسوله ﷺ حيث قال: **﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾** [النساء : ٨٠] ، ومن ذلك تقديم محبته على غيره ، استنادا لقوله ﷺ : **« والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده»**، وفي رواية أخرى : **«حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »** ، وليس هذا فحسب ، بل لا يجد الإنسان حلاوة الإيمان إلاّ بتحقيق هذه المحبة التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله : **« ثلاث من كن فيه ، وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار »** فهذا هو حبه عليه الصلاة والسلام الذي ورد في القرآن ، ونزلت فيه آية الامتحان **﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾** [آل عمران : ٣١] .

أما تلك الأعمال الجاهلية التي يقوم بها بعض الجهال من المسلمين ، فإنها لا تمت إلى الدين بصلة ، وليس لها أثر من قريب أو من بعيد ، ولأن الرسول ﷺ يقول : **« من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »** ، أي مردود عليه، ويقول في حديث آخر : **«إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار»** أعاذنا الله وإياكم من البدع والآثام .



مكانة الرسول ﷺ في الأمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد : أيها المسلمون :

في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ،كان مولد أعظم إنسان تشهده الأرض ، منذ فجر الإسلام إلى اليوم ، ذلك التاريخ الذي نعتز به ، يوافق مولد محمد ﷺ في مكة ، عام الفيل سنة ٥٧١ م ، ذلك المولد العظيم الذي أضاءت له قصور بصرى في الشام ، واهتز له إيوان كسرى في العراق ، حتى الشياطين أبلست في تلك الليلة ، كما قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾** ﴾ [الجن :٨-١٠] ، الشياطين في تلك الليلة ، كانت تسأل ما الذي حدث في الأرض؟ ، ولماذا تغيرت الأمور في السماء؟ ،وما كان في علمهم أن مولد الرسول الهادي محمد ﷺ ، في تلك الليلة.

مكانة الأنبياء في الأمة :

إذن أيها المسلمون : يجب أن تعلموا أن الله سبحانه و تعالى ، اختار من بين خلقه أنبياء ومرسلين ، وزكاهم وطهرهم على العالمين ، ليكونوا مشعل نور وضياء ، وقادة ركب للإنسانية على مدى التاريخ ، فجعلهم أئمة وهداة ومصلحين كما قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا**

يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة : ٢٤] ، فهؤلاء الأنبياء ، هم الصفوة المختارة من عباد الله ، الذين شرفهم الله عز وجل بالنبوة والرسالة ، وأعطاهم من الحكمة والمشورة وسداد الرأي ، ما تلين به قلوب العباد ، فهؤلاء الأطهار ، ليسوا بدرجة واحدة من الفضل والإكرام ، بل بعضهم أعلى درجات من بعض ، كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، وقال في آية أخرى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٥]، ومن الأنبياء والمرسلين ، من اختصهم بذكره وثنائه ، وسماهم أولي العزم من الرسل كما في قوله تعالى :﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الاحقاف ٣٥]، وقد سموا بهذا الاسم ،لأن عزائمهم كانت قوية ، وابتلاؤهم كان أشد، وصبرهم كان أعظم ، ولهذا استحقوا أن يكونوا قادة للبشرية ، وسادة الأنبياء والمرسلين .

ميزة نبينا محمد ﷺ بين الأنبياء :

أما نبينا عليه الصلاة والسلام ، فهو أفضلهم وأشرفهم على الإطلاق ، ولهذا أرسله الله رحمة للعالمين ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين ، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ، ومن أعظم الشواهد على جليل قدره ، وعلو منزلته ، أن الله سبحانه وتعالى أخذ العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين ، أن يؤمنوا به وأن يكونوا من أنصاره وأتباعه ، كما قال ﷺ : «**لو كان أخي موسى حيًا ، فما وسعه إلا إتباعي**» وفي ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران: ٨١] ، ولهذا فقد خاطب الله سبحانه وتعالى جميع الرسل ، وناداهم بأسمائهم التي سموا بها، أما نبينا عليه الصلاة السلام

فقد خاطبه وناداه، بوصف النبوة والرسالة،ولهذا لم نجد في كتاب الله آية واحدة، تناديه باسمه الصريح ، أو تقول :يا محمد، وإنما الآيات كلها ، تنادي الأنبياء والمرسلين بأسمائهم ، فتقول في شأن إبراهيم عليه السلام ﴿ **يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ** ﴾ [هود : ٧٦] ، وفي نوح عليه السلام يقول الله عز وجل : ﴿ **يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا** ﴾ [هود : ٤٨]، وفي موسى تقول الآيات : ﴿ **قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي** ﴾ [الأعراف :١٤٤] ، وفي عيسى عليه السلام يقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾ [المائدة: ١١٦] ، وهكذا بقية الأنبياء والمرسلين ، ناداهم بأسمائهم التي سموا بها ، أما نبينا عليه الصلاة والسلام ، فناداه بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥)** ﴾ [الأحزاب: ٤٥] ، وناداه بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤)** ﴾ [الأنفال: ٦٤] ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ [المائدة: ٦٧] ، فهذه الآيات ، من ألطف العبارات التي وردت في القرآن الكريم ، تخاطب نبينا عليه الصلاة والسلام ، بأحسن لفظ وأعلى مقام .

نسبه الرفيع ﷺ :

أما نسبه الرفيع ، فهو من أشرف الأحساب والأنساب ، كما عند البخاري في صحيحه: أن هرقل ـ ملك الروم ـ سأل أبا سفيان عن نسبه ، فقال: كيف نسبه فيكم؟ ، قال: إنه ذو نسب رفيع، فأجابه هرقل بقوله :وكذلك الرسل تُبعث في أنساب أقوامها،وكان زواج أبيه من أمه بنكاح صحيح ، يشبه نكاح الإسلام، يشهد لذلك قول النبي ﷺ : « إني خرجت من نكاح ولم أخرج من

سفاح» ، وكان مولده عليه الصلاة والسلام في أشرف بيت من بيوت العرب وهم بنو هاشم ، ومن أشرف قبيلة في العرب وهي قريش ، ولهذا فقد روى الترمذي بسند صحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إن الله سبحانه وتعالى ، خلق الخلق فجعلني من خيرهم ، ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً ، وخيرهم بيتاً وكان ﷺ من ذرية إسماعيل عليه السلام، بينما غيره من الأنبياء والمرسلين ، من نسل يعقوب عليه السلام ، يؤكد ذلك ما ورد في صحيح مسلم ، أن الرسول ﷺ قال : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريش ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم »**،ولهذه المكانة الرفيعة، لم يجد قومه ما يطعنون به ، في نسبه أو شرفه ، أو شرف قبيلته المعروفة بين العرب .

الرسول القدوة ﷺ :

وإن من واجب المسلمين اليوم ، أن يعرفوا قدر هذا الرسول الكريم ﷺ ، ويعرفوا جزءً كبيرا من حياته ، وسائر شؤونه ، ابتدءا من اسمه ونسبه ومولده ، وصفاته الأخلاقية والخلقية ، ليقتدوا به في حياتهم ، وليكون لهم أسوة حسنة ، كما قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ** ﴾ [الاحزاب :٢١] ، **فهو ﷺ القدوة في كل شيء ، القدوة في الأخلاق والسلوك ، القدوة في العبادات والمعاملات ، القدوة في الصلاة والزكاة كما قال «صلوا كما رأيتموني أصلي »** وكذلك القدوة في الحج ، فقد كان يقول لهم : **«خذوا عني مناسككم »** ، ولهذا جاء وصفه في التوراة والإنجيل، **بأحسن الأوصاف وأجمل الصفات، فقد ورد نص في التوراة يقول فيه محمد عبدي ورسولي**،سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ،ولا سخّاب بالاسواق،**ومن اخلاقه ﷺ وصفاته ، التواضع ، فقد كانت الأمة الصغيرة، تاخذ بيد رسول الله**

وتذهب به حيث شاءت،ولكن أنتم أيها المسلمون،من هو قدوتكم في التواضع، ألا يوجد الآن من المسلمين من بلغوا درجة عالية في الكبر والغرور ، يقتدون بآثار غيرهم من الكافرين والمجرمين ، فهؤلاء كلا ، لن يشربوا من حوض النبي ﷺ،لأنهم رغبوا عن سُنَّته وسيرته وسلوكه،فسلكوا طريق المتكبرين في الأرض، الذين يقول الله عنهم: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥]، بل هناك من المسلمين اليوم، من لا يرتاح ولا يستريح، إلاَّ إذا تمثل الناس له قياما ، أو قبّلوا ركبته، وبعضهم قد تصل به الجرأة ، أن يطلب من الآخرين أن يقوموا له، كما يفعل ذلك بعض المدرسين والمتنفذين ، وقد حذر النبي ﷺ ، ونهى عن ذلك القيام ، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود ، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئًا على عصى ، فقمنا له ، فقال: « **لا تقوم كما يقوم الأعاجم ، يعظم بعضهم بعضًا ، إنما أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد** » وكذلك وجد من المسلمين اليوم ، من فقدوا صفة الحياء ، التي كان يتخلق بها رسول الله ﷺ ، وأخذوا يستمدون حيائهم وأخلاقهم ، من التلفاز والمسلسلات والقنوات ، وإلاَّ فماذا تفسرون ما يفعله أولئك الذين يمارسون الزنا والمنكرات ، هل يستمدون حيائهم من حياء رسول الله ﷺ ، أو أولئك الذين يشربون الخمور والمسكرات ، هل عندهم حياء ، أو تلك النساء المتبرجات، اللاتي تنزعن ثياب الحياء في المجتمعات، أو ذلك الرجل الديوث الذي يرضى لبنته أو أخته أن تجلس مع الرجال، في غرف مغلقة ، لمدة ثمان ساعات أو أكثر من ذلك ، أقول : إن كثيرا من المسلمين اليوم ، قد فقدوا صفة الحياء التي كان يجسدها الرسول ﷺ في حياته ، ولكن انظروا الآن أيها المسلمون ، من هو قدوتكم في الأخلاق والسلوك ، فقد أصبحوا الآن يقتدون بأساطين الكفر وأباليسهم ، من المفسوخين والشواذ ، ولذلك فلا عجب عندما ترى في المسلمين ، ذلك الطفل الصغير الذي لم يبلغ الحلم ، يتأسى بأولاد الكافرين ، أو تشاهد تلك البنت الصغيرة تحاكي وتقلد العاهرات والراقصات ،

اللاتي رأتهن في الشاشات والقنوات الفضائية ، ورب الأسرة مشغول عن ذلك كله ، وكأنه لم يسمع حديث النبي ﷺ ، الذي يقول فيه : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » ولهذا : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٣] .

وقد ألمح الله سبحانه وتعالى إلى كل من خالف أمر الرسول ﷺ بقوله : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** (١١٥) ﴾ [النساء: ١١٥] ، ولذلك أوجب الله طاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، فقال تعالى: ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** (٨٠) ﴾ [النساء: ٨٠] ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** (٢٤) ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ولهذا فإن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا ، من أكثر الناس استجابة لأمر الله وأمر الرسول ﷺ ، واقتفاء لأثره وسُنَّته ، من ذلك ما رواه أبو داود : أن النبي ﷺ كان يصلي يومًا بأصحابه ، فخلع نعليه ، وإذا بالصحابة جميعًا يخلعون نعالهم ، فلما انتهى من صلاته ، قال ما حملكم على هذا؟ قالوا: يا رسول الله ، رأيناك فعلت ذلك ففعلناه ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أتاني جبريل ، فأخبرني أن فيها قذى ، فخلعتهما** » ، إن هذا هو السلوك الأمثل والإقتداء الأفضل الذي نريده ونحبذه لهذه الأمة ، ولا نريد إقتداءً برموز الكفر والضلال ، وعليه فإن رسولنا عليه الصلاة والسلام ، كان يعظمه أصحابه إلى الثمالة ، ولا يقدمون رأيًا على رأيه ، من ذلك ما جاء في الأثر : أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إذا استأذنت المرأة بالخروج إلى المسجد ، فلا يمنعها أحد**» ، فقال واحداً من أبنائه: والله لنمنعهن ، فغضب ابن عمر رضي الله عنهما غضبًا شديداً ، وشتم ابنه شتمًا لاذعًا ، ثم قال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ ،

وتقول لي: والله لنمنعهن ، لا احادثك بعدها أبداً ، وقيل : أنه مات ولم يحدثه بعد ذلك أبداً ،وكذلك مما جاء في الأثر، أن عبد الله بن عباس ﷺ قال: « تمتع النبي ﷺ في الحج »، فقال عروة بن الزبير: ولكن أبو بكر وعمر نهيا عن المتعة ، فقال ابن عباس ﷺ : إني أراكم ستهلكون ، أقول لكم : قال النبي ﷺ ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر .

إذا فمن حق الرسول ﷺ علينا وعلى أمته ، ألاّ نقدم رأيا على رأيه ، أو قولاً على قوله ، لأن الله عز وجل ، قد اختاره مرجعية من بين خلقه ، واصطفاه وزكاه في عقله ، وحسّن سمته وفعله ، فقال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [النجم:٢] ، وزكّاه في لسانه فقال : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٣-٤] وزكّاه في قلبه وفؤاده فقال: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ ﴾[النجم:١١] وزكّاه في بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم:١٧-١٨] ، وزكّاه في أخلاقه وسلوكه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] .

التربية المحمدية

وعليه فان هذه الأمة ، يوم أن تخلت عن تلك المبادئ والأحكام ، التي خطها ورسمها رسول الله ﷺ ، ضلت ظلالاً بعيداً ، يوم أن أتي زعماء الطين والتراب ، فسحقوا شعوبهم وجعلوهم عبيدا وأرقاء ، أتى محمد ﷺ، ليخرج لنا من الأمة العربية البائدة البائسة ، أمة خالدة ماجدة رائدة ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢] ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ، أتى إليهم محمد ﷺ ورباهم

على حب الله ورسوله ﷺ ، يقول في حوار مكشوف : **«والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ، ووالده ، والناس أجمعين »** لذلك كان عقبة بن نافع رضي الله عنه في شمال أفريقيا ، يخاطب الوحوش ويقول لها : أيتها الوحوش ، أيتها الحيات ، أيتها العقارب ، نحن أصحاب محمد ﷺ ، جئنا لنفتح الدنيا بلا إله إلاّ الله .

إن الرسول ﷺ رباهم على الطموح ، وعلو الهمة ، ولذلك لم يمنّ أبو بكر ، بالخلافة من بعده ، وما قال لعمر : سوف تكون الثاني ، ولا لعثمان سوف تكون الثالث ، ولم يقل لخالد : سوف تكون قائداً عسكريًا ، وإنما وعدهم ومنّاهم بالجنة ، أما الدنيا فليس عنده شيء منها ، عنده بيت من الطين ، وشقح من الخشب ، وعصى وشملة وحصير ، ولكن مع ذلك يأتي سفيه معتوه ، من شمال أفريقيا ويقول : محمد بدوي لا يعرف علم الاجتماع ، ولا علم النفس ، ولا علم التربية ، فنقول لهذا المعتوه : كذبت يا عدو الله ، محمد ﷺ هو الذي أخرج البشرية من الظلمات إلى النور ، وهو الذي أخرج أبائك وأجدادك من الجاهلية العمياء ، وهو الذي سيّر جدك عقبة بن نافع إلى شمال إفريقيا ، ليقف هناك على الأطلنطي ويقول : يا ماء ، والله لو أعلم أن وراءك من لا يؤمن بالله ، لخضت البحر بفرسي هذا ، وأبلغته لا إله إلاّ الله ، محمد ﷺ الذي ولد في مكة ، وأتى برسالة خالدة إلى الناس أجمعين ، وأعلن حقوق الإنسان من عرفات ، وأقرّ مبادئ العدل والحق في العالم الحيران ، وهو القائل عليه الصلاة والسلام : **« لا فضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى »** محمد ﷺ ، هو الذي أرسل رسالة إلى كسرى وقيصر ، أعظم إمبراطورين في العالم آنذاك ، وبشرهم بأنه سيفتح بلادهم ، ويضمها إلى دولة الإسلام ، وما هي إلاّ أيام وسنوات ، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، توجه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى القادسية في العراق ، وتوجه خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليرموك في بلاد الشام ، خرجوا من الجزيرة العربية ، وتخرجوا من المدرسة المحمدية ، وفتحوا العالم بلا إله إلا الله ، أما اليوم فأين تلاميذكم الذين

تخرجوا من المدارس والجامعات ، وأين شبابكم الذين ضاعوا في أحضان الموميسات ، فقد أخرجتم لنا شبابًا ضائعين مائعين ، تخرجوا من المدارس والجامعات ، ونالوا درجة الامتياز في العمالة والخيانة للأمة ، أما رسولكم محمد ﷺ ، الذي ما قرأ ولا كتب ، ولا درس في مدرسة ابتدائية ولا إعدادية ، ولكنه مع ذلك ربى جيلاً فريدًا لم يشهد التاريخ مثيلاً له ، ولذلك عجز المربون والمصلحون ، أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا .

ما يستفاد من السيرة :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد ، أيها المسلمون :

تحدثنا معكم في الدرس الماضي ، عن جانب يسير من حياة الرسول ﷺ ، وعن سيرته العطرة ، بذكرى مولده عليه الصلاة والسلام ، والحقيقة أن الإنسان مهما قرأ أو كتب أو تحدث ، عن هذا الرسول الكريم ، فإنه لا يستطيع أن يفيه حقه ، أو يقوم بواجبه ، ولكن حسبي وحسبكم ، أن الله زكاه من فوق سبع سموات ، فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] ، لقد كانت الجزيرة العربية ، قبل مولده عليه الصلاة والسلام ، تعيش بؤسا وشقاء ، وظلاما دامسا ، يتخبطون في دياجير الجهل والظلمات ، وبينما هم كذلك ينتظرون بصيصًا من نور ، أو قطرة من هدى .

إذ يأتيهم مولد الهادي ... الذي عمت بصائره البوادي

فأسدت للبرية بنت وهب ... يدًا بيضاء علت السهول والروابي

إن مولده عليه الصلاة والسلام كان فتحا لهذه الأمة، وكان فيه إزالة للظلمة، التي خيمت على جزيرة العرب آنذاك ، ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى ، أرسله رحمة للعالمين ، وأختاره من بين خلقه أجمعين ، وأختار له اسم محمد ، ذلك الاسم الجميل الذي يشتمل على محامد كثيرة ، وصفات عظيمة ، فهو محمود عند الله تعالى ، ومحمود عند ملائكته المسبحة بقدسه ، ومحمود عند إخوانه المرسلين،وقد عوتب أولئك المتخلفين عنه من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب،كما قال تعالى:﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) ﴾ [الأحزاب : ١٢٠] .

الـــدروس والعبـــر :

أيها الإخـوة الكرام : إن حياة الرسول ﷺ منذ ولادته إلى وفاته، مليئة بالأحداث الجسام، التي يمكن للأمة أن تأخذ منها نبراسًا لها في حياتها وسلوكها، ولأن في تلك الأحداث،دروس وحكم، وعظات وعبر ، نستفيد منها:

الدس الأول: أنه كلما كان الداعية أو المصلح أو الزعيم ، من نسب رفيع في قومه ، كان ذلك أدعى لقبول الناس له ، واستجابتهم له ، وتنفيذا لأوامره ، لأن من عادة الناس أن يزدروا أولئك الدعاة ، وأولئك المصلحين ، إذا كانوا من أسر وضيعة ، أو بيوت مغمورة ، لذلك فقد كان أول سؤال يسأل عنه هرقل: كيف نسبه فيكم؟ ، والصحيح أن الإسلام لا يقدم هذه الأمور،على تلك الأعمال الصالحة، التي يقوم بها الإنسان، لأن الميزان هو التقوى، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

والنبي ﷺ قد وضّح هذا الميزان بقوله : «**إن الله قد أذهب عنكم عُبية الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، الناس لآدم ، وآدم من تراب** » .

ولهذا فإن الإسلام قد تبرأ من أبي لهب ، الحسيب النسيب ، عم الرسول ﷺ ، وأخبر أنه سيدخل جهنم مع الداخلين ، بينما اعتبر سلمان الفارسي من أهل البيت فقال ﷺ : «**سلمان منا أهل البيت**» ولكن مع هذا التواضع لا يمنع ولا يتعارض أن يجمع الإنسان بين أمرين: بين الحسب والنسب ، وبين التقوى والإيمان ، لأن الشرف المقصود في هذه الأحاديث ، والذي نريده ونحبذه ، هو الذي يأتي بمعنى الطهر والعفاف ، ويكشف عن خبايا الأنفس الجميلة ، والفطر السليمة ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : «**الناس معادن ، كمعادن الذهب والفضة ، وخيارهم في الجاهلية ، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**» ويقول ﷺ في الزواج : « **تخيروا لنطفكم ، فإن العرق دساس**» ولهذا جمع النبي ﷺ بين هذه الأمور جميعًا ، ونال شرف قومه وقبيلته بين العرب جميعًا.

الدرس الثاني: عاش ﷺ في مكة يتيمًا،فمات أبوه وأمه حامل به بشهرين ، ولما أصبح له من العمر ست سنوات ، ماتت أمه آمنة بنت وهب ، فذاق ﷺ في صغره مرارة الحرمان ، من عطف الأبوين وحنانهما ، لذلك أثرت فيه هذه الحياة المريرة ، فكان أكثر الناس إحساسا بالمعاني الإنسانية النبيلة ، وامتلأ بالعواطف الرحيمة ، نحو الفقراء والمساكين واليتامى والمعذبين ، ولهذا كان ينادي بحقوق الإنسان والمضطهدين ، فالتف حوله ﷺ أولئك الفقراء والكادحين ،كأمثال بلال وعمار ، وصهيب وسلمان - رضي الله عنهم - ، ثم جاء إليه كفار قريش وسادتها وكبرائها ، وطلبوا منه شرطا قبل إسلامهم ، وهو ألاَّ يجلس مع أولئك الفقراء المسحوقين ، وكاد أن يفعل ، لولا أن الله عاتبه من فوق سبع سموات ، كما جاء في رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، أنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر ، فقال المشركون : يا محمد أطرد هؤلاء من عندك ، فلا يجترؤن علينا ، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء له أن يقع ، فحدّث نفسه في ذلك ، حتى نزل قوله تعالى:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾ [الكهف : ٢٨] ، بعد هذه الآية ، استجاب النبي ﷺ لأمر ربه ، والتف حول أصحابه الفقراء الكادحين ، فقد كان رحيمًا بهم ، وبالأيتام الذين حرموا عطف الوالدين ، لأنه جرب حياة الفقر والحرمان ، وعاش يتيمًا منذ الوهلة الأولى ، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾ [الضحى : ١١-٦] .

الدرس الثالث: لقد عاش النبي ﷺ في السنوات الأولى من طفولته في الصحراء ، في بني سعد ، فنشأ قوي البنية ، سليم الجسم ، فصيح اللسان ، تفتحت مواهبه على صفاء الصحراء وهدوئها ، وإشراق شمسها وبزوغ فجرها ، وهكذا يجب أن يعيش أولئك الدعاة إلى الله والمصلحين،في هذه البيئة السليمة، من الفطر السليمة ، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى عندما اختار أبناء الجزيرة العربية ، لأداء الرسالة الخالدة ، فإنه لم يخترهم صدفة ، ولا عبثاً ، بل كان اختيارهم لأنهم كانوا أصفى نفوسا ، وأسلم تفكيرًا ، وأرجح عقولاً ، وأكثر احتمالاً لمكاره الحروب وويلاتها ، ولا يتأهل لهذا المركز القيادي في الأمة ، إلاّ العظماء والعباقرة ، كما هو الحال بالنسبة لرسولنا عليه الصلاة والسلام ، الذي عرف بذكائه ونجابته ورجاحة عقله منذ صغره ، ولم يدرك هذه الحقيقة ، وهذه الخصِّيصة ، التي عرف بها ، إلاّ جده عبد المطلب ، فقد كان إذا أتى إليه ، وهو جالس حول الكعبة ، يبسط له الفراش ، لكن أعمامه كانوا يحاولون إبعاده عن فراش أبيهم ، حتى لا يؤذيه ، فكان يقول لهم عبد المطلب دعوا بني هذا ، فوالله إن له لشأن ، وما هي إلاّ أيام وسنوات ، حتى أصبح شأنه في العالمين ، وأنقذ البشرية من وحل الطين ، ونشر به العدل والسلام في العالم الحيران ، ولذلك وضعه الكاتب الأمريكي « مايكل هرز » في كتابه الأوائل ، في المركز الأول ،

وقال: إني أعلم أن وضعي لمحمد - ﷺ - في المركز الأول، سيجرح شعور الشعب الأمريكي، ولكنها الحقيقة. لماذا؟، لأنه من العظماء، ورسول من الأذكياء والعباقرة، أما أولئك الأغبياء والبلداء والشاذون في آرائهم وأفكارهم ومعتقداتهم والذين أسسوا الأفكار الهدامة، والأحزاب العلمانية، لا مجال لهم بين الأذكياء والعباقرة والعظماء، ولا يستحقون أن يذكروا في التاريخ، ولا أن يصلوا إلى أماكن الصدارة والقيادة في الأمة، بل سجلهم التاريخ في مزبلته، أما رسولنا عليه الصلاة والسلام، فقد شهد له كل المنصفين في العالم، بأنه ناجح في دعوته ورسالته. وما تزال حتى الآن، آثار الإسلام ومبادئه، تشهد له في الجزيرة العربية وما حولها، بل تصل أفكاره وتتغلغل الآن، في قعر أوروبا وما حولها، وتجد قبولاً ورواجًا واسعًا بين الغربيين والأوروبيين، ويدخلون في دين الله أفواجًا، أما أولئك الذين أسسوا الأفكار الهدامة، والأحزاب العلمانية، فسرعان ما تهوى بهم أفكارهم إلى الحضيض، ويتخلى الناس عنها ولو بعد حين، كما رأينا تلك الأحزاب اليسارية، تسقط إلى الهاوية، ورأينا تلك الأصنام الجاهلية، تسقط من عليائها، ويسقط معها رمز الظلم والطغيان، أما محمد ﷺ فيكفيه فخراً وشرفًا، قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٤٥) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً (٤٦)** ﴾ [الأحزاب: ٤٥ ، ٤٦] ،وقوله أيضاً : ﴿ **فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩)** ﴾ [النمل : ٧٩] .

الدرس الرابع: فقد كان النبي ﷺ يرعى الأغنام لأهل مكة، بقراريط يأخذها أجرا على ذلك، لما ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«ما من نبي إلاّ وقد رعى الغنم»**، قالوا: وأنت يا رسول الله؟، قال: **« نعم، فقد رعيتها لأهل مكة على قراريط»** ولما بلغ عمره خمسة وعشرين عاماً، عمل في التجارة لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهكذا نستشف من حياته العملية أنه كان يعتمد على نفسه، في تسبيب رزقه ومعيشته، ولم يكن عالة على الآخرين، ولقد سار على نهجه

وطريقته وآثاره ، خلفاؤه من بعده،كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أجمعين، فيخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه في اليوم الثاني من توليه الخلافة إلى السوق ، لكي يبتاع ويشتري ، ويطعم أبنائه من رزق حلال ، أما اليوم ماذا نقول عن أولئك الذين نصبوا أنفسهم دعاة وحماة لهذه الأمة ، والذين امتصوا دماء شعوبهم وأمتهم ، فنقول لهم: من أين لكم هذا؟ من أين لكم هذه الأموال ، وهذه القصور الشاهقة؟ ، من أين لكم هذه السيارات الفارهة؟ ، ألم يعلموا أن رسول الله ﷺ أعظم رجل في التاريخ ، والذي كان يملك دولة من المحيط إلى الخليج ، ومع ذلك كان يعيش على خبز وشعير ، ويسكن في بيت من الطين ، كما يصفها أحد القائلين:

كفاك عن كل قصر شاهق عمد ... بيت من الطين أو كهف من العلم
تبنى الفضائل أبراجا مشيدة ... نصب الخيام التي من أروع الخيم

فقد كان ﷺ يربط على بطنه الحجر من شدة الجوع ، فتقول عائشة رضي الله عنها : **«إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلّة ، وما أوقد في أبيات النبي ﷺ نارا ، إلا الأسودان :التمر والماء »**.

ولهذا يدخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى بيت النبي ﷺ ، فيجده وهو نائم على حصير ، فقام وقد أثر الحصير على جنبه ﷺ ، فيبكي عمر ويقول: يا رسول الله ، ادع الله أن يوسع عليك وعلى أمتك ، فإن فارس والروم ، قد وسع الله عليهم وهم لا يؤمنون ، فغضب النبي ﷺ غضبا شديداً وقال : **« أو في شك أنت يا بن الخطاب ؟ إن أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا »** ، وكأنه بذلك يريد أن يوجه رسالة صادقة إلى كل الزعماء والأمراء والعلماء والدعاة من بعده، أن يربئوا بأنفسهم عن ملذات الدنيا وشهواتها، لأن الذي يشتغل بنفسه ، لا يستطيع أن يقدم شيئًا لأمته ودينه أو وطنه، أما رسولنا عليه الصلاة والسلام ، فقد نذر نفسه لخدمة الإسلام.

الدرس الخامس: فإن النبي ﷺ لم يشارك أصحاب الجاهلية ، في لهوهم وعبثهم ، ولم يشارك قومه في عبادة الأوثان والأصنام ، ولم يشرب خمرا قط ، ولا لعب قمارا ، ولا عرف عنه فحش بذئ ، وقد روي عنه في كتب السير أنه سمع يوما عن حفلة عرس ستقام في مكة ، فأراد أن يشهدها ، لكن الله عز وجل قذف عليه النوم ، فنام في تلك الليلة حتى الصباح ، وما أيقظه إلاَّ حر الشمس ، وعليه نقول : لأولئك الذين سخروا مناصبهم وأموالهم ، ووجاهتهم في خدمة أوكار الفساد ، ونشر الرذيلة بين الناس ، فأقاموا المسارح والنوادي والحفلات ، وشيدوا الملاعب والملاهي والمقاهي ، خدمة في سبيل الشيطان ، ولو كان يعلم هؤلاء الفجار ، حياة الطهر والعفاف ، التي عاشها النبي ﷺ ، لما رضوا لأنفسهم أن يعيشوا حياة الخزي والعار ، يقول تعالى في وصف أمثال أولئك المغفلين: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧)** ﴾ [الشعراء : ٢٠٥ – ٢٠٧] .

إن تلك الأعمال الإباحية التي قاموا بها ستكون وبالا عليهم، وسوف تحرمهم من الجنة التي أعدت للمتقين،قال تعالى :﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)** ﴾ [السجدة :١٢ – ١٣] .

إذا الوصول إلى الجنة ، وتحقيق المكاسب للأمة ، لا يكون بإقامة الحفلات ، وافتتاح الملاعب والملاهي والمنتديات ، وإنما يكون بالصبر والتضحيات ، وهكذا يجب أن يقتدي حكام المسلمين ، برسولهم العظيم ، فلا يشهدون أماكن اللهو والفجور والمجون ، التي لم يشهدها رسول الله ﷺ في مكة ، فالأمة اليوم لا تريد من حكامها بناء المسارح والملاعب والمنتزهات ، ولا تريد منهم إقامة الحفلات والسمرات ، والمدن السياحية ، وإنما تريد منهم إقامة الصلوات ، وإيتاء الزكوات ،

وتوفير الماء والدواء والكساء للفقراء والمحتاجين من أبناء الأمة ، نريد منهم تربية الأجيال ، تربية دينية جهادية محمدية ، لأن الرسول ﷺ أراد لأتباعه أن يكونوا قادة وسادة للبشرية ، ولهذا يخرج حنظلة الغسيل في ليلة عرسه ، وهو على جنابة،ثم يقتل في سبيل الله، فيقول عليه الصلاة والسلام وهو يلتفت إلى السماء : **«والذي نفسي بيده ، إني لأرى الملائكة تُغسِّل حنظلة بين السماء والأرض »** ويذهب عبد الله بن عمرو الأنصاري والد جابر إلى أرض المعركة ، فيقتل هناك ، فيبكي ابنه جابر ﵁،فيقول له ﷺ : **«ابكي أو لا تبكي يا جابر ، فوالذي نفسي بيده ، ما تزال الملائكة تظل أباك بأجنحتها حتى رفعته ، والذي نفسي بيده ، لقد كلم الله أباك كفاحًا بلا ترجمان ، فقال له : تمنى يا عبدي ، فقال : أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا فأُقتل فيك ثانية ، عند ذلك يقول الله عز وجل : إني كتبت على نفسي ، أنهم إليها لا يرجعون ، قال : فتمنى قال : أتمنى أن ترضى عني ، فإني قد رضيت ، فيقول الله له : إني قد أحللت عليك رضواني لا أسخط عليك بعده أبداً »** ، هكذا كانت تربية محمد ﷺ ، أما تربية هؤلاء وأولئك ، فهي على العود والسجارة ، والفنون الجميلة ، والرقصات الشعبية والتراثية .

تعريف بالرسول ﷺ :

إن كل زعيم أو أمير في الأرض ، لا بد أن يناله شيء من التعظيم والتبجيل ، وأن يكتب اسمه في تاريخ العظماء والمبدعين ، وأن يسجل تاريخ حياته منذ ولادته إلى وفاته ، وماذا يأكل وماذا يشرب ، ومعلوم أن هذا التبجيل والتعظيم ، قد يكون لإنسان حقير ، لا قيمة له ولا وزن ، أو يكون لإنسان لا خلاق له عند الله ، أو يكون لإنسان خبيث ، قد عرف بعدائه للإسلام وأهله ، والذي ينبغي شرعا ويجب ، أن يعرض هؤلاء المبجلين والمعظمين على شرع الله ، ليضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، ولقد كان محمد ﷺ هو ذلك الرجل المطلوب

والمؤهل ، أن يكون قائدا للأمة وسيدا للبشرية ، كيف لا؟ ، وهو الذي حمل أعظم رسالة في التاريخ ، انبعثت منها أشعة الحق المبين ، لتضئ للناس أجمعين ، ولهذا فقد كانت رسالته ، رسالة عالمية ، موجهة إلى الشرق والغرب ، وإلى الأبيض والأسود ، لا تعرف الحدود ولا القيود بين الأمم والشعوب ، فقد جاءت بعثته ورسالته ﷺ في وسط أمة عربية جاهلية ، تعبد الأصنام وتستغيث بالأحجار ، فكان أول ما دعا هم إليه شهادة الا إله إلا الله ، فقالوا تعجبًا: ﴿ **أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴿٥﴾ ﴾ [ص: ٥]،والحقيقة أن ذلك الصراع ، لم يكن بينه وبين قريش على سيادة أرضية ، أو على السلطة السياسية ، أو على شرف القبيلة ، أو سدانة البيت ، أو على الثروة الاقتصادية التي كانت تملكها قريش،كلا،وإنما كان الصراع من أجل لا إله إلا الله، و ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾، هذه العقيدة التي جلبت له العداء ، من قبل السادة والعامة ، وظل مصراً عليها حتى أذن الله لها أن تلامس قلوبًا مفعمة بالإيمان، لقد كان ﷺ في وسعه أن يبدأ بالمشكلات الداخلية أو الخارجية ، أو يبدأ بالمشكلات الاجتماعية أو الأخلاقية ، لكنه أبدا لم يهادن على حساب دينه وعقيدته التي آمن بها ، ولم يخش من ردود الأفعال المتشنجة ، لأنه لم يكن زعيمًا ثوريًا ولا قائداً عنصريًا ، يعمل لحسابه الخاص ، بل كان نبيًا مرسلاً ، كما قال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ [الأحزاب :٤٠] ، ومع ذلك أراد بعض الحاقدين على رسولنا عليه الصلاة والسلام ، أن ينالوا شيئًا من شرفه ومكانته وسمعته بين الأمم ، فقالوا عنه: ساحر كذاب ، وقالوا: محمد بدوي لا يعرف علم الاجتماع ولا علم الاقتصاد ولا علم السياسة ، وقال بعضهم: إن محمداً أسبغ على دعوته الجديدة ، صفة الديانة والعبادة ، لكي يستطيع من خلالها أن يتخلص من تلكم العادات القديمة ، والأعراف الجاهلية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية ، أي أن بعثته عليه الصلاة والسلام حسب قولهم ، لم تكن رسالة خالدة ، ولم تكن هبة ربانية ، أو وحي مرسل ، وإنما كانت دعوة تبشيرية أو

فكـرة حزبية ، تقـوم على أساس العنصرية أو الطائفية ، والله عز وجـل يقـول : ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴾ [يوسف : ١١١] ، وقال تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ [النجم: ٢-٤] ، ولذلك عاتب الله عز وجل أولئك المعرضين والمتخلفين عنه من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾ [التوبة: ١٢٠] إذًا فاحذروا أيها المؤمنون: أن تخالفوا أمرا من أمره، أو نهيا من نهيه، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.
[النور :٦٣] .

البـــدع في شهر رجب

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد أيها المسلمون :

إن الله سبحانه وتعالى قد أكمل لكم هذا الدين العظيم ، وكان ذلك يوم أن نزل جبريل عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] .

وقد كانت بعثته عليه الصلاة والسلام ختماً لشرائع الإسلام كما قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)** ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

فالنبي ﷺ لم يفارق هذه الأمة إلا بعد أن كملت به شرائع الإسلام ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : « **تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك** » ، وقال أيضاً : « **تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبداً : كتابَ الله وسُنَّتي** » . وجاء في السُنن من قوله عليه الصلاة والسلام : « **عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار** » . ولكن ـ مع الأسف ـ هذه التوجيهات ، وهذه الوصايا لم يستفد منها كثير من المسلمين في علاقتهم مع ربهم ، وإلا ماذا نفسر ما يحدث الآن في شهر رجب من البدع والمنكرات ، وكذلك ما يحدث في المواسم والأعياد والاحتفالات ، حينما يأتي أمثال أولئك المتعالمين ، ويضعون

تنظيراً خاصاً للبدع والفساد ، حسب نظرياتهم وأهوائهم ، ومن خلالها يقسمون البدعة إلى أقسام كثيرة ، من أشهرها : بدعة حسنة ، وبدعة سيئة أو قبيحة . ويستدلون بحديث مشهور : **«من سَنَّ سُنَّة حسنة في الإسلام ، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة »** ، وحديث آخر : **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه إلى يوم القيامة ، لا ينقص من أجورهم شيئاً »** وكذلك يستدلون بقول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح :«نعمت البدعة هذه» . ولكن أقول : إن الصحيح والوارد من أقوال العلماء ، أنه لا تقسيم بين البدع بشتى أنواعها ، وأنها كلها حرام ومذمومة ، استناداً إلى قوله عليه الصلاة والسلام : **«إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار »** ، ولكنها تتفاوت من حيث تحريمها من بدعة إلى أخرى،فمنها ما يؤدي إلى الكفر والخروج من دائرة الإسلام، كالاستغاثة بغير الله ، أو الحكم بغير ما أنزل الله، ومنها ما يؤدي إلى الذنوب والمعاصي ، كالاحتفال بمولد الرسول ﷺ ، أو بالأعياد الوطنية أو التاريخية ؛ **أما قول عمر** رضي الله عنه **في** صلاة التراويح : **«نعمت البدعة هذه »** فذلك تسمية لغوية لا شرعية ؛ لأن الرسول ﷺ كان قد سنَّها في حياته قبل ذلك ، وإنما كان دور عمر رضي الله عنه أنه أحياها بعد ما أماتها الناس ، ولم يأت بشيء جديد من عنده ، وكذلك ينطبق هذا على الحديث السابق : **«من سَنَّ سُنَّة حسنة في الإسلام ، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة »** أي أن هذه السُّنَّة الحسنة كانت في أصلها موجودة في الإسلام ، ولكن الناس قد تركوها وأهملوها، فجاء هذا الإنسان الذي يريد الخير لنفسه ، فأحياها بعد أن أماتها الناس ،كسُنَّة الاعتكاف مثلاً في هذا الزمان ، ولكن بعض المسلمين اليوم ، أصبحوا الآن :يفسرون الأحاديث ويقلبونها حسب أهوائهم وآرائهم ، ويستندون على أدلة واهية أوهي من بيوت العناكب .

ولا أكون مبالغاً إذا قلت أنهم قد وضعوا لكل شهر أو عبادة مخصوصة ، بدعاً مخصوصة ، ودللوا عليها بكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة . ومن

أشهر تلك البدع التي ظهرت وانتشرت بين الناس: ما يحصل في شهر رجب من بدع ومنكرات نراها في كل عام تزداد ، فهم يخصون هذا الشهر بمزيد من الفضل والطاعات ، ولهذا جمعوا كثيراً من الأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضله ، وفي حكم تخصيصه على غيره من الشهور والأعوام ، ويستدلون على ذلك بحديث مكذوب : «**من صلى وصام في رجب ربح تجارة واكتسب**» وحديث آخر من علامة كذبه أنهم يقولون : «**فضل رجب على الشهور كفضل القمر على سائر الكواكب**» وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمكذوبة التي فنّدها العلماء وردّوها على أصحابها، من ذلك يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله : «**لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه شيء معيّن**».

وكذلك قال ابن القيم رحمه الله : «**وكل حديث في ذكر صوم رجب أو الصلاة فيه ، فهو حديث مكذوب ومفترى**» وقد ثبت أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «كان يكره أن يستعد الناس لشهر رجب» وذلك لأن أصحاب الجاهلية كانوا يعظمونه ، ويحتفلون به أكثر من غيره من الشهور ، ولهذا كره ابن عمر ذلك الاهتمام الزائد بشهر رجب . ونحن بذلك لا ننكر ، ولا ننفي أن شهر رجب له فضل ومزية عند الله ؛ لأنه من الأشهر الحرم كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ** ﴾ [التوبة :٣٦] ، فهذا نسلّم به ولا ننكره ، ونعلم أن المقصود من تعظيمه : عدم القتال فيه . ولكن الذي نرفضه ولا نحبذه : ما يحدث في هذا الشهر من بدع ومنكرات ، ومن تخصيصه بمزيد من الطاعات والعبادات ؛ لأنهم بجهلهم هذا قد اتخذوه عيداً ، ومارسوا فيه أنواعاً شتى من البدع والمحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، منها على سبيل المثال:

[١] أداء صلاة مخصوصة في أول جمعة من رجب ، يسمونها صلاة الرغائب ، والأصل فيها حديث موضوع ومكذوب لا أصل له ، رواه ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال عنه الشوكاني رحمه الله : موضوع ، ورجاله مجهولون .

وأما صفتها حسبما يروّجون لها في الحديث الموضوع : أنها تصلى اثنتي عشرة ركعة ، في أول خميس من رجب ، في ليلة الجمعة ، ما بين المغرب والعشاء . ويقول من يفعلها في سجوده : سُبُّوح قُدُّوس رب الملائكة والروح سبعين مرة . فإذا رفع من سجوده يقول : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم ، إنك أنت الله الأعز الأكرم سبعين مرة . ولا شك ولا ريب أن هذه الصلاة ، بهذه الكيفية التي أوردناها ، صلاة باطلة لا أصل لها ، قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وأما صلاة الرغائب فلا أصل لها ، بل هي بدعة محدثة ، فلا تستحب جماعة ولا فرادى » وقال عنها أيضاً : « صلاة الرغائب بدعة لم يسُنَّها رسول الله ﷺ ولا أحد من خلفائه الكرام ، ولم يستحبها أحد من أئمة الدين كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد ، وغيرهم من أئمة الهدى ومصابيح العلم والدين ، المعروفين والمشهورين بين المسلمين » .

وسئل الإمام النووي ـ رحمه الله ـ عن صلاة الرغائب : هل هي سُنَّة ، أم بدعة ؟ فقال : « هي بدعة قبيحة منكرة ، أنكرها العلماء ولم يفعلها أحد من أئمة الهدى، وإنما أحدثها المحدثون في العصور المتأخرة » . وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « **إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار** » . وأما تخصيصها في ليلة الجمعة ، فقد ثبت عند مسلم في صحيحه ، أن رسول الله ﷺ نهى أن تخص ليلة الجمعة بقيام ليلها ، أو صيام نهارها .

وكذلك من البدع التي أحدثت في شهر رجب :

[٢] الاحتفال بليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، والاعتقاد بأنها ليلة الإسراء والمعراج :وهذا زعم باطل لا أساس له ، ولا يقوم عليه دليل أو برهان ؛ لأنه لم يثبت قطعاً أن حادثة الإسراء والمعراج كانت في تلك الليلة ، وقد اختلف العلماء في تحديدها اختلافاً واسعاً ، فمنهم من يقول : إنها كانت في شهر ربيع الأول ، ومنهم من يقول : إنها كانت في شهر رمضان ، وأخيراً من يقول : إنها

في رجب .والصحيح من ذلك كله أنه لم يقم عليها دليل معلوم، لا على شهرها، ولا على عشرها ، ولا على عينها ، بل النقول فيها منقطعة ومختلف عليها ، ولكن بعض المسلمين اليوم ما يزالون مصرّين على الاحتفال بها ، ويمارسون فيها أنواعاً شتى من البدع والخرافات ، فيجتمعون في ليلتها المزعومة على هيئة حلقات وجماعات ، ويذبحون فيها ذبيحة تسمى عندهم الرجبية نسبة إلى رجب . وقد كان أصحاب الجاهلية يفعلون ذلك ؛ تعظيماً لشهر رجب ، ويكثرون فيه من إراقة الدماء ، وتسمى عندهم العتيرة . ولـمّا جاء الإسلام أقرها النبي ﷺ في أول الأمر ،كما جاء في حديث لقيط بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله ، إنا كنا نذبح ذبائح في الجاهلية في رجب ، ونأكل منها ، ونطعم من جاءنا، فقال عليه الصلاة والسلام : «**لا بأس به**» رواه النسائي في سُننه وابن حبان في صحيحه،وروى الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ سئل عن العتيرة، فقال : «العتيرة حق» . ولكن بعد ذلك جاء التحريم فيها ، ونسخ ما قبلها من أحكام ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : «**لا فرع ولا عتيرة**» والفرع: هو أول مولود تلده الناقة ، وأما العتيرة : فهو ما كان يذبحه أصحاب الجاهلية في شهر رجب ؛ تعظيماً له ولآلهتهم وأصنامهم.

ومن البدع أيضاً في شهر رجب :

[٣] الإكثار فيه من الصيام والقيام والزيارة والعمرة ، فبعضهم يصوم الشهر كله ، والبعض الآخر يحدد أياماً منه ثمانية أو تسعة أيام وكأنها سنّة آكدة ، وهذا كله باطل لا أصل له ، كما جاء في حديث زيد بن أسلم رضي الله عنه أنه ذكر للنبي ﷺ أن قوماً يصومون رجباً ، فقال: أين هم من شعبان « بمعنى أن شعبان أفضل لهم بالصيام من رجب ، ولهذا ورد نهي عن صيام شهر بأكمله غير رمضان ، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «**ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل شهراً قط إلا رمضان**»،وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أنه كان يضرب أيدي الناس في رجب ، ويضعها في الطعام ويقول لهم : لا تشبّهوه

برمضان » . وقد كره أنس وسعيد بن جبير والإمام أحمد ، أن يكثر الإنسان من الصيام في شهر رجب ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «**إن تعظيم** شهر رجب من الأمور المحدثة التي ينبغي اجتنابها » .

وعليه يتبين لنا من أقوال العلماء ، ومن سلف هذه الأمة ، أنه لا يجوز تخصيص شهر رجب بمزيد من صلاة أو صيام ؛ لأن في ذلك بدعة لم يأمر بها النبي ﷺ ، ولم يفعلها أحد من صحابته ولا خلفائه الكرام ، ولكن أحدثها المحدثون من بعدهم، الذين يلهثون وراء كل ناعق ، ومن هؤلاء من يفضل العمرة في شهر رجب ، وقد يكون لهم مبرراً في ذلك ؛ لأنه نقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يحب الاعتمار في شهر رجب ، ولكن هذا استدلال باطل ولا دليل عليه ، والصحيح والوارد أن أفضل عمرة تكون في رمضان وليست في رجب ، كما قال ﷺ في الصحيحين : «**عمرة في رمضان تعدل حجة** » .

وأخيراً :

لابد أن نشير إلى بدعة رائجة في شهر رجب ، تحصل في بلاد اليمن من كل عام ، وهي :

[٤] الذهاب إلى مسجد الجند في أول جمعة من رجب ، ويعتقدون أن ذلك يعدل حجة وعمرة ، ويسمى عندهم حج المساكين ، ويستدلون بأحاديث ضعيفة وموضوعة ومكذوبة ، بل جعلوا واستغلوا الحديث الصحيح ، الذي يقول فيه النبي ﷺ : «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى**» فاضافوا إليه بزعمهم وكذبهم مسجداً رابعاً، وقالوا : لا تشد الرحال إلا إلى أربعة مساجد ، ومنها مسجد الجند أو معاذ الذي يحجون إليه في كل عام في مدينة تعز . ومن جهلهم وسخافة عقولهم لا ندري متى نقلت المشاعر المقدسة من بلاد الحرمين والحجاز إلى مدينة تعز في اليمن ، أو إلى مدينة النجف وكربلاء في العراق ؟! . . والله المستعان على ما يصفون .



آثار البدع ونتائجها :

إذاً أيها المسلمون : إن حديثنا عن البدع والاستغراق في محاربتها ، ما هو إلا دليل على خطرها ، ومدى تأثيرها على الأفراد والمجتمعات ، وذلك لما للبدعة من آثار سيئة وقبيحة ، من تلكم الآثار :

[١] اتهام الرسول ﷺ بالخلل والتقصير في تبليغ رسالة ربه إلى العالمين :
وكان المبتدع يريد أن يقول للناس : إن رسولكم محمد ﷺ لم يبلغكم شرائع الإسلام كاملة ، أو إنه قد أخفى أو كتم عليكم كثيراً من المسائل الشرعية والعلوم الإنسانية . وهذا باطل ومحال في حق رسولنا عليه الصلاة والسلام، وهو القائل : «**إنه ما من نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم** » .

وروى الطبراني في الكبير من قوله عليه الصلاة والسلام : «**ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ، ويبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه**» ، ولكن من يتهم الرسول ﷺ بالتقصير في تبليغ رسالة ربه، ما هو إلا كذاب أشر ؛ ولهذا يقول ابن الماجشون رحمه الله : سمعت مالكاً يقول : « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة ، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] .

والمصيبة الكبرى أن يختلق الإنسان بدعة في الدين ، ثم يأتي لها بحديث موضوع أو مكذوب ، فهذا يكون قد ارتكب معصيتين : المعصية الأولى أنه قد اختلق بدعة محدثة ، والثانية أنه كذب على رسول الله ﷺ وهو القائل : «**من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**» ، وقال ﷺ : «**من حدّث عنّي بحديث يرى أنه كذباً فهو أحد الكاذبين**» لأن الرسول ﷺ لم يترك لهم باباً من الخير إلا وقد دلهم وسبقهم إليه ؛ ولهذا في حجة الوداع أشهدهم على أنفسهم ،

وقال لهم : **«أيها الناس ، إنكم تسألون عني ، فماذا أنتم قائلون؟ ، قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فكان يرفع إصبعه إلى السماء ، ثم يشير بها إلى الناس وهو يقول : اللهم إني قد بلغت ، اللهم فاشهد ، اللهم إني قد بلغت ، اللهم فاشهد ، اللهم إني قد بلغت ، اللهم فاشهد »** .

وكذلك من آثار البدع :

[٢] انطماس السُنن وإحياء البدع: فكلما أحيا الناس بدعة انطمس على إثرها سُنَّة مؤكدة ، ولهذا كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم» أي إنما جاء في الكتاب والسُّنَّة يسدّ الباب أمام المتأوّلين والمبتدعين ، الذين كانو سبباً في زوال كثير من السُنن ،كما يرى ذلك ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: « ما أتى على الناس عام إلا وأحدثوا فيه بدعة ، وأماتوا فيه سُنَّة ، حتى تحيا البدع وتموت السُنن » رواه الطبراني وابن وضاح . وأخرج الإمام أحمد والبزار من حديث غظيف بن الحارث مرفوعاً : **«ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السُنَّة »** وعنه أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام :**«ما من أمة ابتدعت في دينها بعد نبيها إلا أضاعت مثلها من السُنن»** وقيل عن الأوزاعي عن حسان أنه قال : « ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ، ثم لا تعود إليهم إلى يوم القيامة ».

وهنا يكمن الخطر: عندما يموت العلماء تظهر البدع والفتن ، كما قال ﷺ : **«لا يقبض الله العلم انتزاعاً ينتزعه من قلوب العلماء ، ولكن يقبضه بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوسا جهالاً ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا »** .

ونحن أيها الأخوة فقد أصبحنا في هذا الزمان نعاني من هؤلاء الجهال ، الذين يروجون لأهوائهم وبدعهم ؛ ولهذا يجب أن نحذر منهم . لأن الرسول ﷺ وصفهم بقوله : « دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها » ، ولهذا

يستحقون أشد العقوبات لما قاموا به من بدع ومحدثات ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** (١١٥) ﴾ [النساء: ١١٥] .

وكذلك من آثار البدع على الناس :

[٣] تفريق الأمة إلى طوائف ومذاهب وأحزاب : كما قال تعالى :﴿ **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** (٥٣) ﴾ [المؤمنون :٥٣] ،وكل بدعة لها منظرون ومعجبون ولذلك نهى الله عز وجل عن البدع المحدثات ؛ لأنها تفرق الأمة إلى أحزاب ودويلات ، وتزرع الاختلافات ، كما قال تعالى محذراً عن ذلك : ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ** ﴾ [آل عمران :١٠٥]، وقال أيضاً في آية أخرى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** (١٥٩) ﴾ [الأنعام : ١٥٩] ، ثم بعد ذلك أمرهم بطريق واحد :أن يتبعوه، ولا يتبعوا أهواء الذين لا يعلمون ، فقال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (١٥٣) ﴾[الأنعام :١٥٣].

ولهذا يقول ابن تيمية رحمه الله : إذا ترك الناس بعض ما أنزل إليهم جهلاً أو هوى ، وقعت بينهم العداوة والبغضاء . وقد كان من جراء تلك البدع التي فرقت هذه الأمة إلى دويلات وأحزاب ، وجعلتها إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كما قال ﷺ : «**افترقت اليهود والنصارى على إحدى وسبعين فرقة ، أو اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة** . قالوا : وما هي يا رسول الله ؟، قال: **ما أنا عليه اليوم وأصحابي** » . نسأل الله عز وجل أن يحشرنا معهم وفي زمرتهم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .



الإســـراء والمعـــراج

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد : أيها المسلمون:

إن لكل حدث حديثا ولكل قيل مقالاً ، وها نحن اليوم نحدثكم عن أمر عظيم ورحلة عظيمة في تاريخ الإسلام المجيد ، وفي تاريخ الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، ألا وهي رحلة الإسراء والمعراج ، تلك الرحلة المباركة التي أكرم الله عز وجل بها نبيه عليه الصلاة والسلام ، لتكون من أعظم المعجزات التي ظهرت للناس على يديه ، كما أيد غيره من الأنبياء والمرسلين بكثير من الآيات والمعجزات التي تبهر العقول وتملك القلوب ؛ فكانت النَّار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وتحولت عصى موسى ثعباناً مبيناً يلقف ما يأفكون ، أما نبينا عليه الصلاة والسلام فهو أكثرهم تأييداً بالمعجزات ، ويكفيه فخراً وشرفاً معجزة القرآن الكريم ، ومعجزة الإسراء والمعراج .

ونحن - أيها الإخوة - عندما نتحدث عن ذلك، لا يعني أننا نقرّ أولئك الذين يحتفلون بليلة السابع والعشرين من رجب ويعتقدون أنها ليلة الإسراء والمعراج ، فهذا زعم باطل لا أساس له ولا دليل عليه ؛ لأنه لم يثبت قطعاً أن حادثة الإسراء والمعراج كانت في تلك الليلة ، وقد اختلف العلماء في تحديدها اختلافاً واسعاً ، فمنهم من يقول : إنها كانت في شهر ربيع الأول ، ومنهم من يقول : إنها كانت في شهر رمضان، وهناك من يقول : إنها في شهر رجب . لقد اختلفت الروايات في تحديدها كثيراً ، ولكن الصحيح من ذلك كله أنه لم يقم عليها دليل معلوم ، لا على شهرها ، ولا على عشرها ، ولا على عينها ، بل النقول فيها منقطعة

ومختلف عليها ، ولو ثبت أنها في ليلة السابع والعشرين لما جاز الاحتفال بها ؛ لأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك ، ولا صحابته الكرام ، ولا التابعون لهم من سلف هذه الأمة ، ولكن بعض المسلمين اليوم ما يزالون مصرّين على الاحتفال بها ، ويمارسون فيها أنواعاً شتى من البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان : يجتمعون في ليلتها المزعومة على هيئة حلقات وجماعات ، ويذبحون فيها ذبيحة تسمى عندهم الرجبية نسبة إلى شهر رجب . وهذا في الحقيقة ما هو إلا فعل أصحاب الجاهلية ، الذين كانوا يعظمون شهر رجب ، ويريقون فيه الدماء ، وتسمى عندهم العتيرة فلمّا جاء الإسلام حرم ذلك ، ونهى رسول الله ﷺ عن ذلك بقوله : «**لا فرع ولا عتيرة**» والفرع : هو أول مولود تلده الناقة ، أمّا العتيرة فهي الذبيحة التي كانت معروفة عند أصحاب الجاهلية في شهر رجب ؛ تعظيماً له ولآلهتهم وأصنامهم .

عام الحزن :

ونحن ـ أيها الإخوة ـ بهذا الصدد : لا نريد الاستغراق في بيان أصناف البدع التي لحقت بمعجزة الإسراء والمعراج ؛ لأن هذا المقام ليس محل ذكرها الآن ، ولكن نريد من خلال ذلك أن نقف على أعظم ما في حياة الرسول ﷺ في تلك الرحلة المباركة التي جاءت بعد عام حزين يسمى عام الحزن ، ذلك العام الذي حزن فيه النبي ﷺ ؛ لأنه فقد ركنين من أركان الدعوة : زوجته خديجة رضي الله عنها ، وعمه أبا طالب. لقد كانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها مثالاً مشرقاً في تاريخ المرأة المسلمة ، حينما وقفت معه في أشد المواقف وأحلك الظروف ، وحينما أيدته وناصرته ، وكانت تهدئ من روعه وهو عائد من الغار فزعاً مرعوباً، فكانت تقول له : «**والله ، ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتُكرم الضيف ، وتُعين على نوائب الدهر**» .

وكذلك عمه أبو طالب حزن عليه ؛ لأنه كان يقف معه ويسانده ، ويمنع

قريشاً أن تؤذيه أو تمسه بسوء ، لكنه مع ذلك كان يخشى عليه من قريش وبطشها وتنكيلها ، فأراد أبو طالب أن يستعطف ابن أخيه ويستميله إلى ترك دعوته ، فقال له : يابن أخي ، إنك تعلم ما جئتَ به قريشاً : لقد غيّرت دينهم ، وسفهت عقولهم وأحلامهم ، وكذّبت آلهتهم ، وإني أخشى عليك منهم ، فهلاّ تركت ما تدعو إليه؟ ، عند ذلك ظن النبي ﷺ أن عمه سيخذله ، أو يتنازل عن نصرته ؛ فدمعت عيناه ، ثم قال : «**والله يا عم ، لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، أو أهلك دونه**». عندئذ تأثر أبو طالب لذلك الجواب ، وبتلك الإرادة القوية ، والهمة العالية التي يمتلكها ابن أخيه محمد ﷺ ، فقال له : يا بُني امضِ لما أمرك الله ، فوالله لن يصلوا إليك ما لم أوسد في التراب دفيناً .

انظروا إلى هذه المواقف الصعبة التي يثبت فيها الرجال والأبطال ، فالنبي ﷺ لم يكن يتوقع ما سيحدث له بعد وفاة عمه أبي طالب ، ولذلك لـمّا أحس بقوة الأذى وشدة الإيذاء واجه صدمة عنيفة ، وأصابه ما يصيب النفس البشرية من الشعور بالضعف والمهانة والحاجة إلى الآخرين ، يظهر ذلك في دعائه الذي ناجى به ربه بعد أن لقي من أهل الطائف ما جعله يرفع يديه إلى السماء ، ويقدم شكواه إلى الله ، وقد ذرفت عيناه بالدموع وهو يقول : «**اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت ربي ورب المستضعفين ، إلى من تكلني ، إلى قريب يتجهمني ، أم إلى بعيد ملّكته أمري ؟ .. ربي إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات**» ... الله أكبر ، في هذا الموقف العصيب سمع الله دعوته ، وأرسل إليه ملك الجبال ، فقال : «**يا محمد ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت** . فقال عليه الصلاة والسلام ، الرحيم بأمته : **لا يا ملك الجبال ، عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يقول : لا إله إلا الله** » .

إذن كل هذه الأحداث التي مرت بالنبي ﷺ بعد وفاة زوجته خديجة وعمه

أبي طالب جعلت النبي ﷺ يسمي ذلك العام بعام الحزن ، فأراد الله عز وجل أن يخفف من آلامه وأحزانه لفراق أعز أحبابه ، فأكرمه بمعجزة الإسراء والمعراج .

مجيء جبريل عليه السلام ومعه البراق :

وعندها جاء إليه جبريل عليه السلام في ليلة من الليالي ومعه البراق ، وقد كان النبي ﷺ متوسداً بردته تحت الكعبة عند الحطيم ، حطيم إسماعيل ، أي حجر إسماعيل ، ويقول بعض العلماء : إنه كان في بيت أم هانئ . والصحيح أنه كان عند الحطيم كما ورد في البخاري ، أما البراق إن أردتم أن تعرفوا ما جنسيته وماهيته ، فهو دابة فوق الحمار ودون البغل ، يسير بسرعة عجيبة ، ويقطع مسافات كبيرة ، يضع قدمه في مد بصره .

رحلة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس :

ثم بعد ذلك كملت الأسباب ، وتهيأ النبي ﷺ لسفر طويل ، فأمره جبريل أن يصعد على البراق الذي بدأ بالإقلاع في رحلة الإسراء من البيت الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في فلسطين ، ذلك المكان المبارك والمعظم ، الذي عظمه الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات ، حيث قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء : ١] ، إن أرض فلسطين كلها أرض مباركة مقدسة ، وليس الحرم فحسب ، بل كلها في حرمة وبركة تشملها إلى قيام الساعة ؛ لأن الله عز وجل يقول : ﴿ بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ .

وصول النبي ﷺ بيت المقدس واجتماعه بالأنبياء :

ومن هذه البركة التي شملت بيت المقدس ، ما إن وصل إليه النبي ﷺ ومعه جبريل عليه السلام ، فاستقبلته جموع حاشدة من الأنبياء والمرسلين مرحّبين به وبمقدمه

عليه الصلاة والسلام. يقول العلماء : عدد الرسل ثلاثمائة رسول ، وعدد الأنبياء أربعة وعشرون ألف نبي ، هؤلاء جميعاً كانوا في استقبال النبي ﷺ في بيت المقدس، واجتمعوا به في موقف هائل رهيب،وصلى بهم سيد الأولين والآخرين . صفوف من الأنبياء والمرسلين يؤمّهم محمد عليه الصلاة والسلام ، وفي يوم القيامة يؤتى من كل أمة بشهيد ، ويأتي رسولنا عليه الصلاة والسلام شهيداً على هؤلاء جميعاً كما قال تعالى : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا** (٤١) ﴾ [النساء: ٤١] ،ثم بعد ذلك يأتي جبريل عليه السلام بإنائين ، إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، فيختار ﷺ الإناء الذي فيه لبن ، فيقول جبريل عليه السلام : «**لقد هُديتَ وهَديت أمتك**» . وفي هذا أول إشارة إلى أن الخمر خبيث ، ولذلك لم يشرب به النبي ﷺ قط ، لا في جاهلية ولا في إسلام .

رحلة المعراج إلى السماء :

ثم بعد ذلك الامتحان الذي تجاوزه النبي عليه الصلاة والسلام ، جيء إليه بالمعراج ، والمعراج لا أحد يعرف حقيقته وكنهه إلا الله ، ولم يرد فيه دليل صحيح أو صريح ، غير أن العرب يطلقون اسم المعراج على السلالم والصعود إلى الأعلى ، بمعنى أن المعراج سلالم ، لكنها ليست كسلالم الأرض ، بل إنها سلالم السماء من نوع خاص ، اختص بها النبي ﷺ على غيره من البشر ، عند ذلك صعد فوق المعراج ، وما هي سوى لحظات حتى وصل إلى السماء ! .

انظروا إلى هذه الآيات وإلى هذه القدرة الآلهية التي تجلت في المعراج ، ولكنه عندما وصل إلى السماء الدنيا وجدها مقفلة مغلقة ، فيطرق جبريل عليه السلام الباب ، فيقول حارسها من الملائكة : من أنت ؟ ، فيقول : أنا جبريل ، فيقول : ومن معك ؟ ، يقول : معي محمد ، فيقول : ما أُمرت أن أفتح لغيره .

مشاهدات النبي ﷺ في السماء الدنيا:

عند ذلك يدخل النبي ﷺ السماء الدنيا ، ويشاهد من أهوالها وأحوالها العجائب والغرائب :

[١] شاهد الملائكة وهي دخان .

[٢] يرى رجلاً طويل الجسم ، طوله ستون ذراعاً في السماء ، وحوله سواد عظيم من الناس ، فإذا التفت عن يمينه ضحك ، وإذا التفت عن يساره بكى . فتعجب النبي ﷺ مما يرى ، ثم قال : ما هذا يا جبريل ؟! ، فيقول جبريل : هذا أبوك آدم . فيقول : وما الذي يضحكه ويبكيه ؟! ، فيقول : إذا التفت إلى يمنيه رأى ذريته الذين سيدخلون الجنة فيضحك ، وإذا التفت إلى يساره رأى ذريته الذين سيدخلون النار فيبكي .

[٣] ويرى كذلك أناساً يسبحون في نهر من دم ، حتى يأتون الشاطئ ، فتستقبلهم الملائكة وتلقمهم الحجارة،ثم يعودون مراراً وتكراراً في هذا العذاب. فيتعجب النبي ﷺ من ذلك ويقول : من هؤلاء يا جبريل ؟ فيقول : هؤلاء أكلة مال اليتامى .

[٤] ويرى رسول الله ﷺ رجالاً ذوي بطون كبيرة مستلقين على الأرض يطؤهم آل فرعون بأقدامهم عندما يذهبون إلى النار وعندما يعودون منها ، كما قال تعالى : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر:٤٦] ،عند ذلك يعجب النبي ﷺ من ذلك ويقول : من هؤلاء يا جبريل ؟! ، فيقول : هؤلاء أكلة الربا .

[٥] ويرى أيضاً رجالاً معهم طعام خبيث نتن رائحته كريهة ، ومعهم أيضاً طعام طيب لذيذ من ألذ المأكولات والمشروبات،فيتركون ذلك الطعام الجميل ويأكلون من الطعام الخبيث، فيتعجب النبي ﷺ من أولئك ويقول :من هؤلاء يا جبريل؟!فيقول :هؤلاء هم الزناة الذين يتركون الحلال الطيب ويذهبون إلى الحرام.

انتقال النبي ﷺ بين السموات :

ثم بعد ذلك ينتقل النبي عليه الصلاة والسلام إلى السماء الثانية،ويرى فيها سيدين من ولد آدم ، يرى فيها عيسى عليه السلام ويحيى بن زكريا عليهما السلام ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى السماء الثالثة ، ويرى فيها يوسف عليه السلام وقد أوتي شطر الجمال ، أي أن الجمال قُسِّم إلى شطرين : الشطر الأول للناس جميعاً ، والشطر الثاني ليوسف عليه السلام ، ولهذا قال ﷺ : «**فوالله ما رأيت أجمل منه ، رأيته أوتي شطر الجمال** » ولذلك لمّا دخل على النسوة انبهرن بجماله ﴿ **فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾ [يوسف : ٣١] ، والتقطيع الحاصل هو تكرار القطع ، فلو أن الله عز وجل قال : وقطعن أيديهن لكان القطع مرة واحدة ، لكنه قال : ﴿ **وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾ ، بمعنى أن القطع كان مراراً وتكراراً ، ثم بعد ذلك ظل النبي ﷺ ينتقل من سماء إلى سماء أخرى حتى وصل إلى السماء السادسة ، فوجد فيها كليم الرحمن موسى عليه السلام، ثم ذهب إلى السماء السابعة ، فرأى فيها إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور كعبة أهل السماء ، ورأى فيها الملائكة يطوفون حوله ، كل يوم سبعون ألف ملك : ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ** ﴾ [المدثر:٣١] ، عند ذلك يجد السماء مملوءة بالملائكة ما بين راكع وساجد ، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : «**أطّت السماء، وحق لها أن تئط ، والله ما فيها موضع شبر إلا وفيه ملك ساجد لله يسبح** ».

وصول النبي ﷺ إلى أعلى مرتبة :

ثم في الأخير ، بعد أن أكمل رحلته ما بين السموات السبع ، يصل ومعه جبريل إلى مكان ما وصل إليه بشر ولا ملك غير جبريل عليه السلام ، وفي هذا المكان العظيم الذي وصل إليه يرى جبريل على هيئته الحقيقية التي خلق عليها وللمرة

الثانية، بعد أن رآه في المرأة الأولى في مكة ،كما قال تعالى :﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⟨١٣⟩ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ⟨١٤⟩﴾ [النجم ١٣، ١٤] ، في هذا الموطن العظيم يقول عليه الصلاة والسلام : «**التفتُ إلى جبريل فإذا هو كالحصير البالي من خشية الله ، ثم بعد ذلك يتوقف جبريل** عليه السلام **ويقول : يا محمد ، تقدم فوالله لو تقدمت خطوة واحدة لاحترقت** » ، فيتقدم النبي ﷺ إلى مكان لم يصل إليه نبي مرسل،ولا ملك مقرب ، فبينما هو كذلك إذ تغشّى السدرة من نور الله ما تغشاها،كما قال تعالى:﴿ **إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⟨١٦⟩ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⟨١٧⟩ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ⟨١٨⟩**﴾ [النجم ١٦ ، ١٨]، فلمّا تغشاها من نور الله ما تغشاها تغيرت السدرة وتغير لونها ، قال : « فصارت من الحسن والجمال ما لا يستطيع أن يصفه بشر» ، وهناك في هذا الموطن العظيم والمكان الرفيع تحدث النبي ﷺ إلى ربه مباشرة دون وحي ولا ترجمان، وهذه هي المنزلة العظيمة التي تبوّأها محمد ﷺ ليكون شفيعاً وشهيداً على هذه الأمة المباركة.

العودة من السماء إلى الأرض ثم إلى مكة :

أيها المسلمون : إن الحديث عن رحلة الإسراء والمعراج يقودنا حتماً إلى الحديث عن العودة والرجوع إلى مكة ، فالنبي عليه الصلاة والسلام بعد لقائه العظيم مع ربه عز وجل في ذلك المكان الرفيع ، يعود إلى الأرض ثم إلى مكة وقد فرضت عليه الصلاة خمسين صلاة ، ثم خففت إلى خمس صلوات ، رحمة بهذه الأمة ، فما إن وصل عليه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس وإذ به يعود مرة أخرى إلى مكة ، وهناك في طريقه إلى مكة يمر بمشاهد كثيرة ، منها : قافلة تجارية لقريش تعرّف عليها وعلى أوصافها وأخبارها .

إخبار قريش برحلة الإسراء والمعراج :

إن كل هذه الأحداث وهذه الرحلة المباركة تمت في أقل من ليلة واحدة ، ثم

عاد إلى مكة ليكمل ليلته هناك ، ولـمّا أسفر الصبح ، وبزغ الفجر خرج النبي ﷺ إلى الناس ، وجلس عند الكعبة ، وبدأ يستعيد في نفسه وخياله تلك الأحداث العظيمة التي عاشها في رحلة الإسراء والمعراج . وبينما هو كذلك إذ أقبل عليه أبو جهل عدوُّ الله،وكان من عادته في كل صباح أن يستهزئ بالنبي ﷺ، فقال له : ما عندك الليلة يا محمد ؟! ، فقال : نعم ، أُسري بي الليلة إلى بيت المقدس ، ثم عرج بي إلى السماء الدنيا . عند ذلك توقف أبو جهل ، وقال له : أعد عليَّ ما تقول . فقال: أُسري بي الليلة إلى بيت المقدس ، ثم عرج بي إلى السماء الدنيا .فشهق أبو جهل شهقة ماكرة ، وبدأ يضحك ضحكة واسعة حتى بدت نواجذه؛ سخرية واستهزاءاً بالرسول ﷺ ثم صاح بأعلى صوته: يا للمصيبة يا بني هاشم ، ادّعيتم السيادة فصدقناكم ، وادعيتم أن خبر السماء يأتي إليكم دون غيركم حتى كدنا نوافقكم عليه ، أما خبر الليلة فعجب . ثم طار بها إلى الناس فرحاً مسروراً ،وجمعهم في رحاب مكة ، وقال: يا أهل مكة ، اسمعوا إلى هذا الرجل ما يقول ، اسمعوا إلى صاحبكم ما عنده الليلة ، يقول : إنه ذهب البارحة إلى بيت المقدس ، ثم صعد إلى السماء وعاد إلى مكة في ليلة واحدة ، وأنتم تعلمون أننا نذهب إلى بيت المقدس ، ونقطع إليه أكباد الأبل . فتعجب الحاضرون ، وانبهروا بهذا الخبر ، وكاد المسلمون الجدد أن يرتدّوا عن دينهم ، بل وُجد منهم من ارتد فعلاً عن دينه نتيجة لهذا الخبر .

تصديق أبي بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ :

أما أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقد كان له موقف عجيب خالف به كل التوقعات والاحتمالات ، وأدهش الحاضرين معه عندما وصل إليه الخبر ، ولم يتردد في تأكيده وإثباته عن رسول الله ﷺ، وقال بثقة كبيرة : إن قالها فقد صدق . ثم بعد ذلك ذهب إلى النبي ﷺ ليتأكد بنفسه ، فقال : يا رسول الله ، هل ذهبت البارحة إلى بيت المقدس ؟ ، قال : نعم . وهل عُرِجَ بك إلى السماء الدنيا ؟،

قال : نعم . وهل عدت في ليلتك إلى مكة ؟ ، قال : نعم . عند ذلك قال له : صدقت . فقال عليه الصلاة والسلام :« **إذن أنت الصديق** ». فتعجبت قريش ، يسأله ثم يصدقه مباشرة دون تفكير أو تأمل لما يقول! فقالوا : يا أبا بكر، كيف تصدقه ونحن نسير إلى بيت المقدس شهر كاملاً ، ونقطع إليه أكباد الإبل ؟! فقال أبو بكر : « **والله إني لأصدقه بأكثر من ذلك ، أصدقه في خبر السماء يأتيه في غدوة أو روحة** » . ولهذا استحق أبو بكر رضي الله عنه منزلة المؤمنين الصادقين .

دليل تعجيزي لرؤية بيت المقدس :

أما قريش فإنها عجزت أن تستغل هذا الحدث لصالحها ، وبدأت تعود لسالفها من السخرية والاستهزاء بالنبي ﷺ ، فقالوا : يا محمد ، إن كان حقاً ما تقول ، فصف لنا بيت المقدس ؟! ، فبدأ النبي يصف لهم بيت المقدس وصفاً ظاهرياً حسبما رآه بادياً أمام عينيه ، فتعجب الذين يعرفون بيت المقدس ، وبدؤوا يسألونه عن التفاصيل الداخلية التي لم ينظر إليها ولم يركز فيها أبداً ؛ لأنه لم يكن يتوقع أن أحدًا سوف يسأله عنها،وليست في باله ولا حسبانه . عند ذلك غشيته كربة شديدة ،لأنه لم يكن أمعن النظر فيها ، لكن الله عز وجل أيده بآية من آياته الباهرة،ورفع إليه بيت المقدس ليراها عياناً جهاراً، فجعل ينظر إليها، ويصفها لهم جزءاً،جزءاً وكأنه واقف ببابها، فازدادوا عجباً وحيرة لهذا الأمر، ولكنهم مع ذلك ليسوا بمصدقين، فقال لهم: بيني وبينكم علامات . قالوا: وما هي ؟ قال: مررت على قافلة لكم على رأسها جمل عليه عباب أحمر. قالوا : وعلى كم مسيرتها؟ قال: بعد ثلاث، أي ثلاثة أيام. عندها تواعد الناس وأخذوا ينتظرون تلك القافلة ، وإذ بها تأتي في الميعاد الذي حدده رسول الله ﷺ عند ذلك ظهر الحق وبطل ما كانوا يزعمون ويجادلون فيه ، ولكنهم مع ذلك أعرضوا وكذبوا : ﴿ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس : ١٠١] .

اللهم اجعلنا من عبادك المؤمنين ، الموحدين ، الواثقين بوعد الله ووعيده ،

اللهم لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

المستفاد من الإسراء والمعراج :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد:

أيها المسلمون : لقد تحدثنا معكم في الدرس السابق عن رحلة الإسراء والمعراج ،وقد كان حديثنا إليكم عن ذلك الموضوع بشيء من التفصيل والتوضيح والإطناب ، لقد عدنا بذاكرتنا معكم إلى الوراء قليلاً ، وحدثناكم عن تلك المواقف والمشاهد والأحداث التي حصلت في معجزة الإسراء والمعراج ، وكأننا سرنا مع تلك الرحلة المباركة من أولها إلى آخرها خطوة بخطوة وساعة بساعة . ونحن في هذا اليوم ، وفي هذا اللقاء المبارك ، سنحدثكم عن النتائج والآثار والانطباعات التي خرجنا بها من رحلة الإسراء والمعراج ،ونريد من خلال ذلك أن نصل إلى الدروس والعبر،وأن نكتشف الأسرار والدرر في تلك الرحلة المباركة من أرض الإسراء إلى أرض المعراج ، وما لحق بها من أحداث وتبعات؛لأن الله عز وجل لم يكن ليختار لرسوله ﷺ هذه المنحة،وهذه المنزلة العظيمة إلا بعد أن واجه في طريقه صنوفاً من الأذى ، وأنواعاً شتى من العذاب؛ ولهذا يجب ألا تمر علينا هذه الحادثة مروراً عفوياً أو سلبياً ؛ لأنه من الخيبة والخسران ألا نستفيد منها .

وقد حملت بين طياتها كثيراً من الدروس والعبر ، والتي منها:

[١] الإيمان والتصديق بالمعجزات التي حصلت لرسولنا عليه الصلاة والسلام ولغيره من الأنبياء والمرسلين . وعليه فإن الآيات والمعجزات لا يختص بها إلاَّ الأنبياء والمرسلين ، وتسمى في حقهم معجزة أو آية ، أما غيرهم من عباد الله

الصالحين ، فإنها تسمى في حقهم كرامة أو نفحة ربانية . وإذا تأملنا حياة رسولنا عليه الصلاة والسلام وسيرته وسلوكه ، نجد أن الله سبحانه وتعالى ، أجرى على يده كثيراً من الآيات والمعجزات، منها : انشقاق القمر ،كما قال تعالى : ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** ① ﴾ [القمر : ١]، فقد سأل أهل مكة الرسول ﷺ أن يريهم آية تدل على صدقه ، وأنه مرسل من رب العالمين ، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ونحن جلوس معه في منى ، **فقال : اشهدوا ، أي شاهدوا هذه الآية ، واشهدوا أني صادق ، ولست بكاذب** » .

وكذلك من المعجزات التي حصلت له : نبع الماء من بين أصابعه ، وإذعان الشجر والحجر والحيوان له ، من ذلك ما رواه مسلم في صحيحه أن الرسول ﷺ قال : « **إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث** » ، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « **كنت بمكة ، فخرجنا في بعض نواحيها ، فما استقبله من حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله** » .

هذه بعض الآيات والمعجزات التي نزلت تؤيد الحق وتكذب الباطل ، وعلى رأسها معجزة الإسراء والمعراج التي لا مناص من قبولها ، ولا مجال لردها أو تحريفها ، كما يفعل بعض الباحثين والمستشرقين في تصوير حياة الرسول ﷺ على أنها حياة بشرية عادية ، وأنها بعيدة كل البعد عن الآيات والمعجزات ، وعن الخوارق التي تخالف العادات ، وهم بذلك يريدون أن يهدموا عقيدة الإيمان بالغيب ، وبكل هذه الآيات والمعجزات ، فيصفون الرسول ﷺ بصفات عادية اجتماعية أو أخلاقية ، كالرجولة والبطولة والعبقرية ، فيقولون : « محمد البطل » ويقولون : « محمد العبقري » ، ولكنهم مع ذلك لا يريدون أن يقال : « محمد النّبيّ الأمّي » أو « محمدٌ رسولٌ من رب العالمين » .

وعليه نؤكد ونقول : إن المعجزات في حق الأنبياء والمرسلين حق لا تكذيب

فيه ولا جدال ، وإن رسولنا عليه الصلاة والسلام هو أكثرهم آيات ومعجزات ، وذلك لفضله وعلوّ منزلته عند الله ،كما قال تعالى : ﴿ **وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً** ﴾ [النساء:١١٣] ، **وقد قيل :** إنها تبلغ ألفاً ، وقيل: ثلاثة آلاف والله أعلم ، ولهذا يعتبر الإسراء والمعراج من أعظم المعجزات التي نزلت على رسول الله ؛ لأنها تشتمل على آيات ومعجزات كثيرة ، منها : مجيء البراق إليه ، وذهابه إلى بيت المقدس ، وصلاته بالأنبياء هناك ، وعروجه إلى السماء الدنيا ، وانتقاله بين السموات من سماء إلى سماء ، ثم عودته إلى مكة في أقل من ليلة واحدة كل ذلك يعتبر معجزات عظيمة . وأكبر آية تدل على ذلك ، أن رفع الله إليه بيت المقدس وهو في مكة ، عندما جاء إليه كفار قريش يسألونه ويسخرون منه ، فقالوا : يا محمد ، إن كان حقاً ما تقول ، فصف لنا بيت المقدس؟! .

في هذا الموقف العصيب أصاب النبي ﷺ كربة شديدة ؛ لأنه لم يكن يعلم تلك التفاصيل الداخلية للمسجد ، ولم يركز فيها عند زيارته هناك ، لكن الله عز وجل فك كربته ، وأيده بآية من عنده ، ورفع إليه بيت المقدس ، فجعل ينظر إليه ويصفه لهم ، ويصف ما فيه من أثاث وأصول ومدخرات ، وكأنه يراه عياناً ؛ عند ذلك تعجب الناس الذين يعرفون بيت المقدس ، ولكنهم أبوا أن يعترفوا بهذه الحقيقة التي صمّت آذانهم ، ثم قال لهم : وإذا كنتم غير مصدقين بالذي أخبرتكم به، فبيني وبينكم علامات. قالوا:وما هي؟! قال:مررت على قافلة لكم على رأسها جمل عليه عباب أحمر . قالوا : وكم مسيرتها من الآن ؟!، قال: بعد ثلاث ، أي ثلاثة أيام . وفعلاً بدأ الناس ينتظرون تلك القافلة في الميعاد المسمى ، وإذ بها تأتي في اليوم الذي أخبر به رسول الله ﷺ ، وعلى رأسها جمل عليه عباب أحمر ، ولكنهم مع ذلك كذبوا وأعرضوا :﴿ **وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [يونس : ١٠١] .

ولهذا يجب أن تعلموا أن هذه الآيات والمعجزات لا تأتي إلا عندما :

[١] يبلغ الباطل ذروته ، ويُكذَّب أصحاب الدعوات الحقة ، كالأنبياء والمرسلين والدعاة المخلصين من هذه الأمة ، فالنبي ﷺ لم يتشرف بهذه المعجزة معجزة الإسراء والمعراج إلا بعد وفاة زوجته خديجة ﵂ وعمه أبي طالب ، اللذين كانا يقفان معه في دعوته ، فسمي ذلك العام بعام الحزن ، وذلك لشدة ما رأى من قومه وعشيرته الذين بالغوا في إيذائه وتعذيبه ، كما يقول ابن هشام في سيرته : (لما ذهب أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ الشيء الكثير ، حتى لقيه سفيه من سفهاء مكة ، فنثر التراب على رأسه ، فدخل ﷺ إلى بيته والتراب على رأسه ، فجعلت إحدى بناته تغسل التراب عنه وهي تبكي ، فيقول لها : « **لا تبكي يا بنيتي ، فإن الله مانع أباك وناصره** ») .

ثم بعد ذلك توجه ﷺ إلى الطائف لعله يجد من ينصره أو يأويه بعد فراق أعز الناس إليه ، لكنه وجد من أهل الطائف رداً سيئاً وأذىً كثيراً ، يظهر ذلك من خلال دعائه الذي ناجي به ربه ؛ لأن فيه برز معنى التذلل والالتجاء ، وكأنه يريد من دعائه أن يقدم شكواه إلى الله ، نستشف ذلك من قوله : «**اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس**» ولهذا أراد الله عز وجل بعد ذلك الأذى والدعاء الحار الذي خرج من قلب محروق يتألم ، أراد الله عز وجل أن يواسيه بمعجزة الإسراء والمعراج ، وأن يعطيه جرعة وقائية لكل أنواع الأذى ، فلا يتأثر بعدها أبداً .

✿ **وعليه** ، نقول لأولئك الدعاة والعظماء والمصلحين ، والذين قدّموا أنفسهم فداءً وخدمة للإسلام ، نقول لهم : اصبروا واحتسبوا ، ورابطوا في سبيل الله ، ويجب أن تعلموا أن سياسة الأذى والتعذيب، وفتح السجون والمعتقلات ، لا تزيد أصحاب الدعوات الحقة إلا ثباتاً على دينهم وعقيدتهم ، وما يزيدهم شدة الأذى والتعذيب إلا يقيناً بقول الله تعالى : ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا**

وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢ ، ٣] .

وقال تعالى في آية أخرى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٤] ، فعندما اشتد الأذى وزاد التعذيب ، بدؤوا يشكون ويتساءلون : متى نصر الله ؟ ، لكن واحداً من الصحابة لم يتساءل أبداً قط ، ولم يسأل عن مجريات الأحداث ، وإنما كان رده حاسماً ومباشراً دون أن يعلم التفاصيل والجزئيات ، فقال : «إن كان قالها فقد صدق» ، ولذلك ارتفع بهذه الكلمة إلى منزلة الصديقين والصالحين والشهداء ، ونال بها أعظم الدرجات وأعلى المقامات شهادة من رسول الله ﷺ ولهذا نستشف من خلال ذلك :

[٣] موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه من رحلة الإسراء والمعراج ، بعد أن جاء إليه كفار قريش فرحين مستبشرين،يظنون أنه سيكذب محمداً ويرجع عن دينه، وإذ بهم يفاجئون بالحقيقة التي نزلت عليهم كالصاعقة ، فيقول لهم : إن كان قالها فقد صدق ، وإني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه في خبر السماء يأتيه في غدوة أو روحة» . الله أكبر هذا إيمان وتصديق ، وليس ذلك بعيداً أو غريباً على الصدّيق الذي كان له السبق في الإسلام ، وكان أول من أسلم من الرجال كما قال في حديث عمرو بن عبسة لـمّا سأله: من معك على هذا الأمر؟ فقال : «**معي حُر وعبد**» وكان معه يومئذ أبو بكر وبلال ، وهو أول من أُوذي في سبيل الله بعد رسول الله ﷺ ، كما شهد له أحد السابقين في الإسلام ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لقد رأيت رسول الله ﷺ بين كفار قريش يتعرضون له بسوء ومكروه ، ويقولون له : أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً ؟ ، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر ، تقدم إليهم يدفعهم عنه ، ويقول لهم : ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟! ، ثم بكى علي رضي الله عنه ثم قال : أنشدكم الله ، أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر؟! ، فسكت القوم ، فقال علي رضي الله عنه: والله لساعة من

أبي بكر رضي الله عنه خير منه، ذاك رجل يكتم إيمانه،وهذا يعلن إيمانه مع رسول الله ﷺ ويشاطره العذاب » .

وكان له مواقف خالدة في الإسلام ، لن ينساها التاريخ أبداً لأبي بكر ، فقد ضحّى بنفسه وماله وأولاده من أجل لا إله إلا الله،وكان أول من أنفق في سبيل الله فقد اشترى بماله سبعة من العبيد الذين كانوا يعذبون في مكة ، منهم : بلال بن رباح ، حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أبو بكر سيّدنا وأعتق سيدنا « يعني بذلك بلالاً رضي الله عنه ».وفي معركة تبوك ، لـمّا أراد النبي ﷺ أن يخرج للغزو حثَّ الصحابة رضي الله عنهم على الإنفاق في سبيل الله، فأراد عمر أن يسبق أبا بكر في هذه المزية، وأتى إلى رسول الله ﷺ بمال كثير،فقال عليه الصلاة والسلام :« **وما أبقيت لأهلك يا عمر؟** ، قال : أبقيت لهم نصف مالي . وكان يظن أنه سبق الحاضرين جميعاً ، ثم يأتي من بعده أبو بكر ،ويضع حزمة كبيرة بين يدي رسول الله ﷺ ، فيقول له: **وما أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟**، فيقول: أبقيت لهم الله ورسوله ! ، عندها يتعجب عمر رضي الله عنه ويقول: لا أسابقك إلى شيء بعدها أبداً يا أبا بكر » .

وللعلم فإن هذه المواقف والأحداث التي ذكرناها ونذكرها لأبي بكر رضي الله عنه ، ما هي إلا نبذة يسيرة وإطلالة قصيرة من حياته العظيمة ، ومواقفه الخالدة التي قدمها فداءً وخدمة للإسلام ، ولهذا استحق أن يتبوأ أماكن الصدارة والقيادة في الأمة ، وشهد له الرسول ﷺ بأنه خير مثل في هذه الأمة ، حيث قال : «**إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، ثم واساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركون لي صاحبي** - مرتين - ». وقال في حديث آخر رواه الإمام أحمد : « ما نفعني مال قط ، كما نفعني مال أبي بكر » .

إذن هذه الأحاديث كلها تؤكد مدى أهمية أبي بكر رضي الله عنه في حياة الرسول ﷺ ، وأنه كان رفيقاً له في كل المواقف والمشاهد العظيمة التي كادت أن تعصف بالدعوة ورسولها العظيم ، ولهذا نجد أبا بكر رضي الله عنه حاضراً في المشاهد كلها ، ومشاركاً للرسول ﷺ في كل مراحل الدعوة ، فقد كان أول من ساهم في مرحلة

الأذى والتعذيب ، وكان أول من آمن من الرجال؛ ولهذا شهد له الرسول ﷺ بالصدق والأمانة في رحلة الإسراء والمعراج .و لـمّا أراد النبي ﷺ أن يهاجر إلى المدينة ، فقد اختار لنفسه رفيقاً وجليساً : أبا بكر. ولما مرض رسول الله ﷺ ، قبل وفاته بأيام ، أمر أبا بكر أن يؤم الناس في الصلاة نيابة عنه . ومن ذلك استنبط العلماء مدى أهمية أبي بكر وما يمثله بالنسبة للإسلام والمسلمين ، وأنه من أقرب الناس وأحبهم إلى رسول الله ﷺ ، وأحقهم بالخلافة من بعده ، ولهذا قال : «**لو كنت مُتخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**» فتحية الله لك يا أبا بكر، وجزاك الله خيراً عن هذه الأمة إلى يوم الدين .

وكذلك من الدروس والعبر التي نستشفّها من رحلة الإسراء والمعراج :

[٤] ذلك الدور العظيم والمكانة الرفيعة التي تمثلها بيت المقدس بالنسبة للإسلام والمسلمين ، وما هو أساس دفاعهم عنه ، وتمسكهم بأرض فلسطين ؛ وذلك لأن بيت المقدس هي أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومسرى الحبيب محمد ﷺ ، ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، منها : المسجد الأقصى ، كما قال ﷺ : «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى**» وكذلك الصلاة فيها تُضاعف إلى أضعاف كثيرة ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : «**صلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، وصلاة في مسجدي هذا بألف صلاة ، وصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة**».

وعليه فإن المسجد الأقصى يدخل في تلك البقاع التي شرفها الله عز وجل على غيرها من بقاع الأرض ، أما من حيث بنائه وعمارته فهو يحتل المركز الثاني بعد المسجد الحرام ، كما جاء في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : قلت : يا رسول الله ﷺ ، أي مسجد وضع أول ؟ ، قال : «**المسجد الحرام . قلت: ثم أي؟ قال : بيت المقدس . قلت : كم بينهما ؟، قال : أربعون سنة** » أي أن المسجد الأقصى يملك تاريخاً طويلاً من حيث بنائه وعمارته ، ويحتل مركزاً مرموقاً بين

أماكن العبادة في العالم ، وهو من أكثر المساجد شهرة بين الديانات الثلاث المشهورة في العالم : الإسلامية والنصرانية ، واليهودية ، ولهذا فإن الجميع يؤمنون بعقيدة واحدة بالنسبة لفلسطين ، ويعتقدون أنها ستكون أرض الميعاد ، وهي التي ينزل فيها عيسى عليه السلام في آخر الزمان .فنحن المسلمون نؤمن بوعد الله الحق ، وهم يؤمنون بوعد مفترى مكذوب ، فالنصارى يعتقدون أنهم في آخر الزمان سيلتقون مع عيسى عليه السلام في فلسطين ، وسيكونون مع أتباعه وأنصاره، وكذلك اليهود يعتقدون أنهم سيلتقون مع المسيخ الدجال في فلسطين ، والآن يهيِّؤون ويعملون على خروجه، ويسمونه ملك السلام، أما المسلمون يعتقدون أن عيسى عليه السلام سوف ينزل في آخر الزمان عند المسجد الأقصى وسيقاتلون معه ، وكل يعمل على شاكلته حسب إيمانه ومعقتداته . نحن نستند إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، وهم يستندون إلى كلام زعمائهم وحكمائهم ، فيقول أحدهم وهو إنجيلي متطرف : « لن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح ويرتفع الصليب فوق سماء مكة » .

هؤلاء النصارى المتطرفون يعتقدون أن نهاية المعركة في فلسطين سوف تكون حاسمة لهم ، وسيدمرون المسلمين تدميراً كاملاً ، أما اليهود يتمسّكون بأرض فلسطين، ويعتبرون ذلك من صميم دينهم وعقيدتهم،كما يقول أحدهم عندما وقف ممثلاً لليهود في الأمم المتحدة عام ١٩٨٤م يقول: «إن أرض فلسطين قد لا تكون لنا عبر الحق السياسي أو القانوني ، ولكنها حق لنا على أساس ديني وتاريخي ، فهي الأرض التي وعدنا الله إياها من النيل إلى الفرات ، ولذلك وجب على كل يهودي في العالم أن يهاجر إلى فلسطين.وإن كل يهودي يبقى خارج إسرائيل بعد إنشائها يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة، بل يكفر يومياً بدين اليهود» .

انظروا إلى هذه العبارات ، أي أن المسألة ليست احتلالاً ، وليست اغتصاباً لأرض شعب بأكمله ، وإنما هي في نظرهم مجرد دين وعقيدة يؤمنون بها ، وعليه فلا يمكن أن نتصور بعد هذا أن اليهود سيلتقون مع المسلمين في طريق

واحد ، أو في قواسم مشتركة ؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) ﴾[البقرة: ١٤٥].

إذا أيها المسلمون: فهل يحق لنا بعد هذا التاريخ الطويل ، وهذه المنزلة الرفيعة لأرض فلسطين التي صلى إليها المسلمون أعواماً مديدة ، وتشرفت في رحلة الإسراء والمعراج بلقاء أعظم رجل في التاريخ محمد ﷺ ، أيحق لنا بعد هذا كله أن نتنازل عن أرض فلسطين ؟! ، أقول كلا ، لا يمكن أن نتنازل عنها لمعشر يهود بأي حال من الأحوال ، ومهما كلّف الأمر من بذل وتضحيات ؛ لأنها أرض الإسراء والمعراج،ومهبط الوحي والرسالات، ولهذا تستحق كل التضحيات، ومن أجلها تسفك الدماء وترفع الرايات، فهذا صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - الذي أقسم بالله أنه لن يعود إلى قصره وماله ، إلا بعد أن يطهر المسجد الأقصى من دنس الصليبيين، فقال: إني أخشى أن يراني جبار السموات والأرض مبتسماً والأقصى ما يزال أسيراً في أيدي الصليبيين . وقيل : إنه لم يحرك جيش المسلمين إلى فلسطين إلا بعد أن وصلته رسالة حارة من المسجد الأقصى، يقول صاحبها :

يـا أيـهـا الملـك الـذي	لمعـالم الصلبـان نكّـس
جـاءت إليك ظـلامـة	تشكو من البـيت المقـدس
كـل المسـاجـد طـهـرت	وأنا على شـرفي أُدنـس

عند ذلك تأثر صلاح الدين لهذه الرسالة الحزينة الأليمة ، وأقسم بالله أن يعيد العزة والكرامة لبيت المقدس أو يموت شهيداً ، فأبّر الله بقسمه وأنجز له ما وعد به ؛ لأنه كان صادقاً مع الله فصدقه الله. أما اليوم فكم من الرسائل والآهات ، وصرخات الثكالى والأمهات تصل من البيت المقدس ، ولكنها لا تجد من يرد عليها أو يتألم لمصابها ، ولا تجد رجالاً كأمثال صلاح الدين ، أو سعد وبلال ، أو خالد وعمار !! .

لقد خلت فلسطين من أبنائها النجب ... يا أخت أندلس مهلاً وطول صبر
علـى الأرزاء والنـوب ... فإن أمة الإسلام بمثلها لم تُصب

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل طاعتك، ويُذل فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهى فيه عن المنكر ، يا سميع الدعاء.

البـــدع في شهـــر شعبان

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . .

أما بعد :

أيها المسلمون : لقد انتشر في هذه الأمة البدع والمنكرات ، وعمّ فيها وسائل الفساد والمغريات ؛ مما جعل ذلك يؤثر سلباً في عقول الأفراد والمجتمعات ، حتى أصبح الدين عندهم ألعوبة ، يزيدون فيه وينقصون ما يشاؤون وما يشتهون ، فتارة يتخذون مولد الرسول ﷺ عيداً ، وتارة أخرى يحتفلون بليلة النصف من شعبان ، وكذلك يحتفلون بليلة الإسراء والمعراج ، وهكذا دواليك من هذه البدع والمحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، بينما رسولنا ﷺ قد حذر منها في كثير من الأحاديث والآيات ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » أي مرد عليه وعلى صاحبه ، سواء استحسنه هو ، أو رآه الناس حسناً ؛ لأن بعض الناس قد يعمل عملاً محدثاً ويظنه حسناً ، وقد يأتي بأعمال أمثال الجبال ، ولكن الله عز وجل يجعلها هباءً منثوراً ! لماذا ؟ لأنها من البدع المحدثات، كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)** ﴾ [الكهف:١٠٤] ،وقال أيضاً في آية أخرى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤)** ﴾ [الغاشية :٢،٤] ، وسيكون عليهم ذلك العمل غير المشروع حسرة وندامة يوم القيامة،كما قال تعالى: ﴿ **لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [النحل:٢٥] ، ويحرمون

من حوض النبي ﷺ كما جاء في الحديث : «**ليُذادنّ أقوام من أمتي عن حوضي كما يذاد البعير الضال ، فأناديهم : هلموا . فيقال لي : إنهم غيّروا وبدّلوا بعدك . فأقول : سحقاً سحقاً وبعداً بعداً**» ، ولهذا أقسم النبي ﷺ بقوله : «**والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»،وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ [الحجرات : ١] ، أي لا تقترحوا من عقولكم وأهوائكم ما تريدون من بدع وأهواء ، وإنما الذي يجب عليكم أن تلزموا به أنفسكم ما جاء في الكتاب والسُّنَّة، وما أثر عن سلف الأمة .

البدع في العبـــادات :

ولهذا من المؤسف جداً أن تتحول كثير من الأعمال الصالحة إلى بدع ومنكرات ، إذا فقدت عناصر القبول والإخلاص ، ولذلك ترى أن أغلب الفضائل والعبادات قد لحقت بها كثير من البدع والمنكرات ، ولهذا فقد وضعوا لكل عبادة مخصوصة ، بدعاً معروفة ومشهورة ، من ذلك :

[١] **التلفظ بالنية في سائر العبادات :** وهذه بدعة مشهورة لا أصل لها ، ولا دليل عليها من الكتاب والسُّنَّة ، ولا يتلفظ بها إلا موسوس أو مخبول في عقله ؛ لأن ذلك لم ينقله أحد عن النبي ﷺ ولا عن صحابته الكرام من بعده، لا في صلاة ولا صيام ولا غيرها من أمور الدين والدنيا ، ولم يقل أحد البَتَّة : إن من أراد السفر ، أو النكاح ، أو طلب الدنيا من بيع أو شراء يلزمه التلفظ بالنية ؛ لأن محلها القلب ، والتلفظ بها بدعة . وكذلك من البدع المحدثات :

[٢] **ما يفعله جهال المسلمين عند وضوئهم للصلاة :** يرددون أذكاراً بدعية عند غسل كل عضو من أعضائهم ، ويستندون في ذلك بحديث ملفق عن أنس ابن مالك رضي الله عنه. ومن جهلهم إذا أراد أحدهم أن يستنجي للوضوء يقول : «اللهم حصّن فرجي كما حصّنت سمعي وبصري» ، وإذا أراد أن يغسل كفيه يقول : «بسم الله ، والحمد لله ، ولا حول ولاقوة إلا بالله» ، وإذا غسل وجهه يقول :

« اللهم بيّض وجهي يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه » ، وإذا غسل يديه يقول : « اللهم أعطني كتابي بيميني » ، وإذا غسل قدميه يقول : « اللهم ثبّت قدمي يوم تزل الأقدام » ، وهكذا دواليك من هذه البدع والمختلقات . وإنما الصحيح والسُّنَّة في ذلك، أن يبدأ الإنسان وضوءه بالتسمية أولاً ، ثم يختمه بالذكر المأثور الذي يقول فيه النبي ﷺ :**«ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء »** .

[٢] **الأذان :** فمن أشهر البدع التي أدخلت فيه ، قولهم في وسطه : « حيَّ على خير العمل » وهذا من أشهر ما أحدثه الشيعة والروافض في الأذان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « حي على خير العمل لم يكن من الأذان الراتب ، وإنما فعله ابن عمر رضي الله عنهما في صلاة الصبح لعارض زائل ، ولم يكن من عادته أن يداوم عليه »،وكذلك من البدع في الأذان الصلاة على النبي ﷺ في آخر الأذان، أو عند الشروع في الإقامة بصوت مرتفع ، فهذا مكروه أو محرم ؛ لأنه من البدع المحدثات ، ولكن الوارد والسُّنَّة في ذلك ما جاء في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه الله مقاماً محموداً الذي وعدته ؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة »** رواه البخاري في صحيحه ، وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام : **«من قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد - ﷺ - نبياً ورسولاً ؛ غفر له ذنبه»** رواه مسلم . هذا بالنسبة للأذان .

[٣] **الصلاة :** فما يحدث فيها من بدع ومنكرات فحدث ولا حرج ، من ذلك : سدل اليدين في الصلاة . وهذا خلاف المسنون،والصحيح والوارد للمصلي أن يضع يده اليمنى على يده اليسرى؛ عملاً بقول سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال :

« **كان الرجل يُؤمر أن يضع يده اليمنى على ذراعه الأيسر في الصلاة** » رواه البخاري ، وثبت من حديث وائل بن حجر رضي الله عنه أنه قال : «**صليت مع رسول الله ﷺ ، فوضع يده اليمنى على يده اليسرى** » رواه ابن خزيمة .

ومن البدع المشهورة في الصلاة أيضاً : أن يقول المصلي عند تكبيرة الإحرام : نويت أن أصلي لله ركعتين ، أو ثلاثاً ، أو أربعاً ، ـ أو غير ـ ذلك مستقبل القبلة في المسجد الفلاني، والساعة الفلانية ، أو الحارة الفلانية ، أو الشارع الفلاني . وهذا كله من البدع المحدثات ؛ لأن النية محلها القلب ، والتلفظ بها بدعة ، وقد كان النبي ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير ، ويختمها بالتسليم ، ولا يقول شيئاً من هذه الزيادات،كما جاء في الصحيحين أنه قال لواحد من الأعراب : «**إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر**» ولم يقل له :تلفظ بالنية .وكذلك بعض المصلين ـ هدانا الله وإياهم ـ إذا أراد أحدهم أن يدرك الجماعة مع الإمام ، يقول بأعلى صوته : إن الله مع الصابرين ؛ مما يحدث ذلك تشويشاً وإزعاجاً للإمام والمصلين على حد سواء ، ونتيجة لذلك فقد يظن الإمام عندما يسمع هذا التعقيب من خلفه أنه أخطأ في قراءته ، أو في أركان صلاته ، والحقيقة أن هذا الفعل بدعة منكرة لم تكن معروفة عند سلف الأمة ، وإنما أحدثها المحدثون من بعدهم .. والله المستعان على ما يصفون .

ومن البدع أيضاً التي برزت وظهرت في حياة المسلمين :

[٤] ما يحصل عند قراءة القرآن من البدع والمنكرات ، أولها التكلف في مخارجه ، والتمطيط الزائد في قراءته على هيئة تشبه الأغاني والموشحات ، وهذا منكر وضلال ، كما قال الإمام النووي رحمه الله : « ولكن السُّنَّة في ذلك هو ترتيل القرآن بصوت جميل ورائع دون تكلف أو مبالغة » وهذا هو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام : «**ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن**» ، والتغني المقصود هو تحسين الصوت به ، وإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة .

ومن البدع ـ أيضاً ـ التي لحقت بالقرآن : قراءة القرآن بنية إيصال ثوابه

للموتى في قبورهم ، ويستدلون بحديث ضعيف : «**من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم**» هذا حديث موضوع لا أصل له في كتب السُّنَّة،ولكن الوارد مع اختلاف على صحته ، قوله عليه الصلاة والسلام : «**اقرؤوا على موتاكم يس**» وهذا لا يكون إلا عند الاحتضار كما فسره العلماء ، أما حديث مسلم الذي يقول فيه النبي ﷺ : «**لقنوا موتاكم يس**» فهو من أصح الأحاديث في هذا الباب ، وعليه فإن الراجح من أقوال العلماء أن القراءة لحساب الأموات غير جائزة شرعاً ؛ لأن الله عز وجل يقول : ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١)** ﴾ [النجم:٣٩ ـ ٤١] ، لقد استنبط الإمام الشافعي رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن القراءة لا يصل ثوابها إلى الموتى ؛ لأن ذلك ليس من عملهم ولا كسبهم ، وكذلك لم يرد فيها دليل صحيح أو صريح ينص على جوازها ، أما الدعاء لهم والترحم عليهم فجائز شرعاً ؛ لقوله تعالى في سورة الحشر : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ** ﴾[الحشر: ١٠]،ولقول الرسول ﷺ : «**استغفروا لأخيكم ، وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل**» هذا هو الجائز والمشروع ، أما تلكم القراءة على أرواح الأموات والمعذبين كما يقولون: الفاتحة إلى روح فلان أو فلان من الناس ؛ فهذا من التكسب والمتاجرة بآيات الله ، واتخاذ القرآن سلعة تباع وتشترى كما قال تعالى: ﴿ **وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ** ﴾ [البقرة: ٤١] ، ويقول في آية أخرى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ** ﴾ [البقرة : ١٧٤].

ومن البدع أيضاً التي لحقت بالقرآن : تخصيص قراءة الفاتحة عند الزواج والنكاحات ، وعند العقود والاتفاقات المالية والاعتبارية ، وهذه من البدع التي لا أصل لها في شرعنا الحكيم ، وإنما يستحب أن يبدأ الإنسان أولاً بالبسملة ، ثم يأتي بعد ذلك بخطبة الحاجة عند افتتاح الخطب والمواعظ واللقاءات ، أو عند الزواج والنكاحات ؛ عملاً بقول الرسول ﷺ : «**كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه**

ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» رواه ابن حبان في سُننه . وفي حديث آخر : «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد فهو أقطع**» أي مبتور . أما خطبة الحاجة التي كان يبدأ بها الرسول ﷺ ، فهذا نصها ما رواه عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : «**علّمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة : إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ....**» ويمكن أن يقوم مقامها كل حمد وثناء على الله سبحانه وتعالى في أيّ وقت وحين .

وكذلك من البدع التي لحقت بالقرآن : تعليق المصاحف في السيارات والمجالس للزينة والتفاخر ، وهذه بدعة منكرة ، أنكرها الله سبحانه وتعالى ونهى عنها في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ** ﴾ [البقرة : ٤١] ، وقال ﷺ : «**اقرؤوا القرآن ، ولا تغلوا فيه ، ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به** » ، رواه الإمام أحمد في مسنده .

وكذلك من البدع التي نشير إليها ونحذر منها :

[٦] ما يقع في المساجد : وهي كثيرة جداً ، قد يصل ببعضها إلى حد الكبائر أو الإشراك بالله ، منها على سبيل المثال : اتخاذ قبور الأنبياء والأولياء والصالحين مساجد : وما يزال النبي ﷺ يحذّر من ذلك إلى آخر لحظات من حياته وهو يقول : «**لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » . ومن جهل الناس بدينهم أنهم يتبركون ببعض المساجد على غيرها ، ويشدون إليها الرحال ، بينما رسولنا ﷺ يقول : «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى**» .

كما ظهرت في زماننا هذا بدع كثيرة في المساجد ، منها على سبيل المثال :

✿ بناء المساجد وزخرفتها على وجه السمعة والرياء . وهذه بدعة محدثة أجمع العلماء على كراهتها ، بل أفتى بعضهم بالحرمة على فعلها ، ويكره كذلك أن يُكتب شيء من آيات القرآن الكريم في قبلتها ؛ نظراً لأن المصلين قد يشغلون أنفسهم بتلك الآيات أو بتلك الزخرفة والرسومات .

وكذلك من البدع التي يمارسها بعض الناس في المساجد إلى يومنا هذا :

❁ إنشاد الضالة في المساجد،وهذه بدعة رائجة عند كثير من المسلمين اليوم، والرسول ﷺ قد نهى عنها ، بل سنّ دعاءً مأثوراً لمن ينشدها في المسجد ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : «**من سمع رجلاً ينشد ضالته في المسجد ، فقولوا له : لا رادّها الله عليك ، فإن المساجد لم تبنَ لهذا** ».

وأخيراً : من البدع التي ظهرت بين الناس:

[٧] بدع الجنائز وما يلحق بها من أحوال الموتى والمعذبين في قبورهم،منها: وضع المصحف عند رأس المحتضر:وهذه بدعة منكرة؛لأن القرآن لا ينفعه في تلك الساعة حتى لو شربه شرباً، وقد هجره قبل ذلك حينما كان صحيحاً معافى، وعندها ﴿ **لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا** ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ، وقال ﷺ : «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**» .

ومن البدع أيضاً : رفع الصوت مع الجنائز إلى مثواها الأخير وهم يرددون من قولهم: لا إله إلا الله.وهذا مخالف لما جاء في السُّنَّة، فقد كان أصحاب محمد ﷺ يسيرون مع الجنازة وعليهم السكينة والوقار، ولهذا ثبت أنهم كانوا يستحبون خفض الصوت عند ثلاثة أمور:عند القتال،وعند القرآن، وعند الجنائز.

ومن البدع أيضاً التي لحقت بأحوال الموتى والمحتضرين : التزام النساء لبس السواد في أيام الحداد،وهذه بدعة مستوردة من الكفار، يجب تركها والتحذير منها.

وكذلك الاجتماع للتعزية والتهليل بعد وفاة الإنسان ، وقد يستمر ذلك لأيام ، وبعضهم قد يستأجر قارئاً يقرأ القرآن أمام الحاضرين والمعزين . وهذه بدعة منكرة لا أصل لها ولا دليل عليها،وقد تُكلف صاحبها الكثير من الأموال ، أما الرسول ﷺ فقد كان من هديه أن يأمر الناس بصنع الطعام لأهل الميت ، كما قال حين مات ابن عمه جعفر رضي الله عنه : «**اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فقد أتاهم ما يشغلهم** » وهو حديث ضعيف ، ولكن معناه صحيح .

وكذلك من البدع التي استوردناها من بلاد الكفر: زيارة القبر المجهول أو ما يسمى بالجندي المجهول . وهذه بدعة منكرة مستوردة من بلاد الكفار ، انساق وراءها المسلمون في بلاد الإسلام ، وقد بيَّن ذلك النبي ﷺ بقوله : «**لتتبعنّ سُنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جُحر ضب لدخلتموه**» .

وأخيراً من أعظم البدع وأخطرها :

هي التي تؤدي بصاحبها إلى الشرك بالله ، عندما ترفع القباب على القبور والمزارات ، ويوضع لها المصابيح والقناديل ، ويكتب عليها أسماء المقبورين ؛ ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن ذلك ، كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه أنه قال : «**نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر ، وأن يبنى عليه**» ، وفي حديث آخر : «**وأن يكتب عليه**» وجاء في حديث أبي الهياج الأسدي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : «**ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله ﷺ ؟ .. ألاّ تدع قبراً مشرفاً إلا سوّيته، ولا تمثالاً إلا طمسته**» ، وكذلك لا يجوز اتخاذ المساجد قبوراً للصالحين ؛ لأن بعض الناس قد يبني مسجداً ، ولكنه يرتكب محضوراً عندما يوصي ورثته أن يقبر فيه ، وهذا محرم عندنا في الإسلام ، كما قال ﷺ : «**لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» وجاء في السُنن من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : «**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج**» .

وكذلك من البدع :

اتخاذ المساجد للأفراح والأعراس ، أو اتخاذها للاحتفال بمولد الرسول ﷺ ، بضرب الدفوف وإنشاد القصائد البدعية التي فيها شرك وإطراء لغير الله ، وهذا كله من البدع المحدثات التي حذر منها رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث والآيات .

مزية شهـر شعبـان :

إذا أيها المسلمون : يجب أن تعلموا أن البدع سبب لفساد الناس وإحباط كثير من الأعمال والعبادات ؛ ذلك لما فيها من أضرار وبليات ، ولهذا يجب ألا يتجاهل الناس تلك النداءات التي تحذر من البدع وأصحابها والمروجين لها في كل مكان ، وما نراه يحدث حتى الآن من البدع والمنكرات ما هو إلا جزء يسير من مخطط يستهدف طمس هويتنا ، وإبعادنا عن مصادر شريعتنا الغراء ، التي كشفت لنا ما هي السُنن ، وما هي البدع التي يجب أن نحذر منها .

وعلى كل حال ، نحن في هذه الأيام نعيش في شهر شعبان الذي نأمل أن يستغله المسلمون بما شرع لهم فيه من الصيام ، ولكن كثيراً من الناس اليوم قد يجهلون شهر شعبان وما فيه من حظ وإكرام ، فهو يقع بين شهرين عظيمين : شهر رجب الحرام ، وشهر رمضان المعظم . وقد كان لهذا الشهر في الإسلام مزية على غيره من الشهور والأعوام ، وقد كان يخصه النبي ﷺ بمزيد من الصيام ، كما جاء في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال : قلت :يا رسول الله ، لا أراك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم به شعبان . فقال عليه الصلاة والسلام : «**ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم** » .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «**ما رأيت رسول الله ﷺ أكثر صوماً من شهر شعبان إلا رمضان**» ، وعنها رضي الله عنها أيضاً أنها قالت : «**كان رسول الله ﷺ يحب أن يصوم شهر شعبان ثم يصله برمضان** » رواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي في سُننه .

وكذلك من الآثار التي وردت في شهر شعبان : تحويل القبلة من البيت المقدس إلى البيت الحرام ، فالنبي عليه الصلاة والسلام بعد أن هاجر إلى المدينة المنورة ، ظل يصلي نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وكان يحب ويتطلع أن

يتوجه بنفسه وقلبه إلى بيت الله الحرام في مكة .ولما كان شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة ، نزل أمر الله واضحاً في قوله تعالى : ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ [البقرة: ١١٤].

ما ورد في ليلة النصف من شعبان :

هذا بالنسبة لما يخص شهر شعبان، وما فيه من أثر أو مقال ، ولكن المحدثون من هذه الأمة ، والذين يتصيدون في الماء العكر ، أرادوا أن يكون لهم نصيب في شهر شعبان ، كما فعلوا بغيره من شهور العام ؛ ولذلك يحتفلون بليلة النصف من شعبان ، ويخصونها بمزيد من الفضائل والعبادات ، معتقدين أنها الليلة المباركة التي ورد ذكرها في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)** ﴾ [الدخان :٣ ، ٤] . ولهذا يتسابقون إليها حسب ظنهم وزعمهم ، فمنهم من يصلي فيها مائة ركعة ، وتسمى عندهم بالصلاة الألفية ؛ نظراً لأن فيها تقرأ سورة الإخلاص ألف مرة ، وبعضهم من يخص نهارها بالصيام وليلها بالقيام، والبعض الآخر من اتخذها عيداً وموسماً للأفراح ، وهكذا يحتلفون فيها من الليل إلى الصباح، ويذبحون فيها ذبيحة تسمى عندهم بالشعبانية أو ذبيحة الغفران،لأنهم يستندون إلى حديث مختلف على صحته ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : «**إن الله ليطّلع في ليلة النصف من شعبان على خلقه جميعاً إلا مشرك أو مشاحن** ». وإن صح هذا الحديث فهو دليل على مزية تلك الليلة وفضلها عند الله . وليس معنى ذلك زيادة الأعمال فيها على غيرها من الأيام ، كما أن هذا الحديث يشبه حديث النزول الذي يقول فيه النبي ﷺ : «**ينزل ربنا سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا في كل ليلة** » فقد أثبت النزول في كل ليلة ، لكنه لم يخص ليلة واحدة بعينها ، ولم يزدها تفضيلاً وتشريفاً على غيرها ، وكذلك ليلة النصف من شعبان لا يجوز لأحد أن يعظمها أكثر من حقها ؛ ولهذا أنكر العلماء على من

يفعل ذلك ويحتفل بها ، وحذروا بقولهم : « لا يجوز الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، ولا تخصيص يومها بالصيام ؛ لأن الأحاديث الواردة فيها ضعيفة وموضوعة ، ولا يجوز الاعتماد عليها بأي حال من الأحوال ، ولكن الصحيح والوارد الذي يمكن الاستناد عليه ما ورد في فضل شهر شعبان بأكمله ، وليس تحديداً لبعض أيامه ولياليه .. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه » .

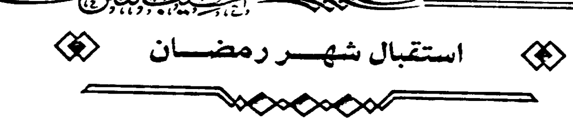
وكذلك من البدع والاعتقادات في هذه الليلة : قراءة سورة يس مع الدعاء ثلاث مرات ، بكيفية معينة ، فتقرأ في الأولى بنية طول العمر ، وفي الثانية بنية دفع البلاء ، وفي الثالثة بنية الاستغناء عن الناس ، وأما الدعاء الذي يقرأ بعدها ، فهو دعاء طويل ملخصه : « اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً أو محروماً أو مطروداً أو مقتَّراً عليّ في الرزق ، فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وإقتاري في رزقي » إلى آخر ما يقولون من أدعية بدعية وخرافية ، ويستدلون بكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة على ما يحدث في تلك الليلة من الفضائل والأعمال ، منها على سبيل المثال : حديث موضوع :

[١] « إذا كان ليلة النصف من شعبان ، فقوموا ليلها وصوموا نهارها » .

[٢] « تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان ... » .

[٣] حديث « من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ، أرسل الله إليه مائة ملك : ثلاثون يبشرونه بالجنة ، وثلاثون يؤمّنونه من عذاب النار ، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا ، وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان » .





استقبال شهر رمضان

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين ، ومالك يوم الدين،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . .

أما بعد: أيها المسلمون:

فإننا في هذه الأيام ، نستقبل موسماً من مواسم الخير ، ونفحة من نفحات الرحمن ، ألا وهو شهر رمضان المبارك، هذا الشهر العظيم الذي تُكفَّر فيه السيئات ، وتنزل فيه الرحمات ، فيصيب بها من يشاء من عباده المؤمنين ، تفضلاً منه ومنّه ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : «**افعلوا الخير دهركم ، وتعرضوا لنفحات رحمة الله ، فإن لله نفحات من رحمته ، يصيب بها من يشاء من عباده ، وسلوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم** » ، فالسعيد من اغتنم هذه الشهور والأيام ، بما فيها من خير وبركات حيث يقول عليه الصلاة والسلام: «**جاءكم شهر رمضان، شهر بركة ، ينظر الله إلى تنافسكم فيه ، فيباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيراً ، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله** » وقوله عليه الصلاة والسلام : «**عمرة في رمضان تعدل حجة** » ، وقد كان بعض السلف يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

ونحن أيها الأخوة في هذه الأيام ، نستقبل شهر رمضان بالفرح والسرور ، ونعيش في أمن وأمان ، ولكن هناك إخوان لنا في أرض الرباط ، في شتى بقاع المسلمين ، يستقبلون رمضان بالحسرة والأسى ، يعيشون تحت أزيز الرصاص ، يعيشون تحت وطأة الاحتلال الصليبي الماكر ، الذي لا يرحم شيخاً كبيراً ولا طفلاً صغيراً ، ما حالهم؟ ، وما حال رمضان معهم؟ ، ما حال أولئك الجرحى

والمصابين في رمضان؟ ، ما حال الأسرى في رمضان؟ ، ما حال المرضى؟ ، ما حال الثكالى؟ ، ما حال الجوعى الذين لا يجدون قيمة الدواء والكساء؟ ، ما حال أطفال المسلمين الذين فقدوا الآباء والأمهات؟، ما حال نساء المسلمين المغتصبات اللاتي يحملن في أحشائهن أولاد القردة والخنازير؟، ما حالهم في رمضان وكيف يعيشون؟! ، كيف يعيش ذلك الطفل المكلوم ، بلا أب ولا أم؟ ،وكيف يعيش ذلك المجروح الذي ينزف دماً ودموعاً؟ ،وكيف تعيش تلك النساء الثكالى بلا زوج ولا أب؟ ، فيا شباب الإسلام ، ويا حماة الدين والعقيدة ، ويا حكام المسلمين المتخاذلين ، إن إخوانكم في هذا الشهر الكريم ، ينادونكم ويستغيثون بكم ، فهلاً نصرتموهم، وهلاً تبنيتم قضاياهم، وعشتم آلامهم وأحزانهم ، كلا ، لم نفعل شيئاً من ذلك ، والله عز وجل سوف يسألنا عنهم يوم القيامة.

أيها المسلمون: هذا شهر رمضان ، يعود علينا وعليكم وعلى أمة الإسلام ، وهي تمر بالويلات والنكبات، قتلٌ وتشريدٌ ، وإبادة جماعية للمدن والقرى ، وحرق للمساكن والممتلكات ، واغتصاب للنساء المسلمات، فكل عام يعود علينا شهر رمضان ، إلاَّ ونستقبله بالهموم والأحزان، فمرة يعود علينا ، وقد سلبت بلاد المسلمين ، في الجزيرة والعراق، ومرة أخرى ، يعود علينا وقد سفكت دماء المسلمين في فلسطين والشيشان وفي أفغانستان، إذاً كيف نستقبل رمضان ونحن بهذه الآلام والأحزان؟! ، كيف نستقبل رمضان وأمتنا الجريحة ، تكالب عليها الأعداء من كل حدب وصوب ، كما قالﷺ : «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم ، كما تداعى الأكلة على قصعتها**، قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ ، **قال: لا ، بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل** » يأتي إلينا رمضان ، ودمائنا تنزف في كل مكان ، وفي كل بقاع المسلمين، جراح تنزف ، وأشلاء تمزق ، وأمهات ثكالى ، في بلاد الرافدين والإسراء والمعراج؟ ، كيف نستقبل رمضان والأقصى الشريف ، يدنسه أولاد القردة والخنازير؟! ، تصل رسالة حارة من المسجد الأقصى إلى صلاح الدين ، يقول صاحبها الذي أرسلها:

يا أيها الملك الذي	لمعالم الصلبان نكس
جاءت إليك ظلامة	تشكو من البيت المقدس
كل المساجد طُهرت	وأنا على شرفي أدنس

فبكى صلاح الدين - رحمه الله - ولم يُرى بعدها مبتسماً قط ، فقيل له : لماذا لا نراك مبتسماً يا صلاح الدين؟ ، فقال : والله لن أبتسم والقدس في أيدي الصليبيين، لن يبتسم صلاح الدين وإخوانٌ له في فلسطين ، يُقتَّلون ويُشردون ، وتُهدم عليهم بيوتهم ، وتُنتهك أعراضهم، ولن يبتسم صلاح الدين ، وإخوان له في بلاد المسلمين قد سُلبت كرامتهم ، وانتُهكت أعراضهم ، ونُهبت بلادهم ، وأصبحوا الآن تحت نيران الاحتلال ، إذًا الأمة الآن كلها جراحات ، وكلها آلآم ، فيا ليتك تحلوا يا رمضان ، والحياة مريرة ، ويا ليت أبناء قومي يعلمون ، ما حلَّ بأمتي بين الأمم :

أمتي هل لك منبر	للسيف أو للقلم
أتلقاك وطرف مطرق	خجل من أمسك المنصرم
كيف أنخت للظلم	ولم تنفض عنك غبار الذل والتهم
رب ومعتصماه انطلقت	ملئ أفواه الصبايا اليتم
لامست أسماعهم لكنها	لم تلامس نخوة المعتصم
أمتي كم صنم مجدته	لم يكن يعرف طهر الصنم
لا يلام الذئب في عدوانه	إذا كان الراعي هو عدو الغنم

أُمَّتي اليوم أصيبت بالظلم والطغيان، أصيبت بالقهر الاستبداد ، أصيبت في دينها وإسلاميتها،فالإسلام الآن يُذبح ،في كل مكان،يُذبح في فلسطين والشيشان وأفغانستان،ويذبح في أرض الرافدين على أيدي الصليبيين الحاقدين، وذلك لأن المسلمين اليوم ،رضوا لأنفسهم أن يعيشوا تحت الذل والهوان ، وركنوا إلى الحياة الدنيا وملذاتها وشهواتها ، قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ** (٤٦) ﴾ [التوبة : ٤٦] ، بل

هناك من المسلمين في هذا الزمان ، من يخفي هويته الإسلامية ، ويستحي أن يقول : أنا مسلم ، أو يقول : هذا حلال وهذا حرام ، وبعضهم يتشبه بأسياده الغربيين والكافرين في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ، بينما أعداء الإسلام اليوم من اليهود والنصارى ، يُصعِّدون الحرب معنا في هذه الأيام ، ويستغلون هذا الشهر الكريم في زيادة الإذلال والتركيع ، فما يحدث الآن لإخواننا في فلسطين يندى له الجبين ، ويتفطر له القلب من كمد ، إن كان في القلب إيمان وإسلام ، ونحن أيها الأخوة : نرى بأم أعيننا ، تلك المجازر الوحشية والبربرية ، التي تحصل لهم هناك في شتى بقاع المسلمين ، فإلى متى أيها المسلمون ذلك الحصار والتجويع ، والقمع والإرهاب؟ إلى متى يستمر هذا الويل والعذاب ، والقهر والاستبداد ، ولا أكون مبالغاً إذا قلت : أنه ما من يوم ، إلاَّ وتسفك فيه دماء ، وتمزق فيه أشلاء ، وتحرق فيه بيوت ، وتدمر مصانع ومدارس ومزارع ومساجد يذكر فيها اسم الله ، واه يا مسلمون ، والله إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ، ويموت كمداً على ضعف المسلمين وقلة الموحدين ، الأمة الآن ، تستقبل رمضان وقد سفكت دماؤها ، واحتلت أرضها ، وزال شرفها ومجدها ، ونحن مع ذلك مازلنا نأمل بأعدائنا خيراً ، ونستجيب لهم ولآرائهم ، ونتحاكم إلى قوانينهم التي فرضوها علينا وعلى أمتنا ، ونحن مع ذلك نملك قوة جبارة لا يستهان بها ، ونملك الإيمان والعقيدة، التي حارب بها رسول الله ﷺ في مكة والمدينة ، فيخرج من هذه الأمة الوليدة ، أبطال الإسلام وحماة الدين والعقيدة.

شباب ذللوا سبل المعالي	وما عرفوا سوى الإسلام دينا
إذا شهدوا الوغى كانوا كماة	يدكون المعاقل والحصونا
إذا جن المساء فلا تراهم	من الإشفاق إلاَّ ساجدينا
هكذا أخرج الإسلام قومي	شبابا مخلصاً حراً أمينا
وعلمه الكرامة كيف تبنى	فيأبى أن يذل أو يهونا

أما اليوم ، فنملك شباباً ضائعين مائعين ، شباب انعدمت فيه الرجولة ،

وانعدمت فيه الأخلاق الكريمة ، شباب جندته قوى الشر والطغيان ، ونظّمته أحزاب الكفر والشيطان ، شبابنا اليوم مشغولون بالرياضة والسباحة والعشق والغرام ، ولهذا مع الأسف الشديد، بعضهم يعيش على ذلك حتى يبلغ العشرين أو الثلاثين من عمره ، وهو ما يزال مغنياً أو مطبلاً ، وابن عباس ﷺ في العاشرة من عمره يفتي الأمة ، ويحفظ لنا حديث « **يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك** » محمد بن القاسم يقود معركة في بلاد السند والهند ، وعمره سبعة عشر سنة ، ويخرج منتصراً بإذن الله ، أتى محمد ﷺ ليخرج لنا من الأمة العربية البائسة ، أمة خالدة ماجدة رائدة ﴿ **هو الَّذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢)** ﴾ [الجمعة : ٢] .

هذه الأمة أبت أن تذل أو تهان، نحن أمة لا تعرف الذل والهوان ، يسمع المعتصم بالله ، نداء امرأة احتمت بالإسلام ، فيلبى النداء من بغداد ، عاصمة الشموخ والإباء ، ومهد التاريخ والحضارات ، فيأتي إليه المنجمون ويقولون له: لا تغزوا الروم في هذه الأيام ،لأن برج الذنب لم يستكمل دورته الآن ، فيقول لهم: آمنت بالله وكفرت بكم ،والله لأغزون الروم هذا اليوم ، وتحرك بتسعين ألفاً من جيش المسلمين لنصرة امرأة عجوز احتمت بالإسلام،أما اليوم فيستغيث بنا المئات والعشرات من فتياتنا المسلمات، في فلسطين وغيرها،ولا يجدن حاكماً مسلماً ، أو زعيماً عربياً عنده نخوة من العروبة، لا أقول من الإسلام ، بل من العروبة، يغار على تلك الأعراض والمقدسات، فهناك سبايا، وهناك ثكالى، وهناك مغتصبات:

تبيت أخيتي كريمة ... وتصحوا وقد ألغى كرامتها الغريب
تخبئ وجهها يا ليت شعري ... بماذا ينطق الوجه الكئيب
يموت الطفل في أحضان أم ... تهدهده وقد جف الحليب

واه على أمة الإسلام التي أضاعت عزها ومجدها ﴿ **فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النحل: ١١٢] .

أحكام رؤيـــة هـــلال رمضـــان :

أيها المسلمون :

إن الله سبحانه وتعالى فرض عليكم صيام شهر رمضان ، وأوجب عليكم أن تتعلموا شيئاً من أحكامه وآدابه ، ومن هذه الأحكام :

ما يثبت به دخول شهر رمضان: فيثبت دخوله ، برؤية هلاله أو بإكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً ، استناداً لقول الرسول ﷺ : «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غبّي عليكم ، فأكملوا عدة شعبان ثلاثين**» ، وفي حديث آخر يقول ﷺ : « **إذا رأيتموه فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا ، فإن غمّ عليكم ، فأقدروا له** » متفق عليه ، وكذلك يجب الحرص على إحصاء عدة شعبان استعداداً لرمضان ، لأن الشهر إمّا أن يكون تسعة وعشرون يوماً ، أو ثلاثون ، لما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **الشهر تسع وعشرون ليلة ، فلا تصوموا حتى تروه ، فإن غمّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين** » وفي صحيح ابن خزيمة ، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : « **كان رسول الله ﷺ يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ، ثم يصوم لرؤية هلال رمضان ، فإن غمّ عليه عدّ ثلاثين يوماً ثم صام** » ، ومعنى ذلك أنه كان يحرص ويتحرى ، أن يشاهد هلال شعبان في أوله وآخره، استعدادا لصيام رمضان ، وكذلك يجب لثبوت الصيام ، أن يشهد شاهدان مسلمان عدلان ، امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ وجاء في الحديث الذي رواه النسائي في سُننه، قوله عليه الصلاة والسلام : «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن شهد شاهدين فصوموا وأفطروا** » والذي نفهمه من هذا الحديث ، أنه قصر الرؤية على شاهدين عدلين من المسلمين ، ولكن بعض أهل العلم ،كالإمام النووي وابن القيم وابن حجر رحمهم الله تعالى ، يقولون : بجواز شهادة الواحد ، ويأخذون برؤيته ، لما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال تراءى الناس الهلال على عهد رسول

الله ﷺ ، فأخبرته أني رأيته ، « **فصامه وأمر الناس بصيامه** » رواه أبو داود والحاكم،أمّا الصغير فلا يثبت الصيام بشهادته لأنه لا يوثق به ، وأولى منه المجنون والكافر ، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ وقال: إني رأيت الهلال، أي هلال رمضان ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أتشهد ألا إله إلا الله؟** ، قال: نعم ، قال: **أتشهد أن محمداً رسول الله ؟**، قال: نعم ، قال: **يا بلال ، أذن في الناس فليصوموا غداً** » أخرجه الخمسة إلا أحمد وإسناده ضعيف ، ضعفه الألباني في إرواء الغليل ، ويترتب على هذا الحديث ، إذا تم الإعلان عن ثبوت الشهر، من قبل الدولة الإسلامية بالمذياع وغيره من وسائل الإعلام، فيجب عند ذلك العمل به،في دخوله وخروجه لأن الإعلان به من قبل الدولة المسلمة ، حجة شرعية يجب العمل بها ، ولهذا أمر النبي ﷺ بلالاً أن يؤذن في الناس معلناً ثبوت الشهر ، وجعل ذلك الإعلام ملزماً لهم بالصيام، وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

تنبيهٌ مهم :

وأخيراً هناك تنبيه مهم : لا بد أن نذكّر به إخواننا المسلمين ونحن نستقبل شهر رمضان ، ففي هذه الأيام يستخدم الناس كثيراً من القصاصات والأوراق ، التي تحتوي على بعض الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية، وأسماء الله الحسنى ، ثم بعد ذلك يتم استخدامها في غير موضعها اللائق بها ، ولهذا ندعو إخواننا المسلمين إلى احترام هذه القصاصات التي فيها آيات الله وسُنَّة رسوله ﷺوعدم إهانتها، لأن الله عز وجل يقول:﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** (٣٢) ﴾ [الحج :٣٢]، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



الموعظة الأولى في رمضان

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . .

أما بعد : أيها المسلمون:

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)** ﴾ [البقرة :١٨٣-١٨٤]،هذه الآية أصل في وجوب صيام رمضان، لأن فيها ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ** ﴾ وليس أنتم لوحدكم، بل كتب على الأمم السابقة من قبلكم،كتب على الصينيين والمصريين القدامى، وكتب على اليونانيين، فكانوا يصومون أياماً متتالية قبل الحروب، أما اليهود فكانوا يصومون عند الحزن والحداد وعند المرض والفتن ، وصام نبيهم موسى عليه السلام أربعين يومًا ،وكذلك النصارى كانوا يصومون يوم الكفارة ، الذي كان مقرراً في شريعة موسى عليه السلام، وصام نبيهم عيسى عليه السلام أربعين يومًا قبل بدء الرسالة، وذكر الحافظ العلامة ابن كثير،أن الصيام الذي كتب على الأمم السابقة كان شهراً كاملاً .

فوائد الصيام :

إذاً أيها الإخوة : لماذا يتأذى بعض المسلمين من الصيام ، وهي سُنَّة واجبة ماضية إلى قيام الساعة ، بنص الآية الكريمة ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ لماذا يتأذى بعض المسلمين من الصيام ، وهو:

[١] سبب لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات: كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من صام رمضان إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه** » وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر** » والصيام كذلك:

[٢] سبب للتقوى: كما قال تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وقال في آية أخرى ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[المائدة : ٢٧] . ومن فوائد الصيام:

[٣] أن ثوابه عظيم : لا يقدر بزمن ولا عدد ، استناداً لقوله ﷺ كما جاء في الحديث القدسي: "**كل عمل ابن آدم له ، إلاَّ الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**" .

الوجه الأول في هذا الحديث: أن الله سبحانه وتعالى اختصه لنفسه من بين سائر الأعمال ، وذلك لظهور الإخلاص فيه ، لأنه سر بين العبد وربه لا يطلع عليه إلا الله .

أما الوجه الثاني: فقد أضاف الجزاء إلى نفسه الكريمة حيث قال : «**وأنا أجزي به** » وذلك لأن جميع الأعمال يضاعف أجرها بالعدد والأرقام ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، أما الصوم فإن الله أضاف الجزاء إلى نفسه وهو أكرم الأكرمين وأجود الأجودين. وكذلك من فوائد الصيام .

[٤] أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة : فعن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال :«**الصيام والقرآن ، يشفعان للعبد يوم القيامة ، فيقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ،ويقول القرآن :منعته النوم بالليل فشفعني فيه ،قال :فيشفعان**» رواه أحمد .وكذلك من فوائد الصيام.

[٥] أنه جُنَّة من النار: أي وقاية من دخولها ، فقد روى الإمام أحمد بسند صحيح عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **الصوم جنة ، يستجن بها العبد من النار**» ،وفي الحديث المتفق على صحته عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **من صام يومًا في سبيل الله ، باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا** »

فإذا كان هذا الجزاء على يوم واحد ، فما بالكم بصيام شهر بأكمله ، إنه لفضل عظيم . وكذلك الصيام .

[٦] **طريق موصل إلى الجنة:** لما ثبت في الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام : «**إذا جاء شهر رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين** » بل أخبر ﷺ أن في الجنة باباً للصائمين يسمى الريان ، فقال ﷺ : «**إن في الجنة بابا يقال له : الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق ذلك الباب**» وجاء في الحديث المختلف على صحته، «**أن الله يزين كل يوم جنته ، ويقول لها : يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة والأذى ، ويصيروا إليك**» . ولقد ثبت بالتجربة والبرهان .

[٧] **أن الصوم وجاء لصاحبه من الشهوات:** كما جاء في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع ، فعليه بالصوم فإنه له وجاء** »، الشاهد من الحديث : « **ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » في هذا الحديث أرشد النبي ﷺ أولئك الشباب الذين يعانون من أجيج الشهوة وغليانها ، أرشدهم بالصوم ، ولقد ثبت بالتجربة والبرهان على جدوى هذه الوصية النبوية ، التي تمثل الدواء النافع ، لما يعانيه كثير من الشباب اليوم ، من النزعات الشهوانية والبهيمية . ومن فوائد الصيام:

[٨] **أنه يريح المعدة والجهاز الهضمي من الفضلات المتراكبة:** ويطهر الأمعاء من فساد السموم المترتبة عليها ، ويطهر البدن من الأخلاط الرديئة والعفونة التي تتركها الأطعمة والأشربة ، ولذلك أرشد النبي ﷺ إلى التخفيف من الطعام ، حيث قال : « **بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لهوائه**». أما الصحة المعنوية التي يورثها الصيام .

[٩] فإنه يطهر النفس ويزكيها ، ويهذبها من الأخلاق السيئة والصفات الذميمة : كالأشر والبطر والبخل وغيرها من الصفات القبيحة ، وهو أيضاً يوجه الصائمين إلى الله تعالى ، ويعرّف الغني بنعمة الله عليه ، ويجعله دائماً يحس بإخوانه الفقراء ، الذين يبيتون جوعى ، ولا يجدون قيمة الدواء والكساء. والصيام كذلك :

[١٠] يمثل مظهراً من مظاهر الوحدة بين المسلمين: بل يعتبر حلقة اتصال بين شعوب الأمة الإسلامية جمعاء ، وهو المثل الأعلى للوحدة بين أمة الإسلام المترامية الأطراف ، في مشارق الأرض ومغاربها ، لأنها وحدة تنبع من الضمير ، وتصنع المستقبل والمصير ، وتحقق قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ** ﴿٥٢﴾ ﴾ [المؤمنون : ٥٢] .

مزايا الأمة في شهـــر رمضـــان :

وعليه فإن هذه الأمة ، أعطيت في هذا الشهر خمس خصال ، لم تعطهن أمة من الأمم قبلها:

[١] خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

[٢] استغفار الملائكة لهم حتى يفطروا.

[٣] يزين الله جنته كل يوم للصائمين.

[٤] تصفد فيه مردة الشياطين بالسلاسل والأغلال.

[٥] يغفر الله لعباده الصائمين في آخر ليلة منه ، كما جاء في الحديث الضعيف الذي رواه الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال : « **أعطيت أمتي خمس خصال ، لم تعطهن أمة من الأمم قبلها : خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، ويزين الله كل يوم جنته ويقول لها : يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة ويصيروا إليك ، وتصفد فيه مردة الشياطين ، فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون إليه**

في غيره ، ويغفر لهم في آخر ليلة منه ، فقيل : يا رسول الله ،أهي ليلة القدر؟ قال : لا ولكن العامل فيه ، إنما يوفى أجره إذا قضى عمله » .

الخصلة الأولى : «خلوف الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » ، وهذا ليس بغريب ، فكما أن الشهيد الذي قتل في سبيل الله يأتي يوم القيامة وجرحه يثعب دما ، لونه لون الدم وريحه ريح المسك ، والحجاج في يوم عرفه ، يباهي بهم ربهم سبحانه وتعالى ملائكته المقربين، فيقول لهم :انظروا إلى عبادي هؤلاء ، جاؤني شعثًا غبرًا، إذا فلا نستغرب : أن هذه الرائحة التي يستقذرها الناس ، تكون عند الله يوم القيامة أطيب من ريح المسك .

الخصلة الثانية: «أن الملائكة تستغفر للصائمين حتى يفطروا » ، وهذه مزية عظيمة ومكانة رفيعة ، أن يستغفر لك أيها الصائم ، ملائكة السماء الذين هم عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

الخصلة الثالثة: «أن الله سبحانه وتعالى يزين كل يوم جنته لعباده الصائمون »، وهذا هو الفوز العظيم ، أن تفوز بجنة عرضها السموات والأرض ، قال تعالى : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

الخصلة الرابعة: أن مردة الشياطين تصفد بالسلاسل والأغلال ، كما جاء في الصحيحين أن النبيﷺ قال :«إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » وفي رواية للترمذي وغيره، قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، صُفدت الشياطين ومردة الجن ، وغلقت أبواب النار ، وفتحت أبواب الجنة » ، وهذه فرصة ثمينة أن يؤدي الإنسان عبادته بعيداً عن وساوس الشيطان وأهواله .

الخصلة الخامسة : أن الله سبحانه وتعالى يغفر لهذه الأمة في آخر ليلة منه ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[المطففين:٢٦]،وكذلك يخرجهم من النار في كل ليلة،كما جاء في الحديث«ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة».

المحرمات في رمضان :

إذا أيها المسلمون: إن صيام رمضان ليس قاصراً على الأكل والشرب فحسب، بل هناك صيام للسمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤلا ، ولا يتم التقرب إلى الله تعالى بالصيام ، إلاَّ بعد أن يتم التقرب إليه بترك الحرام ، في كل حال ومآل ، من الكذب والغش والخديعة والخيانة والغيبة والنميمة ، وغيرها من المحرمات التي يستهين بها كثير من الناس في رمضان وفي غيره ، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : « **الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل إني صائم ، إني صائم** » .

وعليه فمن لم يحفظ لسانه عن فضول الكلام ، ويغض بصره عن الحرام ، فما أفطر ولا صام، ولكنه أتعب نفسه بلا فائدة ،كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» وقال أيضًا في حديث آخر: «**رب صائم ليس له من صيامه إلاَّ الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلاَّ التعب والسهر** » ، وكان جابر رضي الله عنه يقول: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الحرام ، ودع عنك أذى الجار، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء ، وإن من أعظم الحُرُمات ارتكاب المحَرَمات في شهر رمضان ، ومنها:

[١] **الغيبة:** التي عرفها النبي ﷺ بقوله : «**هي ذكرك أخاك بما يكره** ، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ ، **قال: إن كان فيه ما تقول ، فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول ، فقد بهته** » .

[٢] **النميمة:** التي تمنع صاحبها من دخول الجنة ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : «**لا يدخل الجنة نمام** » متفق عليه ، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ مرّ بقبرين ، فقال : « **إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحد هما ، فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس في النميمة** » ، وهو

نقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد ، وزرع الفتن فيما بينهم ، والله المستعان .
ومن أشد المحرمات

[٣] **الغش في البيع والشراء:** وهذا سائد ومنتشر بين الناس ، وبالأخص يكثر في شهر رمضان،فتجد بعض البائعين لا يتورع عن الكذب والغش والخداع، ولا يعطي شهر رمضان حُرمته ، بل يزداد فيه كذبًا وغشًا على الناس ، بينما رسولنا عليه الصلاة والسلام يقول : « **من غشنا فليس منا** » ويقول في حديث آخر : «**من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حجة في أن يدع طعامه وشرابه** » . ومن المحرمات المغلظة في هذا الشهر الكريم :

[٤] **أكل الحرام:** فإن الله طيب لا يقبل إلاَّ طيبًا ، ولهذا يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نأكل من الطيبات ، وأن نترك المحرمات ، حيث قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)** ﴾ [البقرة : ١٧٢] ، وأمرنا أيضًا بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)** ﴾ [المؤمنون : ٥١] ، ثم ذكر ﷺ :«**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ،يمد يديه إلى السماء : يا رب ، يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب له** » أي لا يمكن أن يستجيب الله له ، حتى لو كان دعائه في هذا الشهر الكريم ، الذي تسكب فيه العبرات وتغفر فيه الزلات ، إذا كيف يصوم الإنسان وهو يأكل الحرام؟، وكيف يصوم الإنسان وقد أفطر على الحرام؟ ، وكيف يصوم الإنسان وهو يأكل الربا أضعافًا مضاعفة؟! ، فعلى المسلمين أن يتقوا الله ربهم، لعلهم يفلحون .

نـــــداء :

وبهذه المناسبة العظيمة في هذا الشهر الكريم ، يجب ألا يفوتنا التذكير ، لإخواننا المسلمين ، أن يتفقدوا أحوال إخوانهم الفقراء والمساكين ، وفق الله الجميع إلى كل خير ، آمين. . . .

الموعظة الثانية في رمضان

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين ، ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . .

أما بعد : أيها المسلمون:

قال تعالى : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (١٨٥) ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

أيها الأخوة الكرام : ما زلنا في هذه الأيام ، نعيش فرحة الصيام والقيام في هذا الشهر الكريم ، رغم المشقة التي نجدها في بعض الأحيان ، ولكنها الجنة ، التي نريدها ونسعى إليها ،كما قال ﷺ : «**إذا جاء رمضان ، فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار**» ، شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن، مدرسة ربانية ، تفتح أبوابها كل سنة شهراً كاملاً للسالكين إلى الله ، كما قال ﷺ : «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ، غفر له ما تقدم من ذنبه** »، شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.

مزايا شهر رمضان :

[١] هو شهر القرآن: الذي أنزل في أشرف ليلة منه ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ** (٣) **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** (٤) **أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ** (٥) **رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (٦) ﴾ [الدخان : ٣-٦] ،

قال ابن عباس رضي الله عنهما : أنزل هذا القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة ، ولهذا كان النبي ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حينما يأتيه جبريل فيدارسه القرآن ، لقد كان ﷺ يعيش حياته في هذا الشهر مع القرآن ، وكانت خطبه ومواعظه من القرآن ، ولذلك لما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلقه ، فقالت: كان خُلقه القرآن ، وكان إذا قرأ آية من كتاب الله ، يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من شدة البكاء ، وفي ذات مرة يقول لابن مسعود رضي الله عنه : «**اقرأ عليَّ القرآن**» ، فقال: يا رسول الله ،كيف أقرأه عليك وعليك أنزل؟ فقال: « **إني أحب أن أسمعه من غيري**»، فبدأ يقرأ من أوائل سورة النساء ،حتى إذا وصل إلى قوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾ [النساء : ٤١] ، قال: «**حسبك** » ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : نظرت إليه، فإذا عيناه تذرفان ، ويمر عليه الصلاة والسلام في ليلة من الليالي جوار بيت ، فسمع عجوزا تقرأ ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** ۝١ ﴾ [الغاشية : ١] ، وترددها ، فجعل يبكي وهو يقول: نعم أتاني ، نعم أتاني ، وقد كان سلف هذه الأمة في هذا الشهر الكريم، يعيشون مع القرآن ، فقد كان الإمام مالك رحمه الله ، إذا دخل شهر رمضان ، يترك مجالس العلم ويقبل على قراءة القرآن من المصحف ، وكان قتادة ، يختم القرآن في ثلاثة أيام من رمضان ، ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يتفاعلون مع آيات القرآن ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: لما نزل قوله تعالى ﴿ **أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ** ۝٥٩ **وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ** ۝٦٠ ﴾ [النجم :٥٩-٦٠] بكى أهل الصُّفة جميعًا حتى جرت دموعهم على خدودهم ، فسمع رسول الله ﷺ حِسَّ بكائهم ، فقال : «**لا يلج النار من بكى من خشية الله** » وقال في حديث آخر : «**عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله** » وكما أن شهر رمضان ، هو شهر القرآن ، فهو أيضًا:

[٢] شهر الصبر: فإن الصبر لا يتجلى في شيء من العبادات أعظم من تجليه في هذا الشهر، حيث يحبس الإنسان نفسه عن الطعام والشراب والجماع وغيره من الشهوات والملذات ، ولهذا اجتمعت فيه أنواع الصبر الثلاثة : صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة من الجوع والعطش وضعف البدن والنفس،يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر: ١٠] ، لأن جزاء الصبر الجنة ،كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)** ﴾ [فصلت: ٣٥] وكذلك شهر رمضان :

[٣] شهر البذل والتضحيات: شهر الجهاد في سبيل الله ، فقد كانت أعظم معارك الإسلام في هذا الشهر الكريم ، فمعركة بدر الكبرى التي حقق المسلمون فيها انتصارا ساحقا على الكفار كانت في هذا الشهر، وفتح مكة ذلك الفتح المبين ، الذي دانت من خلاله جزيرة العرب لحظيرة الإسلام ، كان في هذا الشهر الكريم ، ومعركة القادسية التي قادها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في بلاد العراق ، كانت في شهر رمضان المبارك ، ابن تيمية رحمه الله وقف على المنبر في الشام ، وكان ذلك في السابع عشر من رمضان ، وقال: أيها الناس أفطروا ، فإنكم اليوم في جهاد ، فيقولون له: كيف نغلب التتار وهم بهذه القوة وهذا العدد والعتاد؟ فيقول لهم: والله لننتصرن عليهم ، فيقول السلطان أمامه وهو يرتجف ، **قل:** إن شاء الله ، قال: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا ، ثم سحقوا التتار في شقحة وهزمونهم شرّ هزيمة ، وترتفع لا إله إلا الله فوق رؤوسهم الجبانة.

إذا أيها المسلمون: الإسلام كان ينتصر في شهر رمضان ، وذلك لأن المسلمين كانوا يتصلون بالواحد الأحد ، الرسول ﷺ في بدر ، يرفع يديه إلى السماء ويقول اللهم نصرك الذي وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم في الأرض محمد ابن واسع ، كان يرفع إصبعه إلى السماء و يدعو، فيقول قتيبة بن مسلم: والله لأصبع محمد ابن واسع خير عندي من ألف فارس شهير، ولكن الأمة اليوم في شهر رمضان ، تُمنى بالهزائم والانتكاسات ، وتتلقى من

أعدائها الضربات تلو الضربات، وعليه فإن زيادة البطش والتنكيل لهذه الأمة في شهر رمضان، له بعداً آخر، ومغزى آخر، يقصده أعداؤنا، لأن شهر رمضان بالنسبة لهذه الأمة، يمثل رمزا وشعارا،لقوة المسلمين وعزتهم، يوم أن سحقناهم في جزيرة رودس وفي نهر اللواظ، ولهذا فان شهررمضان، ليس شهر مأكولات ومشروبات، إنما هو شهر بذل وتضحيات، شهر تلاوة للقرآن، وإطعام للطعام، والصلاة بالليل والناس نيام، وهو كذلك:

[٤] شهر فيه تدريب على الإنفاق في سبيل الله: فقد كان النبي ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حينما يأتيه جبريل فيدارسه القرآن، لقد كان رسولكم محمد في هذا الشهر الكريم، يعيش حياة رمضانية فريدة، فقد كان يدعو الناس إلى الجود والكرم ويقول من فطّر صائما كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شئ ثم يبادر هو ﷺ إلى الإنفاق في سبيل الله، متمثلا قول الله تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ⁽٨⁾ ﴾ [الإنسان: ٨] كيف لا وقد قال ﷺ: «**أفضل الصدقة، صدقة في رمضان**» وما ردّ رسول الله ﷺ سائلا قط، وما بخل من شئ في يده، يأتي إليه أعرابي ويمسكه من تلابيبه ويقول له: يا محمد، اعطني من مال الله الذي أعطاك، لا من مال أبيك ولا أمك، فيعطيه ﷺ ويُحسن إليه، حتى جعل ذلك الأعرابي يستحي من رسول الله ﷺ ويعتذر إليه.

حال الرسول ﷺ وصحابته في رمضان:

أمّا عن حاله ﷺ في ليالي رمضان،فقد كان يسهر بسورة طه والأنفال،والبقرة وآل عمران، ويكفيه فخرا وشرفا قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ** ⁽١⁾ **قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً** ⁽٢⁾ **نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً** ⁽٣⁾ **أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً** ⁽٤⁾ ﴾[المزمل: ١-٤] ،وقد كان سلفكم، سلف هذه الأمة،يجتهدون في رمضان بالصيام والقيام وإطعام الطعام، ما لا يجتهدون في غيره، فكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، لا يفطر

إلاَّ مع الفقراء والمساكين ، وكان الإمام مالك رحمه الله إذا دخل رمضان ، يترك مجالس العلم ويتفرغ لقراءة القرآن من المصحف .

حـــال المسلمين اليوم في رمضان :

أمّا حال المسلمين اليوم في رمضان ، فهو في أسوأ حال ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال تعالى :﴿ **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ** ﴾ [فاطر : ٣٢] ، فقد جعل بعض المسلمين اليوم ، شهر رمضان :

[١] شهر مأكولات ومشروبات وملبوسات: فبعض الناس اليوم إذا دخل رمضان ، تنتفخ بطونهم من كثرة ما يأكلون ويشربون ، والرسول ﷺ يقول : « **بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه** » وبعضهم يأكل ولا يشبع ، لأنه لم يسمِ الله في بداية أكله ، بينما رسولنا ﷺ يقول لربيبه عمر ابن سلمة يا غلام : « **سمِّ الله تعالى وكل بيمينك ، وكل مما يليك** » .

[٢] شهر رمضان فرصة للنوم والكسل : يعتقد بعض المسلمين اليوم ، أن شهر رمضان فرصة للنوم والكسل ، وبعضهم قد يضيع الصلوات الخمس ، وكثيرا من العبادات ، وما علموا أن شهر رمضان هو شهر الجد والاجتهاد ، وشهر البذل والتضحيات ، وشهر الانتصارات العظيمة في تاريخ الإسلام المجيد . وبعض المسلمين قد :

[٣] يتضجّر من دخول شهر رمضان ويفرحون بخروجه : ولهذا تجد بعضهم تسوء أخلاقهم في رمضان، وينفعلون لأتفه الأسباب، بينما الرسول ﷺ يقول : « **إذا أصبح أحدكم صائما فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل ، فإن امرئ سابه أو قاتله فليقل إني صائم** » ، وجاء في حديث آخر : « **الصيام جنة ، فإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ، وإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم** » ، وبعضهم قد :

[٤] يرتكب المحرمات في نهار وليالي رمضان: فمنهم من يقضي ليله كله بالملاعب والملاهي والمقاهي والمنتزهات، والرسول ﷺ كان يسهر الليل بسورة طه وسورة والأنفال، يسهر الليل بـ ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢)** ﴾ وبعضهم يبيتون على مشاهدة القنوات الفضائية ، يتقلبون بين محرماتها ، وكأنهم أمنوا مكر الله ، بينما هناك عباد صالحون ، يبيتون راكعين ساجدين خائفين خاشعين ﴿ **يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ** ﴾ [النور: ٣٧] ، وبعض الناس ينفق أمواله في كثير من المحرمات ، فيقيم السهرات والحفلات ، ليصد بها عن ذكر الله وعن الصلوات ، فهل أنتم منتهون أيها المؤمنون؟! ، من هذه المنكرات في شهر رمضان وفي غيره ، لعلكم تفلحون .

ما يحتاجه المسلمون في رمضان :

إذا أيها المسلمون: إن شهر رمضان فرصة ثمينة ، يحتاج إليها المسلمون ، ولهذا يحتاج الصائمون إلى قوة عزيمة ، فقد جاء في الأبيات الجميلة .

على قدر أهل العزم تؤتى العزائم　　　وعلى قدر الكرام تؤتى المكارم
ويعظم في عين الصغير صغارها　　　ويصغر في عين العظيم العظائم

كذلك يحتاج الصائم في رمضان: أن يحافظ على الصلوات الخمس في المساجد ، حيث ينادى بهن ، لأن الصيام بلا صلاة كالجسد بلا روح ، ولهذا فإن بعض الصائمين هدانا الله وإياهم ، يتساهلون في أمر الصلاة وينامون عنها ، فتجد بعضهم لا يصلي الفجر إلا ظهرا ، ولا يصلي الظهر إلا عصراً ، والبعض الآخر يجمع بين فرضين أو ثلاثة أو أكثر في وقت واحد، وهذا يخالف سُنَّة المصطفى ﷺ وهديه في الصلاة،كذلك ينبغي على الصائم أن يحافظ على صلاة التراويح ، لأنها من قيام الليل،كما قال ﷺ :« **أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل** - وقال في حديث آخر - **أيها الناس : افشوا السلام ،وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلُّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام** » ، ولهذا

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء له أن يصلي ، حتى إذا كان في الثلث الأخير من الليل، أيقظ أهله للصلاة، ثم يقرأ عليهم هذه الآية ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢)** ﴾ .
[طه : ١٣٢] .

وروي أن الأشتر: دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بعد هدأة من الليل ، فوجده قائما يصلي ، فقال: يا أمير المؤمنين ، صوم بالنهار وسهر بالليل وتعب فيما بين ذلك ، ولما فرغ من صلاته قال له: سفر الآخرة طويل ، فيحتاج إلى قطعه بسهر الليل ، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، إذا قرأ من قوله تعالى : ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ** ﴾ [الزمر : ٩] ، يقول ذلك عثمان بن عفان ، لأنه كان كثير الصلاة في الليل ، ومن صلاة الليل: صلاة الوتر الذي أقله ركعة وأكثره ثلاثة عشر ركعة ، لقوله ﷺ : «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً** » ، وكان غالب قيامه ﷺ بالليل إحدى عشر ركعة ، أو ثلاثة عشر ركعة ، كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره ، على إحدى عشر ركعة، ولم يكن ﷺ يدع قيام الليل حضراً ولا سفراً ، استجابة لأمر الله القائل: ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩)** ﴾ [الإسراء: ٧٩]، ولذلك ثبت أنه ﷺ قام ليلة تامة،بآية واحدة يتلوها ويرددها حتى الصباح، وهي قوله تعالى: ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)** ﴾.
[المائدة : ١١٨] .

فيا أيها العبّاد في شهر رمضان وفي غيره، عليكم بالليل فإن سهام الليل لا تخطئ أبداً،حين : «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، فينادي: هل من سائل فأعطيه؟ ، هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟**» ، فهناك تُسكب العبرات، وتُفتح أبواب السماء، كما جاء في

الحديث الذي رواه الطبراني وصححه الألباني أن النبي ﷺ : « **قال تفتح أبواب السماء في نصف الليل الأخير ، فينادي مناد هل من داع ؟ فيستجاب له ، هل من سائل ؟ فيعطى له ، هل من مكروب ؟ فيفرج عنه ، فلا يبقى مسلم يدعو الله إلاَّ استجاب دعوته ، إلاَّ زانية تسعى بفرجها أو عشَّاراً** » والعشار : هو الذي يأخذ أموال الناس بالباطل والقوة والجبروت ، كما يفعل المكّاس ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

نـــداء :

وفي الختام أيها الأخوة:

يجب أن تعلموا أن لكم إخوانًا محتاجون لدعمكم ومساندتكم ، فلا تبخلوا عليهم بما تجود به أنفسكم ، وفق الله الجميع إلى فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .



العشر الأواخــر من رمضان

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين ، ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد : أيها المسلمون:

إن الله سبحانه وتعالى أكرم هذه الأمة بهذا الشهر الكريم ، الذي تعظم فيه الأجور ، وتَرق فيه القلوب ، وتُشحذ فيه الهمم العالية ، فيتقوى الإنسان فيه على محاربة الشيطان والهوى ، وقمع الشهوات ، وفيه تزكية للنفس وتطهيرها من الأخلاق السيئة ،كالأشر والبطر والبخل وغيرها من الصفات الرذيلة والذميمة ومن أفضل الأيام في هذا الشهر ، العشر الأواخر منه التي اختصها الله عز وجل على غيرها من سائر الشهور والأيام ، فقد كان النبي ﷺ :

❁ يجتهد فيها أكثر من غيرها لما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «**كان رسول الله يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره** » وقالت أيضًا في حديث آخر : «**كان رسول الله إذا دخل العشر : أحي الليل وأيقظ أهله ، وشد المئزر** » ، وكان ﷺ في العشر الأواخر من رمضان ، يطيل القيام في الليل ، كما في حديث النعمان ابن بشير رضي الله عنهما قال :قمنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان ، ليلة ثلاث وعشرين إلى نصف الليل الأول ، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل ، ثم قمنا معه ليلة سبع وعشرين حتى خشينا ألاَّ ندرك الفلاح وهو السحور ، وكان ﷺ يوقظ أهله للصلاة في سائر الليالي والأيام ، كما في صحيح البخاري أن النبي ﷺ استيقظ في ليلة من الليالي وقال : «**سبحان الله ، مـاذا أنزل الليلة من الفتن؟ ومـاذا أنزل من الخـزائن ، من يوقظ صـواحب الحجرات** » أي أزواجه لكي يصلين ، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة فإذا

كان هذا في سائر الأيام ، فما بالكم في العشر الأواخر من رمضان ، فإنه كان أكثر عبادة واجتهادا فيها ، ولهذا جاء في الحديث : أنه كان يشد مئزره في العشر الأواخر من رمضان ، وهذا كناية عن الجد والاجتهاد في الطاعة والعبادة ، وقيل : فيه كناية عن اعتزال النساء وترك الجماع ، ولهذا كانت عائشة رضي الله عنها تقول له : **«لما تفعل بنفسك هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول لها : يا عائشة أفلا أكون عبدا شكوراً»** ، وفي ليلة من الليالي قام ﷺ يتوضأ للصلاة ، فجاءت إليه عائشة رضي الله عنها ، فقال لها : **« يا عائشة ذريني أتعبد لربي ، ثم قام يصلي ويبكي حتى جاءه بلال يستأذنه للصلاة ، فقال : يا بلال ، لقد أنزلت عليَّ الليلة آيات ، ويل لمن قرأها ولم يتدبرها ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) ﴾** [آل عمران : ١٩٠] .

ومن الأعمال التي كان يقوم بها النبي ﷺ في العشر الأواخر من رمضان:

✿ **لزوم المسجد بنية الاعتكاف:** كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه ، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : اعتكف رسول الله ﷺ في العشر الأواخر من رمضان ، وقد كان من هديه ﷺ في الاعتكاف ، أن يداوم على ذكر الله ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦)** ﴾[الإنسان : ٢٦] ، ولذلك كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول : كنا نعدّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة : رب اغفر لي وارحمني وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم ، وهذا الذِّكر الذي تَمَثَّله النبي ﷺ في معتكفه ، كان يبدؤه منذ فجره الأول ، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : **«كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يعتكف ، صلى الفجر ثم دخل معتكفه»** وقد كان من عادته ﷺ أن يعتكف في كل سنة من رمضان ، كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : **«كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل »** وكان قبل ذلك يُقلِّب اعتكافه بين كل عشرة من شهر رمضان ،لما رواه مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ : **« اعتكف العشر الأول من شهر رمضان ، ثم أعتكف العشر**

الأوسط يلتمس هذه الليلة ، ثم أخبر أنها في العشر الأواخر من رمضان ، فقال **من أحب منكم أن يعتكف فيها فليعتكف** » وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرون يوما ، وفي إحدى السنوات ، حبس عن الاعتكاف ، لأنه خرج للغزو في سبيل الله، كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال :« **كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان فلم يعتكف سنة، فلما كان العام المقبل ، اعتكف عشرين** » .

ومن فضائـــل هذه العشر:

أن فيها ليلة القدر: كما قال تعالى : ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)**﴾ [القدر] .

وفي هذه العشر: كان رسول الله ﷺ يولي أزواجه بمزيد من العناية والاهتمام فيأمرهن بالإكثار من الصلاة ،كما جاء في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال :كان النبي ﷺ يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان، ومن حرصه عليهن أنه سمح لهن بالاعتكاف معه في هذه العشر، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت :«**اعتكف رسول الله ﷺ في العشر الأواخر من رمضان، فاستأذنته، فأذن لها ، وسألت حفصة عائشة أن تستأذن لها ففعلت**» ، رواه البخاري، وجاء في حديث صفية رضي الله عنها «**أنها جاءت تزور رسول الله ﷺ وهو معتكف بالمسجد في العشر الغوابر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة من العشاء، ثم انقلبت إلى بيتها** »، رواه البخاري.

إذا أيها المسلمون: إن هذه الأحاديث التي ذكرناها لكم من حياة الرسول ﷺ فيما يخص هذه العشر المباركات ، لتؤكد من جديد ، أن دينكم هذا الذي تنتسبون إليه ، يبعث في نفوسكم روح التغيير والتجديد ، وما هذه السنن ،

وهذه النفحات ، التي دعا إليها رسول الله ﷺ في هذا الشهر الكريم ، ما هي إلاَّ أبوابًا مفتّحة إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، كما قال ﷺ : « **إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة ، وغُلقت أبواب النار** » فمثلاً :

سُنَّة الاعتكاف: هذه السُّنَّة الغائبة من حياة المسلمين اليوم ، لو تعلمون ما فيها من التربية والتعليم ، ما وسعكم إلاَّ أن تزاحموا عليها بالمناكب ، فلقد كان الرسول ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان،رغم انشغاله بالدعوة والتعليم والجهاد، تاركًا لمن بعده درسًا عظيمًا في أهمية الانقطاع إلى الله تعالى ، والتحرر من القيود الدنيوية والطينية، التي فرضت علينا ، ولاشك أن هذا الاعتكاف ، ما شرع إلاَّ :

[١] **لزيادة الصلة الإيمانية بالله تعالى:** التي تزكي النفس وتطهرها، وتجعل الإنسان أكثر قدرة على مواجهة الفتن ، بشتى أشكالها وأنواعها.

[٢] **كما شرع للتخفيف من الشهوات والملذات وفضول المباحات،** فكم من الأنواع التي يأكلها الإنسان في حياته ، وكم من المشروبات التي يتلذذ بها؟ ، وكم من الأهل والخلان يعيش معهم ، أو يحادثهم أو يضحك معهم؟ ، ولذلك يقول النبي ﷺ : « **كتب حظ ابن آدم من الزنا ، فالعين تزني وزناها النظر ، والأذن تزني وزناها السمع ، واليد تزني وزناها البطش ، والرجل تزني وزناها المشي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه** » .

إذًا بعد هذا ، ألا يحتاج الإنسان أن يختلي بنفسه وربه ، ويسكب العبرات بين يديه ، عسى أن يرحمه أو يبدل سيآته إلي حسنات ، كما جاء في الحديث « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله ، وذكر منهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه** » .



أحكـــام وآداب المعتكـــف

ولهـذا يجب أن تعلمـوا أيهـا المسلمـون: أن للمعـتكف أحكام وآداب ، يجب الالتزام بها، فينبغي عليه أولاً:

[١] **أن يختلي بنفسه وربه:** بحيث يضع له خباءً في المسجد ليناجي ربه نداءً خفيًا،كما فعل الرسول ﷺ عندما وضع له في المسجد بيت من سعف ، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : «**اعتكف رسول الله ﷺ في العشر الأواخر من رمضان ، فاتخذ له بيت من سعف** » وعن أبي سعيد رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ اعتكف في قبة تركية ، على سدتها قطعة من حصير . وكذلك من الأمور التي تجب على المعتكف :

[٢] **أن يشتغل بالطاعة والعبادة والذكر والصلاة وقراءة القرآن :** وأن يتجنب فضول الأكل والكلام، لأن كثرة الكلام يؤدي إلى قسوة القلب ،كما قال ﷺ : « **لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب**» رواه الترمذى فى سُننه ، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : «**من كان يؤمن بالله واليوم والآخر ، فليقل خيرا أو ليصمت** » ،وعليه فإن الإنسان الثرثار ، الذي يكثر الكلام والمزاح أثناء الاعتكاف ، يلزمه أن يفارق إخوانه المعتكفين ، لأنه قد خرج عن طور الاعتكاف بفساد عمله ونيته ، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام : «**من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجه في أن يدع طعامه وشرابه** » ولكن ليس هناك بأس ، أن يتحدث المعتكف مع غيره للحاجة والضرورة ، فقد كان النبي ﷺ : يخرج رأسه من خبائه وهو معتكف ، ليعلّم الجاهل ويفتي السائل ، دليل ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ أخرج رأسه ذات يوم فقال : « **إن المصلي يناجي ربه عز وجل ، فلينظر أحدكم كيف يناجي ربه ، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة** » رواه الإمام أحمد فى مسنده ، ويباح للمعتكف : زيارة أهله له ، ولكن بقدر معلوم ،

لحديث أم المؤمنين صفية رضي الله عنها أنها قالت: كان النبي ﷺ معتكفًا، فأتيت أزوره ليلاً، فحدثته ثم قمت من عنده وقد كان النبي ﷺ: يخرج رأسه من معتكفه لعائشة وهي في حجرتها، فترجل رأسه وهي حائض.

وكذلك من آداب الاعتكاف:

[٣] فقد كان النبي ﷺ لا يزور مريضًا وهو معتكف، ولا يشهد جنازة إلا أن يشترط ذلك قبل دخوله، استنادا لقول عائشة رضي الله عنها: السُّنَّة على المعتكف، ألاَّ يعود مريضًا ولا يشهد جنازة،ولا يمس امرأة ولا يباشرها، ولا يخرج إلا لحاجة لابد منها، كالوضوء والغسل والبول والغائط وغيرها من الضروريات اللازمة.

ما ورد في ليلة القدر:

وكذلك من فضائل هذا الشهر المبارك: أن الله سبحانه وتعالى اختص فيه هذه العشر المباركات، وجعل فيها أعظم ليلة يسعى إليها الساعون، ويتحراها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها،ألا وهي ليلة القدر التي شرفها الله عز وجل على غيرها، وأشاد بها سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، حيث قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ⑤** ﴾ [القدر] ،ولذلك كان النبي ﷺ يتحراها في العشر الأواخر من رمضان، كما جاء في الحديث السابق الذي مر بنا، أن النبي ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط يلتمس هذه الليلة، ولما أخبر أنها في العشر الأواخر من رمضان، فما زال يعتكف فيها حتى فارق الدنيا، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يخصها على غيرها لعظيم قدرها وجلالة مكانتها ،ولأن القرآن أنزل فيها كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④** ﴾[الدخان: ٣-٤] .

✿ **ومن فضلها:** أنها خير من ألف شهر، وأنها ليلة مباركة، لأن الملائكة

تنزل فيها لكثرة بركتها ، فينزلون إلى الأرض بأعداد هائلة ، كما جاء في الحديث الذي رواه ابن خزيمة وحسنه الألباني ، أن النبي ﷺ قال : « **إن الملائكة في تلك الليلة ، يكون عددهم في الأرض أكثر من عدد الحصى** » ولذلك وصفت هذه الليلة ، بأنها سلام ، لكثرة من يسلم فيها من عذاب النار .

✿ **ومن خصائصها:** أن الشيطان لا يخرج فيها كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يخرج شيطانها ، حتى يخرج فجرها** » رواه البخاري ، وقد ثبت أنها في رمضان وليس في غيره ، لما رواه الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ، أخبرني عن ليلة القدر ، أهي في رمضان أم في غيره؟ ، قال ﷺ : « **بل هي في رمضان ، قال : وهل تكون مع الأنبياء حيث كانوا فإذا قبضوا رفعت معهم ، أم أنها إلى يوم القيامة ؟ قال : بل هي إلى يوم القيامة** » والصحيح أنها في العشر الأواخر من رمضان ، لقول الرسول ﷺ : « **تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان** » متفق عليه، والأكيد أنها في أوتار العشر، لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « **تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان** »، وأرجاها وأقربها للصواب ، أنها في السبع البواقي من رمضان ، لما رواه مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال « **التمسوها في العشر الأواخر ، فإن ضعف أحدكم أو عجز ، فلا يُغلَبن على السبع البواقي** » ، وأقرب الأوتار إلي الصواب والله تعالى أعلم ، أنها في ليلة السابع والعشرين ، لحديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال : « **والله إني لأعلم أي ليلة هي ، إنها الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها ، هي ليلة سبع وعشرون** » رواه مسلم.

✿ **ومن علاماتها :** أن الشمس تطلع في صبيحتها بدون شعاع ، كما في حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال : وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها ، بيضاء لا شعاع لها رواه مسلم ، بحيث يصبح فيها الجو لطيفاً جداً ، لاباردا ولا حاراً، كما في حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في صفتها : « **لا حارة ولا باردة** ».

ويستحب للإنسان إذا شاهدها ، أن يدعوا بالدعاء المأثور : « **اللهم إنك عفو كريم ، تحب العفو فاعفو عنا** » .

نبذة عن الاعتكاف :

أولاً: تعريف الاعتكاف : لزوم المسلم بيت من بيوت الله ، طاعة لله تعالى وتقربًا إليه ، بنية مخصوصة على صفة مخصوصة .

ثانيًا: حكم الاعتكاف: الاعتكاف سُنَّة بالاتفاق ، ويتأكد في العشر الأواخر من رمضان ، وقد دلَّ على مشروعيته من الكتاب والسُنَّة والإجماع ، وهذه الأدلة الواردة منها :

[١] قوله تعالى : ﴿ **وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

[٢] قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ** ﴾ .

[البقرة : ١٨٧] .

[٣] حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « **كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، حتى توفاه الله** » ، ثم اعتكف أزواجه رضي الله عنهن من بعده .

ثالثاً: فوائد الاعتكاف:

[١] تقوية الصلة بالله وجمع القلب عليه .

[٢] الابتعاد عن الشهوات وفضول المباحات .

[٣] تحري ليلة القدر .

[٤] اعتياد المكث في المسجد .

[٥] الزهد في الدنيا والبعد عن البذخ والترف



رابعاً : زمـــن الاعتكاف:

أقل زمن الاعتكاف يوم أو ليلة على الراجح ، أما أكثره فقد أجمع العلماء ، على أنه لا حد لذلك .

خامساً : زمن دخول المعتكف:

إن الأفضل للمعتكف إذا أراد أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، أن يدخل المعتكف قبل غروب شمس ليلة الحادي والعشرين ، لأن المقصود من دخوله في تلك الليلة ، تحري ليلة القدر ، لأنها ترجى في أوتار العشر ، ومنها : ليلة إحدى وعشرين ، أمّا زمن الخروج من المعتكف ، فالأفضل له أن يبيت ليلة الفطر في المسجد ، حتى يكون خروجه منه إلى صلاة العيد ، وإن خرج بعد غروب شمس ليلة العيد ، جاز له ذلك .

سادساً : شروط الاعتكاف:

[١] الإسـلام . [٢] التمـيـيز .

[٣] العـقل . [٤] نية الاعتكاف .

[٥] الطهارة من الحيض والنفاس، بحيث يحرم لبث الحائض والنفساء في المسجد ، ويجوز اعتكاف المستحاضة ، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : «**اعتكفت مع رسول الله ﷺ امرأة من أزواجه مستحاضة ،فكانت ترى الحمرة والصفرة ، ولربما وضعت الطست تحتها وهي تصلي** » . رواه البخاري

[٦] أن يكون محل الاعتكاف فى المسجد : وهذا محل إجماع بين أهل العلم ، ويقولون : أن المسجد الذي تقام فيه الجمعة أفضل من غيره .



وداعاً شهر رمضان

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . .

أما بعد : أيها المسلمون:

اعلموا رحمكم الله ، أن شهركم هذا ، قد ولى وذهبت أيامه ولياليه ، ولم يبقى منه إلاَّ الشئ اليسير، وهكذا مصير الإنسان إلى الزوال ، وفي ذلك أعظم الاعتبار، يتقلب الإنسان في بطن أمه أطوارا ثلاثة ، وينتهي شيخًا كبيراً ، كما قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا** ﴾ الحج: ٥] ، وعليه فإن الإنسان لا يدري كيف وأين سيختم حياته ، ولا يدري أنه سيعيش إلى رمضان الذي يليه أو لا يعيش ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)** ﴾ [لقمان: ٣٤] ، ولن تتأخر نفس حان قطافها ، مهما حاول المحاولون واتخذوا من حصون ، قال تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)** ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

فماذا أعددتم أيها المسلمون لأنفسكم بعد شهر رمضان؟، وماذا أعددتم لمنكر ونكير؟،وماذا أعددتم لساعة الاحتضار،يوم أن تقف الملائكة بين أيديكم وأنتم حين إذن تنظرون،قال تعالى: ﴿ **فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨)** ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٨]،

فأما إن كنتم من الفائزين في شهر رمضان ، فهنيئا لكم وابشروا ، بجنة عرضها السماوات والأرض ﴿ **وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣)** ﴾ [الإنسان : ١٢-١٣] ، وأما إن كنتم من المطرودين في شهر رمضان ، فوا أسفاه عليكم ، ورغمت أنوفكم في التراب ، لأن الرسول الله ﷺ قد بين لكم من الخاسر في شهر رمضان ، حيث قال : « **رغم أنف امرئ أدرك أبويه أحدهما أو كلاهما ، فلم يدخل الجنة ، ورغم أنف امرئ أدرك رمضان ولم يغفرله** » .

إذاً أيها المؤمنون، هذا شهر رمضان قد ولى ، فماذا قدمتم لأنفسكم فيه قبل ﴿ **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)** ﴾ [الزمر : ٥٦-٦٠] ، هذه النار التي أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، هذه النار ، أعدت للظالمين والمجرمين الذين خسروا أنفسهم في الحياة الدنيا ، وخسروا أنفسهم في شهر رمضان ، الذي يئوب فيه التائبون ويرجع فيه المذنبون،ولذلك وقف النبي ﷺ على منبره ،وجعل ينادي «**أنذرتكم النار ، أنذرتكم النار ، أنذرتكم النار**» ولهذا كان مالك بن دينار إذا جاء الليل ، وقف ينادي ويقول : **أسالك يا رب ألاَّ تعذب شيبة مالك بن دينار بالنار،** ويبقى كذلك حتى يطلع الفجر، وكان الربيع بن خثيم لا ينام الليل ، فتقول له ابنته : **يا أبتاه ، ما لي أرى الناس ينامون ، وأنت لا تنام ، فيقول لها : يا بنيتي ، إن ذكر** جهنم طيَّر عن أبيك النوم. وهذا طاووس الحافي أحد العباد :كان يبسط فراشه بالليل لينام ، فيتقلى كما تتقلى الحبة على المرجل ، فيقوم ويترك فراشه ثم

يستقبل القبلة ويصلي إلى الفجر، ثم يقول. أدهب ذكر جهنم نوم العابدين ، وثبت أن الحسن البصري رحمه الله: بكى مرة، فقيل له:ما يبكيك يا أبا سعيد ، قال: أخشى أن يطرحني الله غدا في النار ولا يبالي ، وكان يقول أيضا: والله ما أيقن عبد بالنار، إلاّ ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولذلك كان يزيد بن حوشب يقول: والله ما رأيت مثل الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز ، وكأن النار لم تخلق إلاّ لهما .

إذا أيها الأخ الحبيب : إياك أن تحقر ذنوبك وأنت في هذا الشهر الكريم ، فإن رسول الله ﷺ يقول : « **إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن إذا اجتمعن على الرجل يهلكنه** » ولكن مع ذلك بعض الناس يرتكبون الذنوب والمعاصي في نهار وليالي رمضان، ويظنون أنها يسيرة ، وهي عند الله كبيرة ، فاستحي من نظر الإله إليك ، وهو يراك في ظلمة الليل البهيم الأدلجي:

فإذا خلوت بريبة في ظلمة الليل والنفس داعية لها
فاستحي من نظر الإله وقل لها يا نفس إن الذي خلق الظلام يراني

قال أحد العلماء لرجل أسرف على نفسه في المعصية ، قال له : إذا أردت أن تعصي الله، فاعصه في مكان لا يراك أحد ، أو أخرج من داره ، أو كل من غير رزقه ، فتنبه ذلك الرجل وبكى ، ثم تاب وأناب ، ودخل أحد الناس إلى بستان كثير الأشجار، فقال في نفسه: لو فعلت الفاحشة هنا من يعلم ذلك ؟ فسمع هاتفًا يقول : ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك : ١٤] .

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أنما تخفى عليه يغيب

أيها الناس: بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم ، وبادروا بالتوبة قبل فوات الأوان ، قبل أن يختم عليكم شهر رمضان ، فإن الله سبحانه وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ**

أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء: ١٨] ،ولذلك وعد الله التائبين بأنه سيبدل سيئاتهم حسنات كما قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقد آن الأوان ، ونحن نودع شهر رمضان ، أن نختمه بحسن العمل والإحسان ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام : **«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»** وروى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال : **« إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت الشمس من مغربها، فلا ينفع هناك إيمان ولا توبة »** ، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ .
[الأنعام: ١٥٨] .

إذا فحذاري أيها الناس: أن تكونوا في هذه الأيام ، وأنتم تودعون شهر رمضان ، مثل تلك المرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا ، أو مثل ذلك الرجل الذي انسلخ من آيات الله كما تنسلخ الشاة من جلدها ، قال تعالى في قصته ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٥]،والله سبحانه وتعالى يحب من الأعمال أدومه وإن قل، فقد سئل رسول الله ﷺ : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال: **« أدومه وإن قل »** ،وسئلت عائشة رضي الله عنها كيف كان عمل رسول الله ﷺ ؟ ، فقالت: **«كان عمله ديمة»** ، أي بصفة دائمة ، مأخوذ من الديمومة ، ولهذا يقول ﷺ : **«أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دُووم عليه ، وإن قلّ »** .

فحري بكم أيها الصائمون : أن تودعوا شهر رمضان وقد بُدلت سيئاتكم إلى حسنات ، فقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم ، يدعون الله ستة أشهر، أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم ، وكان من دعائهم: اللهم سلمنا لرمضان، وتسلمه منا متقبلاً ،وهذا من نعم الله عليكم ، أن بلغكم شهر رمضان ، بعد أن فارقه إخوان لكم كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر والأسى ، فحال بينهم وبينه هاذم اللذات ومفرق الجماعات ، وردوا إلى الله مولاهم الحق ، فماذا قدمتم لأنفسكم أيها المؤمنون في هذا الشهر الكريم ، وقد أخذ يعد عدته للرحيل ، ولم يبقى منه إلاَّ الشيء اليسير ، وأصبح الأمر واضحًا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فاتقوا الله عباد الله : واختموا شهركم بحسن العمل والإكثار من الحسنات ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) ﴾ [هود : ١١٤] .

محاسبة النفس :

أيها الناس: إنكم في هذه الأيام تودعون شهر رمضان ، وتستقبلون أشهر الحج إلى بيته الحرام ، فإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) ﴾ [ق : ٣٠] ، الله سبحانه وتعالى جعل لكم هذا الشهر الكريم ليطهركم به ، كما قال ﷺ **«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»** ، وعليه فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلى نفسه التي أورته هذه المهالك ، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل ، وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينظر إلى طائر يطير على الشجر ويأكل من الثمر ، فقال: يا ليتني مثل هذا الطائر يطير على الشجر ويأكل من الثمر، ثم يموت ولا حساب ولا

عقاب ، ثم يقول : والله لو أن إحدى رجلي في الجنة والأخرى خارجها ، ما أمنت مكر الله ، لذلك وعظ الرسول الله ﷺ أحد أصحابه بقوله : « **اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك** » ولكن هناك من الناس من تمر عليهم الأعوام والسنين والشهور والأيام ، ورمضان بعد رمضان ، وهم غارقون في الذنوب والآثام ، وكأنهم أمنوا مكر الله ، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الفاسقون ، ولهذا ثبت في مسند الإمام أحمد ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر،كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات، أي المهلكات ، وقال ﷺ : « **إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن إذا اجتمعن على الرجل يهلكنه** » .

وعليه أيها الناس: خذوا حذركم من هذه المهلكات ، فإنكم غدا بين يدي الله موقوفون ، وعلى أعمالكم مجزيون ومحاسبون ، واعلموا كذلك ، أن العمر قصير، والزاد قليل ، والسفر طويل ، والجنة أوالنار هي المصير.

مضى الدهر والأيام حاصل وجاء رسول الموت والقلب غافل
نعيمك في الدنيا غرور وحسرة وعيشك فيها محال وباطل

أبو الدرداء رضي الله عنه عند ساعة الاحتضار، أخذ يبكي وهو يحتضر ويقول : ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا، أحد الصالحين عندما حضرته الوفاة، جعل يبكي، فقيل له : ما يبكيك رحمك الله ؟ ،قال : طول السفر وقلة الزاد ، وضعف اليقين ، وخوف الوقوع من الصراط في النار، معاوية بن أبي سفيان عندما حضرته الوفاة ، قال لأهله : أقعدوني ، فلما أقعدوه أخذ يسبح الله ويذكره ، ثم بكاء بكاءً شديداً وقال : اللهم ارحم الشيخ العاصي ، ذا القلب القاسي ، اللهم أقل العثرة ، واغفر الزلة .

فيا أخي الحبيب:

تـزود من التـقــوى فإنك لا تدري — إذا جن ليل هــل تعيش إلى الفجـر
فكم من فتى أمســى وأصبح لا هيا — وقد نسجت أكفـانه وهو لا يدري
وكم من صغـار يرتجى طول عـمرهم — وقد أدخلت أرواحهم في ظلمة القبر
وكم من عروس زيـنوها لزوجــها — وقد قبضت أرواحــهم ليلة القدر

عباد الله: إن الآمال تطوى ، والأموال تفنى ، والأبدان تحت التراب تبلى ، والليل والنهار يقربان كل بعيد ، ويبليان كل جديد ، وما هذه الحياة الدنيا إلاَّ دقائق وثوان ، أيها الأخ الحبيب :

تفكــر في مشــيبك والمــآب — ودفنك بعــد عــزك بالتــراب
إذا وافيت قــبرا أنت فيــه — تقــيم إلى يــوم المعــاد
وفي أوصال جســمك حين تبقى — مـقطعــة ممــزقة الاهــابي
فلولا القبر صــار عليك ســترا — لأنتنت الأباطــح والــروابي
خــلقت من التــراب فصــرت حيا — وعلمت الفـصــيح من الخطابي
فــطلق هــذه الدنــيا ثلاثا — وبادر قبــل مــوتك بالمتــابي
نصحتك فاستمع قولي ونصحي — فـمثلك قد يدل على الصـواب

زكاة الفطــر وعيد الفطــر :

أيها المسلمون: إن الله سبحانه وتعالى شرع لكم في ختام شهركم هذا ، أن تؤدوا زكاة صومكم هذا ، وهي زكاة الفطر: طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين، فرضها رسول الله ﷺ على الكبير والصغير، والذكر والأنثى ، والحر والعبد من المسلمين ، شاهد ذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: **«فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر في رمضان ،صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير . على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين »**،

متفق عليه ، وكان الشعير يوم ذاك من طعامهم ، كما قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : «**كنا نخرج يوم الفطر في عهد رسول الله ﷺ ، صاعًا من طعام ، وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر**» رواه البخاري ، وعليه فلا يجوز إخراجها مما سوى طعام الآدميين ، كالثياب أو الفرش أو الأمتعة والأواني وغيرها من المسميات ، ولا يجزئ كذلك على القول الراجح من أقوال العلماء ، إخراج قيمتها نقداً ، لأن ذلك مخالف لأمر الرسول ﷺ ، ومخالف لفعل الصحابة رضوان الله عليهم ، حيث كانوا يخرجونها صاعًا من طعام ، وعندهم الدراهم والدنانير، فدل فعلهم هذا ، إلى وجوبها جنسا من طعام الآدميين ، ولذا فإن الإنسان الذي يخرجها نقدا ، فإنه بذلك يصرفها عن الحكمة التي وضعت لها ، كونها شعيرة ظاهرة بين المسلمين ، وعند إخراجها نقداً ، يدفعها الإنسان خفية بينه وبين المسكين ، وبذلك لا تتم غاية الشارع الحكيم ، ولهذا شرعت زكاة الفطر من طعام الآدميين ، لأن فيها :

[١] إحسان للفقراء والمساكين ، وكفهم عن السؤال أيام العيد ، ليشاركوا إخوانهم فرحة العيد .

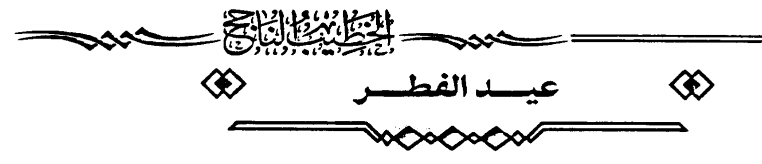
[٢] ولأن فيها تزكية وتطهيرا للصائم، مما قد يحصل له في صيامه من اللغو والرفث ، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : «**فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر ،طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمه للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ،ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات**»، رواه أبو داود وابن ماجة ، أما وقت إخراجها : فالصحيح هو قبل العيد بيوم أو يومين ،والأفضلية تكون قبل صلاة العيد على وجه التحديد ، لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي ﷺ :«**أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة**» ، رواه مسلم ، أما إن سألتم عن مقدارها : فهو صاع ، بصاع النبي ﷺ الذي يبلغ وزنه بالمقاييس الحديثة تقريبًا ، ما يعادل كيلوين ونصف ، ومن قوت أهل البلد ، والله تعالى أعلم .

صــلاة العيــد

أما صلاة العيد: وشهودها مع المسلمين ، فهي سُنَّة من سُنن المصطفى ﷺ ، وعلى القول الراجح أنها واجبة على المسلمين ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ② إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ③** ﴾ [الكوثر] ، ومن السُنَّة كذلك ، أن يخرج النساء والأطفال إلى صلاة العيد ، لحديث أم عطية رضي الله عنها أنها قالت : « **أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى ، العواتق والحيض وذوات الخدور ، فأما الحيض ، فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين** » .

وإن من محاسن ديننا الإسلامي هذا العيد السعيد ، الذي نختم به شهر رمضان ، ونفتتح به أشهر الحج إلى بيته الحرام ، وقد شرع لكم أيها المسلمون هذا العيد السعيد ، إتماما لذكره وشكرا لتوفيقه وامتنانه ، أن وفقكم لصيام شهر رمضان ، فإن ذلك خير من الدنيا وما فيها ، كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ⑤⑧** ﴾ [يونس : ٥٨] ، وقد شرع لكم أيها المسلمون التكبير في ليلة العيد من غروب شمس آخر يوم من رمضان إلى صلاة العيد ، امتثالاً لقوله تعالى ﴿ **وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وصفة التكبير أن يقول الإنسان : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، جاء ذلك عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم جميعاً ، ومن السُنَّة كذلك لمن صام رمضان ، أن يتبعه بست من شوال ، استنادا لحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال ، كان كصيام الدهر** » رواه مسلم .

وفي الختام أيها المسلمون: نسأل من الله عز وجل أن يكتب لنا ولكم الأجر والمثوبة في شهر رمضان ، وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال ، وأن يعيد علينا شهر رمضان عاماً بعد عام ، باليمن والخير والبركات .



عيد الفطر

المقدمة الأولى :

الله أكبر ما صام صائم وأفطر ، الله أكبر ما هلّل مهلل وكبر ، الله أكبر ما طلع هلال وأنور ، الله أكبر ما أورق عود وأثمر ، الله أكبر ما أرعد سحاب وأمطر ، الله أكبر ما ناله الصائمون في هذا اليوم الأغر ، الله أكبر ما ذهب ذاهب إلى بيت الله الحرام واعتمر، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ، ولله الحمد ...

أحمده سبحانه حمداً كثيراً يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، وأشكره عز وجل على توفيقه وامتنانه ، لا إله إلا الله، صدق وعده، ونصر عبده ،وأعز جنده، وهزم الأحزاب ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون . نحمده سبحانه إله الأولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين ، ومالك يوم الدين، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، بلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح لهذه الأمة ، وكشف الله به الغمَّة ، وجاهد في الله حق جهاده ، أرسله الله رحمة للعالمين ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر.

أما بعد : أيها المسلمون ، اعلموا أن يوم العيد يوم سعيد ، يسعد فيه أناس ، ويشقى فيه عبيد ، يسعد فيه أولئك الصائمون القائمون الذين حرموا لذة الطعام والشراب في نهار رمضان ، والذين سهروا الليالي الطوال بين صلاة وزكاة وبكاء وقيام ، ولذلك في هذا اليوم العظيم يأخذون أجورهم بأحسن ما كانوا يعملون ، ويكرم الله عباده الصائمين على ما كانوا يصنعون ، ويباهي بكم أيها المؤمنون ملائكة السماء وأنتم في الصلاة خاشعون، وعن اللغو معرضون وللزكاة فاعلون ، فالله أكبر ما أعظم فرحة الصائمين حين يفطرون، وحين يخاف الناس وهم آمنون، وما أعظم فرحتهم وسرورهم حينما يعلمون أنهم في هذا اليوم العظيم فائزون

ورابحون، وقد بُدِّلت سيئاتهم إلى حسنات، كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم عيد الفطر هبطت ملائكة من السماء، فيقفون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق إلا الجن والإنس: يا أمة محمد، اخرجوا إلى رب كريم، يعطي الجزيل، ويغفر الذنب العظيم. فإذا برزوا إلى مصلاهم قال الله عز وجل: يا ملائكتي، ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فيقولون: إلهنا ومولانا، أن توفيه أجره. فيقول: أُشهدكم أني قد غفرت لهم وبدلت سيئاتهم إلى حسنات، وجعلت من صيامهم وقيامهم رضائي ومغفرتي. ثم يقول: سلوني، فوعزتي وجلالي، لا تسألون اليوم عن شيء لآخرتكم إلا أعطيتكموه، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم، انصرفوا مغفوراً لكم، فقد أرضيتموني ورضيت عنكم».

ذكرى وموعظة

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أيها المسلمون، تذكروا بجمعكم هذا يوم الجمع الأكبر، حين يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حافية أقدامهم، شاخصة أبصارهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٤-٦]، يخرجون من قبورهم كأنهم جراد منتشر، يخرجون فزعين مذعورين لا يدرون بأي واد هلكوا أو سيهلكون: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾[ق: ٤٢-٤٤]، وعندها تذهل كل أم عن وليدها، وتسقط الحامل جنينها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ٢]، وحسبك أن تعلم في ذلك اليوم، أن الوليد الصغير، الذي لم يرتكب إثماً ولا ذنباً ولا وزراً

قط، يشيب من هول ما يرى ، ويقول الكافر، يا ليتني كنت تراباً . ثم بعد ذلك يساقون إلى أرض المحشر التي يحشر الناس إليها جميعاً ، ويحشرون حفاة عراة غرلاً ،كما ثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إنكم محشورون حُفاة عُراة غُرلاً** » ثم قرأ من قوله تعالى : ﴿ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ [الأنبياء:١٠٤] ، عندها قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ، الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ ، قال: «**يا عائشة ، الأمر أشد من ذلك** » ، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض ، وعندها يقول الكافر ويقول الظالم : ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨)** ﴾ [الفرقان: ٢٧ ، ٢٨] .

إذن أيها المسلمون : ماذا أعددتم لأنفسكم قبل فوات الأوان ، قبل: ﴿ **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩)** ﴾ [الزمر: ٥٦ ـ ٥٩] .

النـــار وما فيهـــا :

فالله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، اعلموا أيها الناس أنكم في يوم سعيد ، واعلموا أيضاً أن السعيد ليس من أدرك العيد ولبس الجديد ، أو ركب الخيل المسومة وخدمته العبيد ، إنما السعيد من اتقى الله فيما يبدي ويعيد ، وفاز بجنة نعيمها لا يفنى ولا يبيد ، ونجى من نار حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وطعام أهلها الزقوم وشرابهم الصديد ، ولباسهم القطران والحديد .

فيا أيها الأحبة الكرام ، ماذا أعددتم لهذه النار :

النار تزفر من غيظ ومن حنق ... على العصاة وتلقى الرب غضباناً

يصف النبي ﷺ تلك النار فيقول : «**لها سبعون ألف زمام ، وعلى كل زمام سبعون ألف ملك**» ولها سبعة أبواب كما قال تعالى : ﴿ **لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ** (٤٤) ﴾ [الحجر:٤٤]،وقال ﷺ في الحديث الصحيح : «**أُوقد على النار ألف سنة حتى احمّرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أبيضّت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أسودّت فهي سوداء مظلمة**» ولا بد أن يأتي يوم على هذه النار وهي كظيظة بالزحام ، كما قال تعالى : ﴿ **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾[هود:١١٩] ،ويا ليتها تقف عند ذلك ، ولكنها دائماً تطلب المزيد : ﴿ **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ** (٣٠) ﴾ [ق: ٣٠] ، إذا كان هذا هو حال النار وحال من فيها وهم يصطرخون فيها ، ألا يكون من الأجدر بنا أن نخشى من عواقبها وما أعد فيها ؟! ، فكم من الصالحين ذرفت عيونهم عند ذكرها وذكر شرابها وزقومها ! ولهذا كان النبي ﷺ يصرخ بأعلى صوته ويقول : «**أنذرتكم النار ، أنذرتكم النار**» ويقول أيضاً : «**اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**» .

فضائل وأخلاقيات :

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر : أيها المسلمون ، إنكم في يوم أغر ، يوم الفرح والبهجة والسرور ، يوم يفرح فيه الصائمون ، التائبون العابدون ، العائدون إلى الله ؛ لأن سيئاتهم قد بدلت إلى حسنات . ولذلك نزفّ إليهم البشرى في قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** (١٣٥) ﴾ .

[آل عمران : ١٣٥] .

أيها المسلمون: نحن في يوم تخشع فيه القلوب الرحيمة ، التي خشعت وانكسرت بين يدي الله سبحانه وتعالى ؛ لأنها قلوب حية أسلمت نفسها لله الواحد القهار ، ونال أصحابها مراتب الشرف والإكرام . نحن أيها المسلمون في

يوم يشبع فيه الجائعون، ويستغني فيه المحتاجون بما يحصلون عليه من زكاة الفطر وكرائم الأغنياء ، فلا يحتاجون لأحد من العالمين ، وعليه يستقر حالهم ، ويهدأ بالهم ، وتمتلئ بطونهم ، ويكفون أيديهم عن السؤال في أيام العيد .

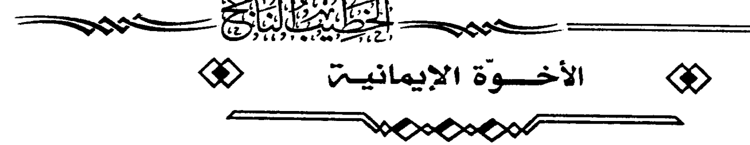
نحن أيها المسلمون في يوم يجود فيه الأغنياء على الفقراء ،وينفقون أموالهم في سبيل الله، نحن في يوم يتحد فيه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها كاللحمة الواحدة ، نشاهد ذلك عندما يؤدون صلاة العيد في كيفية وهيئة واحدة ، يقفون صفاً واحداً كأسنان المشط ، لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ، وأبيضهم وأسودهم ، كلهم لآدم وآدم من تراب ، يجسّدون في هذا اليوم أسمى معاني الوحدة بين المسلمين ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٢] ، ولذلك نرى أن هذه الوحدة بين المسلمين نبرر في أيام العيد ، وفي مواسم الحج والعمرة ، عندما يجتمعون من شتى البقاع ومختلف الأصقاع،ويؤدون صلاة العيد في وقت واحد،وكذلك عندما يجتمعون في عرفات الله ، ويؤدون مناسك الحج تحت شعار واحد ، وأداء رسالة واحدة ، ويلبسون زيًا واحداً في صعيد واحد ، لا فرق بين عربهم وعجمهم ، وحاكمهم ومحكومهم ، وغنيهم وفقيرهم، كلهم يلبس ذلك الرداء الأبيض الجميل ، ويرددون شعاراً واحداً: لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

وهناك في ذلك الموقف العظيم أعلن النبي ﷺ وحدة المسلمين ، وأنهم أمة واحدة لا فرق بين عربهم وعجمهم إلا بالتقوى كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣] ، فالنبيّ ﷺ في مواسم الحج ، وفي صلاة العيد كان يحرص دائماً أن يرسخ مبادئ الوحدة بين المسلمين ، وأن دماءهم تتكافأ بين الصغير والكبير ، والرجل والمرأة ، والأبيض والأسود والأحمر ، كلهم لآدم وآدم من تراب .

إن يفترق ماء الوصال بيننا فماؤنا عذب تحدر من غمام واحدِ
أو يختلف نسب ، يؤلف بيننا دين أقمناه مقام الوالدِ

أيها المسلمون : نحن في يوم تسود فيه الرحمة بين الناس ، وينتشر فيه الخير والحنان والعطف والإحسان ، يتراحم فيه المسلمون جميعاً ؛ اقتداءً بسيد المرسلين الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]، وقال أيضاً : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، ولذلك فإن الله عز وجل أنزل رحمة واحدة بين العباد ، يتراحمون فيها ، ويحب بعضهم بعضًا ، وأنتم أيها المسلمون في هذا اليوم العظيم محتاجون إلى هذه الرحمة الواسعة فيما بينكم ؛ لكي تملؤون بها صدور إخوانكم بالفرح والسرور : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)** ﴾ [التوبة : ١٢٨] ، ولهذا جاء في الحديث : « **إن لله مائة رحمة ، فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة إلى يوم القيامة ، وأنزل رحمة واحدة إلى الأرض ، فيها يتراحمون ويتعاطفون** » وإذا كان الله عز وجل رحم بغيّة من بغايا بني إسرائيل وأدخلها الجنة ؛ لأنها رحمت كلباً فسقته من العطش ، فما بالكم بهذا الإنسان الذي يرحم إخوانه في أيام العيد ، ويدخل الفرح والسرور إلى قلوبهم ، فهذا حري به أن يغفر الله له ويبدل سيئاته إلى حسنات .

ومن صور الرحمة في هذا اليوم ، أن يرحم الإنسان أهل بيته ، ولا يكلفهم فوق طاقتهم ، وأن يشبعهم في هذا اليوم ، ويكسوهم من أحسن الملابس والثياب ، ومع ذلك يجب أن يمنعهم في هذا اليوم عن وسائل الفساد ، وعن سبيل الغي والضلال ؛ عملاً بقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)** ﴾ [التحريم : ٦] .



الأخـــوّة الإيمانيـــة

أيها المسلمون: نحن في يوم تغرس فيه عناصر الأخوّة والمحبة بين المسلمين ، تلك الأخوة التي جمعت بين سلمان الفارسي و بلال الحبشي وأبي بكر القرشي تحت راية واحدة وشعار واحد ، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام : «**سلمان منَّا أهل البيت**» ، وهذه الأخوة هي نفسها التي جعلت أبي ذر رضي الله عنه يضع خده في التراب ، ويريد من بلال رضي الله عنه أن يطأها بأقدامه الشريفة الجميلة السوداء .

الله أكبر ، إنها الأخوة التي نريدها في هذا اليوم ؛ لأنها تقتضي المحبة والإيثار والتضحية من أجل محبتهم ، كما وصفهم الرسول ﷺ بقوله : «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله** » .

ولا شك أن هذه الأخوة يجب أن تكون أخوة إيمانية ، ولا تشوبها المصالح الدنيوية ، ولا الأهواء الدنيئة الحقيرة ، كما قال ﷺ . «**من أحب أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله** » ،ولهذا لن تصلوا إلى أعلى مراتب الإيمان إلا بهذه الأخوة الإيمانية،كما قال ﷺ : «**من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ؛ فقد استكمل الإيمان** » أي استكمل مراتب الإيمان .

وقد يصل الإنسان بهذه الأخوة إلى درجة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين،كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إن من عباد الله أناس ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى،** قالوا : يا رسول الله، أخبرنا من هم ؟، **قال : هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، وإن وجوههم يوم القيامة لنور ، وإنهم والله لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس« يستظلون في ظل عرش الرحمن يوم القيامة** » ، كما

جاء عند مسلم في صحيحه ، أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي** » .

وعليه نقول: من أراد أن يذوق حلاوة الإيمان فليذق أولاً طعم الأخوة في الله ، كما بيّن ذلك النبي ﷺ بقوله : « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار** » .

إذن أيها المسلمون: نحن في هذا اليوم محتاجون إلى الإحساس بهذه الأخوة الإيمانية ، وأن تلامس شغاف قلوبنا ومشاعرنا ؛ لأن فيها مزيداً من البذل والتضحيات من أجل الأخوة في الله . عندما تزور أخاً ، أو تعود مريضاً ، أو تساعد فقيراً ، أو مسكيناً ، أو تكسو عارياً ؛ فإن الله سبحانه وتعالى سيجازيك بما قدمت وقمت فيه من واجب الأخوة نحو إخوانك المسلمين ، نستشهد على ذلك بما رواه مسلم في صحيحه : « **أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في قرية كذا وكذا . قال : وهل لك عليه من نعمة تربها ـ أي هل قدم لك معروفاً تجازيه عليه ـ ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله تعالى . عند ذلك قال الملك : فإني رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه** » وروى الترمذي بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **من عاد مريضاً ، أو زار أخاً في الله ، ناداه مناد ، أن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلاً** » .

حقـــوق الأخـــوة :

وإليكم بعض الحقوق التي أمرتم بها نحو إخوانكم المسلمين ، منها :

[١] أن تحسن إليهم بما عندك من فضل زائد عن حاجتك ، فإذا لقيته مكروباً يلزمك أن تفرج كربته ، وإذا لقيته جائعاً يلزمك أن تسد جوعته ، وإذا

لقيته يحمل متاعاً ثقيلاً يلزمك أن تساعده وتحمل معه ، وإذا رأيت عجوزاً يريد أن يقطع شارعاً يلزمك أن تساعده على ذلك ؛ امتثالاً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ وتشبهاً بالصالحين الأولين من سلف الأمة ، فقد كانوا أنفع الناس لإخوانهم ، وأحسنهم عشرة وأدباً وخلقاً ، فهذا زين العابدين بن الحسين قيل أنه لـمّا مات وجدوا على ظهره وأكتافه أثراً وعلامة ؛ لأنه كان يحمل الجراب الأكياس على ظهره إلى بيوت الأرامل والمساكين . وهذا عبد الله بن المبارك ، الإمام المحدث ، العالم الزاهد العابد ، قيل أنه خرج في سنة إلى الحج ، وبينما هو في طريقه ، إذ رأى جارية تمد يدها إلى مزبلة في الطريق ، وتأخذ طعاماً فاسداً ، فعلم أنها في حاجة وفاقة ، فأعطاها ذلك الزاد الذي كان ذاهباً به إلى بيت الله الحرام ، وقال لأصحابه الذين كانوا معه : ألا ترون أن هذا أفضل من حجنا لهذا العام ؟

وهناك مثال آخر كما رواه الطبراني في الكبير، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات مرة أخذ صرة من المال ، ثم أرسل غلامه بها إلى معاذ بن جبل ، ولما وصلت إليه قال ذلك الغلام : إن هذا من أمير المؤمنين عمر ، أرسلني به إليك ، ويقول لك : اجعله في بعض حاجتك .عندها قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : رحم الله عمر ، ووصله كما وصلنا . ثم نادى جاريته ، وقال لها : أيتها الجارية ، اذهبي بهذا إلى بيت فلان وبيت فلان ، حتى لم يبق معه إلا ديناراً أو اثنان . ولما عاد الغلام إلى عمر وأخبره بما رأى وسمع حينها سُر عمر بذلك سروراً كبيراً ، وقال : إنهم إخوة متحابون بعضهم من بعض .

وهكذا يستطيع الإنسان أن يخدم إخوانه المسلمين حتى لو كان فقيراً أو ليس عنده مال كثير ، فإنه يستطيع أن يقدم شيئاً لإخوانه المسلمين ؛ لأنه يريد أن يحصل على الجنة التي فتحت أبوابها لمن أراد أن يسلك مسالكها ، كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسري بي ، فقال : يا محمد ، أقرئ أمتك مني السلام** » ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،

والله أكبر .

فيا عشاق الجنان « ألا هل من مشمر إلى الجنة، هي ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة في مقام أبدى أمين » .

إذن أيها المسلمون : إن عليكم حقوقاً لإخوانكم المسلمين فلا تضيعوها ، والتي منها ما ورد ذكره في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ،وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمّته ، وإذا مرض فعُده ، وإذا مات فاتبعه** » ، وقد أشار النبي ﷺ إلى أول هذه الحقوق .

[٢] «**إذا لقيته فسلم عليه** »: أي ابدأه بالسلام ولا تعرض عنه ؛ لأن السلام يجلب المودة والرحمة بين الناس ، كما قال ﷺ : «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟** ، قالوا : بلى يا رسول الله . قال : **افشوا السلام بينكم** » وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾ [النساء : ٨٦] ، وإياكم أن تستبدلوا السلام بالهجر والحرمان ، فقد حذّر النبي ﷺ من هذا الخُلق الذميم، حيث قال : «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيها ، فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام** » أي أن السلام يزيل الغلظة والجفوة بين المتخاصمين ، ويزرع بينهما المودة والرحمة .

ومن تلك الحقوق التي أشار إليها النبي ﷺ :

[٣] «**وإذا دعاك فأجبه** » : بمعنى أن تبادر إلى تلبية دعوته ، ولا تتأخر عليه بحجج واهية ومعاذير كاذبة ، وأخطر من ذلك أن تتكبر عن إجابة دعوته ؛ لشعور في نفسك أنك أعلى منه قدراً أو منزلة، والله عز وجل يقول :﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات :١٣]،ويقول في آية أخرى : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)** ﴾ [القصص : ٨٣] ، وقد يكون هذا الإنسان الفقير الذي يمتنع الناس عن إجابة

دعوته أفضل عند الله ، وأعلى منزلة من كثير من الناس ، كما قال ﷺ : «**رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره**» فإذا دعاك إلى وليمة فاجبه ، وشر طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويترك الفقراء ، أما إذا كانت الدعوة إلى شيء محرم فهي محرمة شرعاً ، وعليه نقول : فمن يدعوك إلى ترك الصلاة فلا تجبه، ومن يدعوك إلى جريمة الزنا ، أو إلى شرب الخمور فلا تجبه ، ومن يدعوك إلى دور السينما والرقص فلا تجبه ؛ لأن هذه الأمور تسلب الحياء من صاحبها ، وتعكر صفو الأخوة بين المسلمين ، وليس لها أثر بتلك الحقوق التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله :

[٤] «**وإذا استنصحك فانصح له**» : أي إذا طلب منك النصحية فلا تبخل عليه بما عندك من قول سديد مهما كنت بعيداً أو مشغولاً عنه؛ ولهذا عوتب النبي ﷺ لما جاءه الأعمى يريد الهداية ، ويريد النصيحة إلى طريق الرشاد ، فانشغل أو تشاغل عنه ، فانزل الله عليه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ؛ عتاباً وتوبيخاً له : ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ① أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ④ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ⑤ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ⑥ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ⑦ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ⑧ وَهُوَ يَخْشَىٰ ⑨ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ⑩** ﴾ [عبس: ١-١٠] ، فالدين النصيحة كما قال ﷺ قلنا : لمن يا رسول الله ؟، قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» ، وقال ﷺ في حديث آخر : «**المؤمنون نَصَحَة والمنافقون غَشَشَة** » ، ولقد كان بعض السلف يلزمون أنفسهم بأداء النصيحة إلزاماً ، كما أثر عن جرير بن عبد الله البجلي أنه قال: « **بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم** ». وأنت من واجبك أن تقدم النصيحة لإخوانك المسلمين، سواء عرفتهم أم لم تعرفهم، ويا حبذا أن تكون هذه النصيحة سراً بينك وبين أخيك؛ حتى يقبلها منك بنفس طيبة راضية، وإياك والنصيحة بين الناس والجماعة؛لأنها قد تفسر تفسيراً خاطئاً عند أصحابها، وقد يظنون بها الخزي والفضيحة .

ولقد أحسن الأول حين قال :

تعمّدني بنصحك في انفرادي   وجنّبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع   من التوبيخ لا أرضى استماعه

ومن تلك الحقوق التي أشار إليها النبي ﷺ :

[٥] **«وإذا مرض فعُده»** : وهنا بيت القصيد، وينبغي أن نستوقف الجميع ونسألهم : ماذا قدمتم لإخوانكم المرضى والمصابين ، والذين أصيبوا بعاهات مستديمة ؟ ، أيها المسلمون ، إن لكم إخواناً يصارعون المرض والألم منذ سنين ، ويذرفون الدموع من حين إلى حين ، ألا يستحق أولئك أن نزورهم ، أو نمنحهم شيئاً من العطف والحنان ، أو نخفف عنهم جزءاً يسيراً من آلامهم وأحزانهم ؟! إن أفضل شيء نقدمه لإخواننا المرضى والمصابين أن نقف معهم في حين مرضهم وعلتهم ؛ لأنهم حينذاك يشعرون بأسوأ مراحل الضعف في حياتهم ؛ ولهذا قد ينال الإنسان أجراً عظيماً على زيارتهم كما قال ﷺ : **«ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح »** حسنه الترمذي وصححه الألباني .
وإذا كان الإنسان فقيراً ، أو لا يستطيع أن يقدم شيئاً مالياً ، فما عليه إلا أن يرفع يديه إلى السماء ، ويدعو لأخيه بظهر الغيب عسى الله أن يشفيه أو يخفف عنه ذلك المرض كما قال ﷺ : **«دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مُستجابة ، وله عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل : آمين ولك بمثل»** . ويسن كذلك لمن زار أخاً له مريضاً أن يقرأ عليه الفاتحة ، أو شيئاً من القرآن ، أو يرقيه بالدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ أنه كان يضع يده على المريض ويقول : **«اللهم رب الناس ، أذهب البأس ، اشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً »** متفق عليه. وقال ﷺ : **«من عاد مريضاً لم يحضره أجله ، ثم قال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، إلا عافاه الله من ذلك المرض »** رواه الترمذي وأبو داود .

ومن تلك الحقوق التي أشار إليها النبي ﷺ :

[٦] «**وإذا مات فاتبعه**» : وهذا من أبسط الحقوق لأخيك المسلم ، ويلزمك أولاً في حياته ، وقبل أن تحضر جنازته ، أن تذكّره بالموت والبلى ، وأنه سيترك الحياة الدنيا لعله يتذكر أو يخشى كما قال ﷺ : «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**» ، وقال في حديث آخر : «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**» ومن حقه عليك أن تزوره ساعة الاحتضار وتلقّنه لا إله إلا الله ؛ عملاً بقوله ﷺ : «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**» رواه مسلم ، ويلزمك ساعة الاحتضار أن تذكر محاسنه وأعماله الطيبة ؛ عملاً بقول الرسول ﷺ : «**إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً ، فإن الملائكة يؤمّنون على ما تقولون**» رواه مسلم .

ومن حقه عليك بعد وفاته : أن تغمض عينيه ، وتغطيه بثوب ساتر يستر جميع بدنه ، وأن تسير في جنازته ؛ لكي تنال أجراً عظيماً ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : «**من تبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً ، حتى يصلى عليها ، فله قيراط ، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان**، قيل: وما القيراط يا رسول الله ؟ قال : **مثل الجبل العظيم**» وفي رواية أخرى : «**مثل جبل أُحد**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

ومن حقه عليك بعد وفاته : أن تبادر إلى قضاء دَينه إن كان فقيراً وأنت مقتدراً ، أو كان عندك مال أو سعة فبادر إلى قضاء دينه ؛ لأنه يحبس بهذا الدَّين إلى حين قضائه كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه قال : «مات رجل فغسلناه وكفّناه وحنّطناه ، ووضعناه لرسول الله ﷺ حيث توضع الجنائز ، فلمّا أتى للصلاة عليه ، قال : **هل على صاحبكم دين ؟** قالوا : نعم ، ديناران . فتخلف رسول الله ﷺ ، وقال : **صلّوا على صاحبكم** . فقال رجل من المسلمين يدعى أبا قتادة : هما عليَّ يا رسول الله . فجعل النبي ﷺ يقول له : **هما عليك وفي مالك والميت منهما بريء ؟** قال : نعم يا رسول الله . **عند ذلك صلى عليه**» أخرجه الحاكم والبيهقي وأحمد بإسناد حسن .

ومن حقه عليك بعد وفاته : أن تحسن إلى أولاده من بعده ، وأن تزوره في قبره ؛ عملاً بقول الرسول ﷺ : «**ما من مسلم يمر بقبر أخيه المؤمن ، كان يعرفه في الدنيا ، فيسلّم عليه ؛ إلا عرفه وردّ عليه السلام** » صححه صاحب الأحكام فتاوى ابن تيمية .

وكذلك من واجبك : أن تدعو له بالرحمة والمغفرة عند زيارتك له في قبره ، كما ورد ذلك في الدعاء المأثور : «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم السابقون ونحن إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية** ».

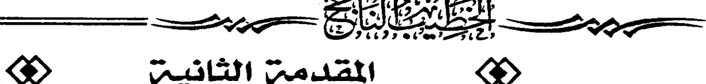
السعادة في يوم العيد :

الله أكبر، الله أكبر ، الله أكبر ، أيها المسلمون إنكم في يوم سعيد ، يوم العيد المجيد ، وإنها لفرحة عظيمة أن تعيشوا في هذا اليوم حياة السعداء ، وأن تأكلوا الحلوى مع الأغنياء والفقراء ، ولكن يجب قبل ذلك أن تعلموا أن السعادة الأبدية ليست في الشهوات والملذات ، وكذلك لن تجدوها عند أهل الفجور والمجون والمخدرات ، أقول : كلا . إنها لذة فانية يعقبها ألم وحسرات ؛ لأن كثيراً من الناس اليوم يعيشون أوهاماً للسعادة في حياتهم ، ويظنون بذلك أنهم يعيشون حياة السعداء ، وما علموا أنها حياة دنيئة وسعادة وهمية؛ لأن الله عز وجل يقول : ﴿ **فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة : ٥٥] ، ويقول في آية أخرى : ﴿ **وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ** ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ :٣٧] ،فهؤلاء يعيشون حياة البؤس والشقاء ، ولو ملكوا أقطار الدنيا، وغاصوا في أعماق البحار؛ فإنهم والله في تعاسة وشقاء . فهذا أحد المغنين المشهورين الكبار ، ومن الذين عرفوا بأغانيهم الماجنة ، هذا الرجل عاش حياته وحيداً فريداً مريضاً ، بلا

زوجة ولا أولاد ، يموت بعد خمسين سنة وهو ما يزال يقول : الحب عذاب عذب نفسه في سبيل الشيطان إلى آخر لحظة من حياته . أما خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وهو على فراش الموت يقول : « والله ، ما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية برمح، وها أنذا أموت على فراشي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء » .

فهذا السعيد يريد أن يموت في سبيل الله ، وذلك التعيس يريد أن يموت في سبيل الحب والغرام . وهذا بلال بن رباح ، فإنه لم يكن خليفة ولا وزيراً ، وإنما كان عبداً حبشياً ملأ الله قلبه بالإيمان ، فمزج حرارة العذاب بحلاوة الإيمان ، فطغت ورجحت حلاوة الإيمان على مرارة العذاب ، وأبى أن يقول كلمة الكفر ؛ لأنه يحمل الإيمان ، وكان لا يزيد عن قوله أحدٌ أحدٌ .





المقدمة الثانية

الله أكبر ما ودّع المسلمون شهر رمضان ، الله أكبر ما أفطر الصُّوام ، الله أكبر ما صلى المصلون بالليل والناس نيام ، الله أكبر ما ناح قمري فوق الأغصان ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد . . .

الحمد لله معيد الأعياد ، ومبيد الأمم والأجناد ، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له ، خلق الإنسان فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره ، كلا لما يقض ما أمره ، سبحانه سبحانه ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي طهر قلبه بالإسلام ، وزكاه من فوق سبع سموات : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴿٤﴾ ﴾ [القلم : ٤] ، فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . الله أكبر الله أكبر . .

أما بعد أيها المسلمون : إن من محاسن ديننا الإسلامي هذا العيد السعيد ، الذي توج الله به شهر الصيام ، وافتتح به أشهر الحج إلى بيت الله الحرام .

التشبه بالكفار :

وعليه يجب أن تعلموا: أن هذا العيد ، وكذلك عيد الأضحى ، سمة بارزة لهذه الأمة وعلامة تخصها في أعيادها الشرعية ؛ لأن كل أمة من الأمم لابد لها أن تميز نفسها على غيرها بعادات أو عبادات ، ونحن ـ المسلمين ـ نملك أقوى تلك المميزات ، ونملك تاريخاً وتراثاً عظيماً يفوق أمم الأرض بأجمعها ، ولقد أراد النبي ﷺ من خلال هذه الأعياد الإسلامية أن يغرس في المسلمين مفهوم الولاء والبراء ، وأن يؤكد على شخصيتهم واستقلالهم ، وأنهم كيان ذو سيادة ، يستحق أن يسود العالم بأسره من مشرقه إلى مغربه؛ ولذلك لما قدم النبي ﷺ إلى المدينة وجد أن لهما يومين يلعبون فيهما ، فقال : «**ما هذان اليومان** ؟ ، قالوا:

كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال ﷺ : «**إن الله أبدلكما خيراً منهما : يوم الأضحى ، ويوم الفطر** » ، وعليه فلا يجوز للمسلمين أن يتشبهوا بالكفار في أعيادهم ، وكذلك لا يجوز مشاركتهم أو تهنئتهم بها ؛ لأنها من صفاتهم وخصائصهم، ولكن ـ مع الأسف الشديد ـ يوجد من المسلمين اليوم من يشاركهم في أعيادهم ، ويحتفل معهم في عيد السنة الميلادية ، والذي يسمى عندهم «عيد الكرسمس» ، فيشربون فيه الخمور ، ويدقون فيه الطبول . وهذا منكر عظيم أنكره النبي ﷺ بقوله لأبي بكر رضي الله عنه : «**يا أبا بكر ، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا** » بمعنى أنه يجب علينا أن نتمايز على غيرنا بأعيادنا الشرعية الإسلامية ، كعيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الأسبوع وهو يوم الجمعة .

ولهذا فقد جاء في معنى الآية الكريمة : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ** ﴾ [الفرقان : ٧٢]، أي لا يحضرون أعياد الكفار ولا يشاركونهم في أفراحهم ؛ لأن ذلك من خصائصهم وشريعتهم،والله عز وجل يقول : ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ [المائدة : ٤٨] ، أي طريقة مختلفة، ولكنْ هؤلاء المهرولون نحو الكفار ، أصبحوا الآن أكثر تقليداً وتشبهاً بأعدائهم من اليهود والنصارى ، في مآكلهم ومشربهم وملبسهم ، وأعيادهم التي ابتدعوها لأنفسهم .

لقد توارث المسلمون جيلاً خسيساً مُنحطاً في أخلاقه وقيمة، جيلاً لا يعرف العزة والكرامة لنفسه وأمته،جيلاً تربى على تقليد غيره من الأمم الكافرة، فتشبه الرجال بالنساء،وتشبهت النساء بالرجال،فاستحقوا بذلك لعنة الرسول ﷺ كما جاء في حديث ابن عباس الذي يقول فيه :«**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال**». ولهذا نُقل عن السلف وكثير من الخلف ، شدة التحريم والإنكار لمن يفعل ذلك، فقد كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول :«**اجتنبوا أعداء الله في أعيادهم**»،وأثر عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : من بنى في بلاد الأعاجم، وصنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك ؛ حشر معهم يوم القيامة .

ونتيجة لذلك يرى جمهور العلماء، ومنهم مالك : « أنه لا يجوز للمسلـ أن يبيعوا شيئاً للكفار في أعيادهم ، لا ثوباً ولا لحماً ، ولا يعيرونهم دابة ؛ لا في ذلك تعظيماً لأعيادهم ، وعوناً لهم على كفرهم » . ويشمل هذا الحكم جميع الأعياد المبتدعة ، التي هي من خصائصهم ، ومنها : عيد الكرسمس ، وعيد الميلاد ، وعيد النيروز ، وعيد العمال ، وعيد العميان ، والأعياد الوطنية أو الدينية أو التاريخية التي ما أنزل الله بها من سلطان .

إذن ليس في الإسلام أعياد للجاهليات ، وليس فيه عيد للثورات أو الانتصارات ، فهذا مولد النبي ﷺ أعظم مولد سعدت به البشرية ، ومع ذلك الصحابة رضوان الله عليهم لم يقيموا له عيداً . وهذه الانتصارات العظيمة التي حققها المسلمون في بدر واليرموك والقادسية ، وفي معركة حطين التي قادها صلاح الدين الأيوبي واستُرد بها الأقصى الشريف ؛ لم يتخذها المسلمون عيداً ، ولم يقيموا لها احتفالاً . أما اليوم فقد شرب المسلمون الهزائم شرباً ، وتجرّعوا كأس الذل والهوان ، ولكنهم مع ذلك ما يزالون يحتفلون بهذه الأعياد الوهمية ، ويسمونها أعياد الانتصارات، وهي في الحقيقة ما هي إلا أعياد الهزائم والانتكاسات. فاتقوا الله أيها المؤمنون ، والتزموا بأعيادكم الشرعية التي كتبت لكم في دينكم ، وإياكم ومشاركة الكفار في أعيادهم وأفراحهم.

أحوال المسلمين في أيام العيد :

الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أيها المسلمون ، إنكم في يوم أغر ، يوم يفرح فيه المسلمون وهم يؤدون صلاة العيد في مشارق الأرض ومغاربها ، وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس أجمعين ، ولكن الذي يؤسفني ويؤسفكم جميعاً ، أن لكم في هذا اليوم إخواناً من المسلمين لا يشعرون بلذة العيد ، ولا يعيشون فرحة العيد ، ومنهم من لا يستطيع أن يخرج إلى مصلى العيد ؛ خوفاً على نفسه من الموت أو الهلاك ، أو شظايا القنابل وأزيز الرصاص ، يعيشون أيام العيد في

رعب شديد ، ويذوقون الموت في كل يوم مرات ومرات ولا أحد يسمع أو يجيب ، وعليه كيف نستقبل العيد ودماء المسلمين تنزف في كل مكان ! فلا ترى وتسمع إلا قتلاً وتشريداً وانتهاكاً واغتصاباً للمسلمين ! ويدفنون أحياء تحت الأنقاض وهم نائمون ؟! كيف نستقبل العيد والمصابون والجرحى يسقطون كل يوم في بلاد المسلمين ، وقد يموتون في منازلهم من جراء إصابتهم ، ولا أحد يسعفهم أو يداوي جرحاهم ! وقد لا يصلون إلى المستشفيات ؛ لأنها غير آمنة أو خالية من أفرادها العاملين ؟! ،كيف نستقبل العيد وهناك إخوان لنا يعذبون في السجون والمعتقلات؟! ، ويعاملون معاملة سيئة مهينة ، عندما يُنتقصُ من حقهم وكرامتهم وإنسانيتهم ؟! كيف نستقبل العيد وهناك أمهات ثكالى يبكين ليل نهار على أولادهن الذين فقدوا تحت الأنقاض ، أو عذبوا في سجون الاحتلال ، فماتوا من شدة الضرب والحرمان ؟!.

كيف نستقبل العيد ونساء المسلمين المغتصبات يحملن في أحشائهن أولاد الكلاب والخنازير ؟! ، لقد عاثوا بهنَّ فساداً ، وهتكوا أعراضهن ، ومسّوا شرفهن وكرامتهن بالفضيحة والعار ؛ ونتيجة لذلك فقد حاول الكثير منهن الموت أو الانتحار ؛ إنها وصمة عار على جميع المسلمين الذين صمّوا آذانهم عن سماع تلك الصرخات والاستغاثات وبكاء أخواتهم المسلمات ! إن المعتصم بالله يقود جيشاً عظيماً من بغداد لنصرة امرأة عجوز احتمت بالإسلام ، فقالت : وا إسلاماه ! وا معتصماه ! أما اليوم فالعشرات ، بل المئات من أخواتنا المسلمات يصرخن بأعلى أصواتهن : وا إسلاماه ! وا معتصماه ! ولكن لا مُجيب ، فكيف إذن نستقبل العيد وهناك سبايا وهناك ثكالى ومغتصبات ؟!.

تبيت أخيتي كريمة وتصحو ... وقد ألغى كرامتها الغريبُ
تخبّئ وجهها يا ليت شعري ... بماذا ينطق الوجه الكئيبُ ؟!
يموت الطفل في أحضان أمٍّ ... تهدهده وقد جف الحليبُ !

أيها المسلمون : كيف نستقبل العيد ونحن بهذه الآلام والأحزان ؟! ، كيف نستقبل العيد وأمتنا الجريحة تكالب عليها الأعداء من كل حدب وصوب كما قال ﷺ : «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها** ، قالوا : أوَ من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟، **قال : لا ، بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل** » .

أيها الإخوة المسلمون : إن هذا العيد ياتي ونحن في ذلة ومهانة ! ياتي ودماؤنا تنزف في كل مكان ، تنزف في أرض الإسراء والمعراج ، وتنزف في أرض الإسلام الواسعة وفي كل أرجائها المعمورة وفي كل قطر فيه إيمان وإسلام ! الجراحات كثيرة والأحزان كثيرة ، والآلام كثيرة ، وانتهاك الأعراض والمقدسات كثيرة ، وما على المسلمين إلا أن يراجعوا حساباتهم مع الله ، وأن يقفوا مع أنفسهم وقفة صادقة جادة ؛ حتى يبدل الله من أحوالهم ، ويكشف عنهم ما أصابهم من هم وغم وحزن ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المصافحة والتهنئة بالعيد :

الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أيها المسلمون ، لقد جرت عادة الناس في هذا اليوم العظيم، أن يتصافحوا ويتعانقوا ، ويهنئ بعضهم بعضاً بهذه المناسبة العظيمة، وهذه عادة طيبة حسنة تجلب المودة والرحمة بين الناس، وإنه لمنظر جميل أن ترى المسلمين في هذا اليوم وكأنهم لحمة واحدة ، فكل واحد منهم يمد يده إلى الآخر يصافحه ثم يعانقه ،وبذلك تسقط ذنوبهم كما تسقط الأوراق من الشجر ، كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «**إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم ، فأخذ بيده ، تحاتت عنهما ذنوبهما كما يتحات الورق عن الشجرة اليابسة** » رواه الطبري،وجاء في حديث آخر قوله عليه الصلاة والسلام: «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا** » رواه الترمذي في سُننه والإمام أحمد في مسنده .

والذي نأمله ونتمناه من المسلمين في هذا اليوم أن يعتذر بعضهم إلى بعض ، وأن يترفعوا عن الضغائن والأحقاد والحزازات ، وأن يتشبهوا بذلك الرجل الذي شهد له الرسول ﷺ بالجنة ثلاث مرات ، لماذا ؟ ، . . لأنه كان سليم الصدر لا يحمل في قلبه حقداً ولا غلاً لأحد ، وهكذا يجب أن تكونوا في يوم العيد ـ وفي كل يوم ـ تحملون الأخلاق الفاضلة : يعذر بعضكم بعضاً ، ويحب بعضكم بعضاً ، ويتسامح بعضكم من بعض . نريدها محبة صادقة لله وفي الله ، ولا نريدها ابتسامة فاقعة مليئة بالحقد والحسد ، نريدها لله ومن أجل الله ، كما قال ﷺ : «**من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ؛ فقد استكمل مراتب الإيمان**» وكذلك لا تبخل على إخوانك المسلمين بالشيء اليسير ،كما قال ﷺ : «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**» ، وفي رواية : «**بوجه طليق**» .

سُنن العيــد :

ومن السُّنَّة أيضاً في هذا العيد أن يأكل الإنسان قبل خروجه من بيته تمرات وتراً ، فقد كان النبي ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات وتراً . وكذلك من السُّنَّة صيام ستة أيام من شوال كما قال ﷺ : «**من صام رمضان ، وأتبعه ستاً من شوال ؛ كان كصيام الدهر**» .

ومن هديه ﷺ كان إذا خرج إلى مصلى العيد يخرج من طريق ويعود من طريق آخر،وكان يبدأ أولاً بالصلاة بلا أذان ولا إقامة ، ثم يخطب فيهم،يذكرهم بالله ويعظهم ،ثم يذهب بعد ذلك إلى النساء ، فيعظهن ويذكرهن بآيات الله وبما فرض عليهن من آيات وأحكام ، ولله الفضل والإنعام ، والتوفيق والإلهام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .



ماذا بعد رمضان ؟!

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين ، وقيوم السموات والأرضين ، ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . .

أما بعد :

أيها المسلمون: إننا في هذه الأيام ، نعيش أيام فرح وسرور، نعيش بعد رحيل شهر عظيم ، ذلك الشهر الذي تاب فيه التائبون وأناب فيه المنيبون ، والذي نزلت فيه الرحمات،وتبدلت فيه السيئات،كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ** ﴾ [هود : ١١٤]،تلك الأيام الخالية التي عشناها في شهر رمضان ، ذهبت وذهب معها حلاوة الصيام والقيام ، فذهبت تلك العيون الساهرة التي بكت من خشية الله، فانهالت سيلاً جارفًا على تلك الذنوب والآثام ذهب رمضان وذهبت معه تلك الآهات، التي خرجت حرّى من صدور البائسين والمذنبين،ذهب رمضان وذهبت معه تلك القلوب الرحيمة ، التي مدت يدها للفقراء والمساكين،ذهب رمضان وذهبت معه تلك الوجوه النيرة، التي نحسبها كذلك والله حسيبها بالإيمان عامرة ، ذهب رمضان وذهبت معه تلك الأصوات الرخيمة ، التي كان لها دوي كدوي النحل في خليتها الجميلة ، فأين تلك العيون الساهرة التي بكت من خشية الله ، عندما كانت تسمع آيات الله تتلى ﴿ **وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا** (١٠٩) ﴾ [الإسراء: ١٠٩]، وأين تلك الأيادي البيضاء التي مدت يدها بالكرم والسخاء ، ولذلك وصفوا في قوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** (٦٠) **أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** (٦١) ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١]، فأين تلك المناجاة

والعبرات التي سكبت في الثلث الأخير من الليل ، حيث ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، فينادي ويقول : هل من داع فأستجيب له ؟ هل من سائل فأعطينه؟ هل من مستغفر فأغفر له ، فلا إله إلا الله لا شريك له :

الشمس والبدر من أنوار حكمته والبر والبحر فيض من عطاياه
الطير سبّحه والوحش مجّده والموج كبّره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم قدّسه والنحل يهتف حمداً في خلاياه
والناس يعصونه جهراً فيسترهم والعبد ينسى وربي ليس ينساه

فيا من أثقلته الهموم والأحزان ، ويا من ضاقت عليه المسالك والدروب ، فما عليك إلاّ أن ترفع يديك إلى السماء،وتدعوا بدعاء المكروب « لا إله إلاّ الله العظيم الحليم، لا إله إلاّ الله رب العرش العظيم،لا إله إلاّ الله رب السموات والأرض،لا إله إلاّ الله رب العرش العظيم » ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النمل:٦٢]، الرسول ﷺ عندما كذبه أهل الطائف ، اشتد عليه الكرب وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، فقدم شكواه إلى الله وقال :« **اللهم إني أشكوا إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس ، أنت ربي ورب المستضعفين ، إلى من تكلني ، إلى قريب يتجهمني، أم إلى بعيد ملكته أمري ، ربي إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، ولا وحول ولا قوة إلاّ بك** » .

إذاً « الله » اسم عظيم قريب سميع مجيب الدعوات،ناداه يعقوب عليه السلام حزنًا على ولده يوسف عليه السلام فقال : ﴿ **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** (٨٦) ﴾ [يوسف : ٨٦] ، وناداه أيوب عليه السلام في مرضه الذي طال عليه ، فقال :﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** (٨٣) ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ، وناداه زكريا نداءً خفيًا ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** (٤) ﴾ [مريم :٤] ، وناداه يونس بن متَّى عليه السلام وهو في الظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ﴿ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ**

مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

فيا أيها الأخ الحبيب، لقد ذهب رمضان وذهبت معه ذنوب المذنبين وآثام الخائفين ، وها نحن اليوم نعيش في أيام العيد ، ونرجع إلى تلك الأعمال التي تعودنا عليها قبل شهر رمضان ، نرجع إلى تلك الهموم والأحزان ، في عالم الماديات والمحسوسات التي طغت على الإنسان، نرجع في هذه الأيام بعد شهر رمضان ، إلى معاشرة الأهل والخلان والأصحاب والولدان ، وننسى ذلك الخشوع وتلك العبرات ، التي سكبت في شهر الصيام ، ها نحن اليوم في هذه الأيام ، نرجع إلى إشباع الرغبات والشهوات ، ونحرص على ذلك ، بينما رسولنا عليه الصلاة والسلام يقول : « **ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب** » ويرى ﷺ أحد أصحابه يرم داره ، فيقول له : « إن الأمر أقرب من **ذلك ، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم تركها وارتحل** » ، ويقول في حديث آخر : « **إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة في بني إسرائيل كانت في النساء** » ،ولهذا فإن الزهد في الدنيا مطلوب شرعًا، وبالأخص في هذه الأيام التي ينغمس فيها كثير من الناس اليوم ، في الشهوات والملذات ، ولهذا كان النبي ﷺ : « **يقول والله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم ، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم** » ويا لله ! كم أحبها من أناس ، وكم زينوها من أناس ، وكم هلك فيها من أناس ، أحبوها أكثر من حبهم لآخرتهم ، ثم ذهبوا وتركوها ، لكن آخرين منهم علموا ، أنها دار فناء وليست دار بقاء ، ولذلك تزودوا منها بزاد التقوى ، كما قال الأول :

إن لله عبادًا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا إليها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سُفنا

لمثل هذا فليعمل العاملون ، أما أولئك الميتون والمتيمون بدنياهم ، فبئس ما صنعوا ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

أحوال المسلمين في أيام العيد :

أيها المسلمون: إنكم في هذه الأيام بالعيد تفرحون وتسعدون ، ولكن هناك إخوان لكم في الدين والعقيدة،يبكون الآن ويحزنون،ولا ينامون إلاَّ وهم خائفون فزعون، ومن شدة الجوع يتضورون، هناك إخوان لكم في بلاد المسلمين ، فى شتى البقاع ومختلف الأصقاع ، جرحى ومصابون ، وهناك قتلى ومشردون ، وهناك ثكالى يبكون .

ولهذا أيها المؤمنون : يجب أن نسأل حكام المسلمين عن حال هؤلاء المستضعفين، ألم يسمعوا صرخاتهم في فلسطين؟، ألم يسمعوا نداءاتهم في أرض الرافدين؟ ، ألم يسمعوا تلك الأمهات الثكالى، اللاتي يبكين دما ودموعًا؟ ألم يسمعوا تلك الاستغاثات من النساء المسلمات المغتصبات؟ ، أقول نعم أيها الناس: إن هؤلاء الحكام الذين يشاهدون هذه الآلام لأمتهم وإخوانهم ثم يتخاذلون عن واجبهم ، فلا شك ولا ريب ، أنهم بذلك قد ظلموا أنفسهم، وظلموا الأمة بأسرها، وكانوا سببًا في ذل المسلمين وإذلالهم وتركيعهم ، وقد أثبتوا دائما أنهم يقفون صفا واحدا مع أعدائهم وفي خندقهم ، والله عز وجل قد حذرهم من ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة :٥١] ، إنهم بهذه العمالات ، وهذه الخيانات ، فقد أذلونا وأذلوا الأمة بأسرها ، ولكن مع ذلك نحن على ثقة كاملة ، بأن الله سبحانه وتعالى سيبعث من هذه الأمة ، من يجدد لها دينها ويعيد سالف عصرها ومجدها ، فإن الله سبحانه وتعالى قاهر فوق عباده ، ومحقق وعد رسوله ﷺ «**نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعل رزقي تحت ظل رمحي**» ولهذا وعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يمكن لهم في الأرض ،

كما قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ ﴾ [القصص:٥]، والذي نؤمله ونتمناه من المسلمين اليوم ، في مشارق الأرض ومغاربها ، ألاَّ يتسرب اليأس والإحباط إلى نفوسهم ، مهما تنازل المتنازلون ، ومهما تخاذل المتخاذلون ، مهما تآمر المتآمرون على الإسلام ، فإن الإسلام قادم لا محالة ، والنصر الموعود آت بإذن الله ، استنادا إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ ﴾ .

[الحج : ٤٠ – ٤١] .

ولكن أيها الأخوة: يجب أن تعلموا أن هذا النصر، لن يتأتى للمسلمين إلاَّ بعد جهد وتضحيات ، وبذل الغالي والنفيس ، لأن بذل الرخيص لا يأتي إلاَّ بنصر رخيص ، ومن يتأمل أحوال المسلمين اليوم ، يجد أن كثيرا منهم قد بلغوا مرحلة اليأس والإحباط ، وبدؤا يشكُّون في نصر الله الموعود ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝ ﴾ [غافر : ٥١] .

ولذلك يتساءل بعض الناس ويقول: كيف ينتصر المسلمون اليوم ، والقوة والمال والسلاح بأيدي غيرهم من الكافرين والمنافقين الذين مردوا على النفاق؟ ، كيف ينتصر الإسلام ، وأبناء الإسلام اليوم ، يتعرضون للقتل والتشريد والذبح والتعذيب؟ ، والحقيقة أن هذا: ما يزيدهم إلاَّ إيمانا وتسليمًا ، قال تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، إن هذا التساؤل المشئوم في نفوس كثير من المسلمين اليوم ، لا نستطيع أن نؤمن به ، أو نوافق عليه بأي حال من الأحوال ، لأن هذا منطق المنهزمين ، الذين غاب عن وعيهم روح الإيمان والجهاد والتضحية في سبيل الله .

وعليه يجب أن نخاطب هذه الفئة المتشائمة والمنهزمة ، ونقول لها : إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن المستقبل لهذا الدين الذي ينتشر بقوة وثبات ، ويبعث رسالته العالمية إلى الناس أجمعين ، كما قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

إذاً، ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلاَّ أدخل هذا الدين ، بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزًا يعز الله به الإسلام وأهله ، وذلا يذل الله به الكفر وأهله وأما هذه الذلة والمهانة التي يعيشها المسلمون اليوم ، هي ليست في الإسلام ،وإنما هي في المسلمين أنفسهم ، هم الذين ضعفوا واستكانوا لأعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر،ويحيكون ضدهم المؤامرات تلو المؤامرات، وعليه نأمل أن يقف المسلمون صفا واحدا، للدفاع عن دينهم وعقيدتهم ، وعن إخوانهم الذين يستغيثون بهم في مشارق الأرض ومغاربها ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الاعتبار أيام العيد :

أيها المسلمون: إنكم في هذه الأيام ، مازلتم تعيشون الفرح والسرورأيام العيد، وهذه من نعم الله عليكم أن بلغكم هذه الأيام، ولكن بعض الناس قد يخطئون طريق السعادة في هذه الأيام،ويستغلونها في الشهوات والملذات، ويرتكبون فيها المحرمات، بحجة أنهم يعيشون أيام فرح وسرور،وكأن هذه المحرمات أبيحت لهم في هذه الأيام، فيعود أولئك المجرمون إلى إجرامهم، ويعود أولئك الفاسدون إلى فسادهم،وأولئك الفاسقون إلى فسقهم، يعود شارب الخمر إلى خمره،وآكل الربا إلى أكله،وصاحب اللهو والغناء إلى فحشه وبذاءته،وكم ضيع الناس في هذه الأيام ، من بيع وصلوات ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧)** ﴾[النور:٣٦- ٣٧] ، هؤلاء الرجال ، يخافون يومًا يشيب من هوله المولود ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥)**

وصاحبته وبنيه (٣٦) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (٣٧) ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧] ، في ذلك اليوم ﴿ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (٢) ﴾ [الحج: ٢] ، ولهذا وصف الله عز وجل ذلك اليوم بأنه عظيم ، كما قال تعالى: ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون (٤) ليوم عظيم (٥) يوم يقوم الناس لرب العالمين (٦) ﴾ . [المطففين: ٤ - ٦] .

وحسبك أن تعلم أيها الأخ الحبيب: أن ذلك الوليد الذي خرج من بطن أمه رأسه يشيب ، عندما يسأل في يوم عصيب، كما قال تعالى ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون (٩٣) ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣] ، وفي آية أخرى ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين (٦) ﴾ [الأعراف: ٦] ، وجاء في سنن الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال : « **لا تزولا ، قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه** » عند ذلك ينقسم الناس إلى فريقين : فريق السعداء، وفريق الأشقياء ﴿ فمنهم شقي وسعيد ﴾ [هود: ١٠٥] ، أما أولئك السعداء ، فإنهم لا يفزعون إذا فزع الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون (١٠٣) ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] ، أما أولئك الأشقياء، فأولهم المتكبرون يحشرون في صورة ذليلة مهينة ، كما قال ﷺ : « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر ، يطأهم الناس بأقدامهم** » ، والذين يحتجبون عن الناس في الدنيا يحتجب الله عنهم يوم القيامة، كما جاء في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال : « **من ولي من أمر المسلمين شيئاً فاحتجب عن خلتهم وحاجتهم وفقرهم ، احتجب الله عنه يوم القيامة دون حاجته وخلته وفقره** » وبناءً على ذلك ينبغي على جميع المسلمين أن يقيموا بينهم وبين إخوانهم ، جسراً راسخاً من المودة والمحبة والإخاء ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

أيام العشر من ذي الحجة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد :

أيها المسلمون: إننا في هذه الأيام ، نعيش شهر ذو الحجة الكريم ، هذا الشهر العظيم الذي اختصه الله بكثير من العبادات ، أولها العشر المباركات ، التي أقسم الله بهن في محكم الأيات ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿ **وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)** ﴾ [الفجر: ١- ٢] فالله سبحانه وتعالى عظيم ، ولا يقسم إلاَّ بعظيم ، ومعنى ذلك أنه أقسم بهذه العشر تشريفًا لها وتعظيمًا ، ولهذا فإن الله سبحان وتعالى إذا أراد أن يعظم شيئًا من مخلوقاته ، فإنه يقسم به ، كما قال تعالى : ﴿ **وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)** ﴾ [العصر: ١-٢]، وأقسم بالسموات، فقال تعالى : ﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢)** ﴾ [البروج: ١-٢] ، وكذلك الشمس والقمر والنجوم ، فقال تعالى : ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢)** ﴾ [النجم : ١-٢] ، وقال تعالى : ﴿ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)** ﴾ [الشمس: ١–٨] .

إذاً : الله سبحانه وتعالى أقسم بهذه العشرالأول من شهر ذي الحجة ، تكريمًا وتشريفا وإبانة لفضلها ، وفضل الأعمال فيها ، كما بيَّن ذلك النبي ﷺ بقوله : « **ما من أيام العمل الصالح فيها ، أحب إلى الله من هذه العشر** ، قالوا يا رسول

الله : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ ، قال : **ولا الجهاد في سبيل الله ، إلاّ رجل خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشيء** » ، رواه البخاري في صحيحه ، ورواه الطبراني بلفظه : « **ما من أيام أعظم عند الله ،ولا أحب إلى الله العمل فيهن ، من أيام العشر ، فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير** » ، وروى البيهقي في سُننه أن الرسول ﷺ قال : « **ما من عمل أزكى عند الله ولا أعظم أجراً ، من عشر الأضحى** » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : إن العمل بكل يوم فيها بألف يوم ، ولذلك كان سعيد بن جبير يجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها ، وكان الأوزاعي رحمه الله يقول في أمرها : بلغني أن العمل الصالح في اليوم الواحد من أيام العشر، كالغزوة في سبيل الله .

فضائل العشر :

وقد ثبت أن هذه العشر المباركات ، تحتوي على فضائل كثيرة وميزات عظيمة ، أولها :

[١] **أن الله سبحانه وتعالى أقسم بها** ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ ﴾ [الفجر:١- ٢] .

[٢] **إن الله سبحانه وتعالى سماها بالأيام المعلومات** ، استنادا إلى قوله تعالى : ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ [الحج : ٢٨] ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الأيام المعدودات، هي أيام التشريق ، والأيام المعلومات ، هي أيام العشر من ذي الحجة وأما قوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ [البقرة:١٩٧]، فالمقصود به « شهر شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة » كما فسر ذلك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وقال بعض السلف أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾ [الأعراف : ١٤٢] ، أنها عشر ذي الحجة ، **وكذلك من فضائل العشر من ذي الحجة :**

[٣] **أنها اقترنت بشهر ذي الحجة** ، وأصبحت تمثل جزءاً من قدسيته

ومكانته ، فنالت شيئًا من تعظيمه وتشريفه ، لأنه من الأشهر الحرم التي شرفها الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ** ﴾ [التوبة : ٣٦] ، فيزداد هذا الشهر حرمة إلى حرمته ،لأن المسلمين يمارسون فيه أعمالا تعبدية أكثر من غيره ، فالحج مثلاً : أعظم شعيرة ظاهرة عند المسلمين ، تكون في هذا الشهر المبارك ، وعيد الأضحى الذي تراق فيه الدماء ، لا يكون إلاَّ في شهر ذي الحجة المبارك ، وبذلك نختم به عامًا مضى ، ونستقبل به عامًا جديدًا ، ولهذا السبب فقد نالت هذه العشر المباركات ، في هذا الشهر المبارك ، مزيدًا من التشريف والتعظيم ، لأنها اقترنت بشهر عظيم . **ومن فضائلها:**

[٤] **أن فيها تحصل معظم مناسك الحج:** ففي الأيام الأولى منها ، يتوافد الحجاج إلى بيت الله الحرام من كل فج عميق ، يأتون من كل مكان ، ومن كل العواصم العربية والإسلامية ، ومن باريس وموسكو ، يصلون إلى مكة في أول أيام العشر المباركات ، حتى يملؤنها ويملؤن فجاجها ، ازدحامًا وهتافًا ودعاءً وبكاءً ، يريدون تجارة لن تبور وعملا صالحا مقبول .

[٥] وفي اليوم الثامن من هذه العشر، الذي يسمى يوم التروية ، تبدأ فيه مناسك الحج ، فيتجه الحجاج منذ الصباح الباكر إلى منى ، رافعين أصواتهم بالتلبية والتكبير لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك وفي هذا اليوم العظيم من أيام العشر، وصل النبي ﷺ إلى منى،ومعه خلق كثير من الناس، فصلى بهم الظهر والعصر، والمغرب والعشاء،كما ورد ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**صلى بنا رسول الله ﷺ بمنى الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء والفجر ، ثم غدا إلى عرفات** » وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ كان في منى يوم التروية ، وإلى جانبه بلال بن رباح رضي الله عنه يظلله بثوب على رأسه من شدة الحر ، ولذلك كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، لا يلبي حتى تنبعث راحلته متوجهة إلى منى ، كما فعل ذلك النبي ﷺ

في حجته يوم التروية . **ومن فضائل هذه العشر:**

[٦] **أن فيها يوم عرفه:** ذلك اليوم العظيم الذي يقول فيه النبي ﷺ : **«ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفه ، ينزل ربنا سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا ، ويقول : انظروا إلى عبادي ، جاؤوني شعثًا غبراً ضاحين ، أشهدكم أني قد غفرت لهم »** ، وروى الترمذي في سُننه ، أن النبي ﷺ قال: **«خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون قبلي : لا إله إلاَّ الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير»** ولذلك يرى المسلمون أن يوم عرفه، يوم كريم، ويحتاج لمزيد من التشريف والتعظيم ، ولهذا ألقيت فيه خطبة عصماء، تسمى بخطبة الوداع التي أولاها المسلمون كثيرا من الدراسة والاهتمام، وقد شرع صيام ذلك اليوم ، لأنه من الأيام المباركات ، ولأنه يكفر سنتين ، كما روى ذلك مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ : سُئل عن صوم يوم عرفة، فقال: **«يكفر السنة الماضية والباقية »** . **وكذلك من فضائل العشر:**

[٧] **أن فيها يوم النحر:** وهو العاشر من شهر ذي الحجة ، ويسمى يوم الحج الأكبر ، استنادا إلى قوله تعالى : ﴿ **وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ** ﴾ [التوبة : ٣]، فخير الأيام عند الله تعالى ، يوم النحر ، لأن فيه تراق الدماء ، وتحصل معظم مناسك الحج ، فتذبح القرابين وترمى الجمار ، وتُحلق رؤوس الحجاج والمعتمرين ، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام ، كما جاء في السُنن « **أفضل الأيام عند الله يوم النحر** » .

الأعمال المستحبة في أيام العشر:

إذا أيها الأخوة الكرام: إن أيام العشر من أفضل الأيام على الإطلاق ، ولهذا يستحب فيها أن تكثروا من البر والإطعام والصدقة والصيام ، والصلاة بالليل والناس نيام ، والسبب في ذلك أن هذه الأيام ، اجتمعت فيها أمهات العبادات ، كالصلاة والصوم والحج وغيرها من سائر العبادات ، لذلك يقول عليه الصلاة

والسلام : « **فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير** » ، وقد كان سعيد بن جبير إذا دخلت أيام العشر ، يجتهد فيها اجتهاداً شديداً ، حتى لا يقدر عليه أحد .

ومن أفضل الأعمال التي دُعي المسلمون إليها في هذه الأيام :

[١] **الحج والعمرة،** لأن الرسول ﷺ ندب إليه المسلمون في هذه الأيام، وفي حجة الوداع وصل النبي ﷺ إلى مكة في هذه الأيام ، وعند وصوله، ولما شاهد البيت الحرام،رفع يديه إلى السماء وقال :« **اللهم أنت السلام، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومهابة وبراً ، وزد من حجه أو اعتمره تكريمًا وتشريفًا وتعظيمًا وبراً** » فكان أول شئ يبدأ به الطواف، وقيل أنه كان يبدأ باستلام الحجر الأسود قبل الطواف ، والله تعالى أعلم ، المهم أن الرسول الله ﷺ في هذه الأيام العشر ، التزم مكة وما حولها من المشاعر المقدسة ، فأقام فيها وأناخ راحلته في بطحاء مكة ، والناس حوله من كل فج عميق ، يعلّمهم ويدرسهم ويحثهم على الحج والعمرة ، في هذه الأيام المباركة ، ويقول ﷺ لهم : «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلاَّ الجنة** » ، وقد سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ ، قال : « **إيمان بالله ورسوله** ، قيل ثم ماذا؟، قال : **الجهاد في سبيل الله** ، قيل ثم ماذا؟ ، قال : **حج مبرور**» .

وكذلك مما يستحب في هذه العشر:

[١] الإكثار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، امتثالاً لقول الرسول ﷺ : « **فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، بأن تقول : سبحان الله والحمد لله ،ولا إله إلاَّ الله والله أكبر ،أو تسبحه في الغدو والآصال**» كما قال تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ .
[ق : ٣٩] .

فيا سبحان من ملأ القلوب بهيبته ، وعمَّر الأكوان بحكمته ، وشفى المرضى

بقدرته ، سبحان من أجرى المياه وسير الهواء وبث الضياء : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل : ١٥ - ١٧]، ومن فضله وكرمه في هذه الأيام ، أنكم تسبحون وتحمدون ، فالصالحون في هذه العشر ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الذاريات : ١٧ - ١٩]، فلله درّ أقوام استغلوا هذه الأيام بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، فأسعد الناس في هذه الأيام ، من شغل نفسه وقلبه ولسانه بذكر الله ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨]، يقول عليه الصلاة والسلام : « **كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم وقال أيضا أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلاَّ الله ، والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت** » ، وقد كان خيرًا لهذه الأمة أن تعمل بوصية إبراهيم عليه السلام ، الذي أحب لها أن تكون أمة ذاكرة ، فقال عليه السلام : « **يا محمد : أقرئ أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر** » ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يستغلون هذه العشر بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، فقد كان أبو هريرة وابن عمر رضي الله عنهما، يخرجان إلى السوق في أيام العشر ، فيكبران ، ويكبر الناس بتكبيرهما ، ويشرع للمسلمين في هذه العشر المباركات ، أن يخصوها بمزيد من النوافل والعبادات ، والتي من أفضلها على سبيل التذكير:

[٢] **نافلة الصيام:** كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : « **ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها ، من عشر ذي الحجة ، يعدل صيام كل يوم منها ، صيام سنة ، وقيام كل ليلة منها ، قيام ليلة القدر** » بل الصيام من أحب الأعمال إلى الله في سائر العام ، فما بالكم في هذه الأيام المباركة ، لأنه سر بين العبد وربه ، ولأن

ثوابه لا يعلمه إلاَّ الله،كما جاء في الحديث الصحيح أن الله عز وجل يقول: « **كل عمل ابن آدم له إلاَّ الصوم فإنه لي وأنا أجزي به** » ، ويقول في حديث آخر: « **يدع شهوته وطعامه من أجلي** »،ولهذا كتب الصيام على هذه الأمة في شهر رمضان ، وندب إليه المسلمون في كثير من الأحيان ، وبالأخص في هذه الأيام التي نالت على غيرها مزيداً من التشريف والتعظيم ، ومزيداً من الاهتمام.

تنويع العبادات في أيام العشر :

وعليه فإن الأعمال الصالحة في هذه الأيام ، يضاعفها الله إلى حسنات أمثال الجبال ، لأن الله عز وجل شرع لكم فيها أحب الأعمال إلى الله وأزكاها ، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رويناه سابقًا ، قوله عليه الصلاة والسلام : « **ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه العشر** ، قالوا يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله ؟ ، **قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلاَّ رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء** » ، فهذا الحديث الصريح ، يؤكد أن الأعمال الصالحة في هذه الأيام المباركة ، من أحب الأعمال إلى الله ، وأنها تفوق الجهاد في سبيل الله ، بل جاء حديث آخر رواه البزار، أنها أفضل أيام الدنيا على الإطلاق ، كما في قوله ﷺ : « **أفضل أيام الدنيا ، أيام العشر**، قالوا يا رسول الله : ولا مثلهن في سبيل الله ؟ ، **قال: ولا مثلهن في سبيل الله ، إلاَّ من عفَّر وجهه بالتراب** » .

إذاً، الأعمال فيها تبعا لمرضاة الله ومشيئته ومحبته ، وتأخذ أشكالاً مختلفة من عبادة إلى عباده ، ومن طاعة إلى طاعة ، فمرة يندب لها الصيام والصلاة ، ومرة أخرى يندب لها الزكاة والحج والعمرة، وغيرها من سائر العبادات، لأن بعض الناس قد يحتكر الأعمال في هذه العشر المباركات على الصلاة والصيام فقط ، دون غيرها ، وينسى أن فيها رصيد مفتوح ، لكل عمل صالح مقبول، فيمكن أن يستغلها الإنسان بأداء الزكوات والإنفاق في سبيل الله، وهذا خير عظيم ، لأن

الرسول ﷺ يقول: « **اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة** » ، وفي الصحيحين: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الصدقات أعظم أجرًا، فقال: «**أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم ، قلت لفلان كذا وكذا ، ولفلان كذا وكذا ، وقد كان لفلان** » وحتى هذه الأشجار التي يغرسها الإنسان ، ويأكل منها الطير والحيوان ، فإنها من الأعمال الصالحة في هذه الأيام وفي غيرها ، لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال ما من مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعًا ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة ، إلاَّ كان له به صدقة

وكذلك من الأعمال الصالحة في هذه الأيام: فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، لأن الرسول ﷺ ميز ذلك الاستشهاد على كثير من العبادات في هذه الأيام ، حيث قال عليه الصلاة السلام : «**إلاَّ رجل خرج بنفسه وماله ، فلم يرجع من ذلك بشيء**» أي أن الإنسان الذي يخرج إلى أرض المعركة فيقتل هناك ثم لا يعود سالمًا إلى أهله وماله ، فإن ذلك خير من الأعمال الصالحة التي يمارسها المسلمون في هذه الأيام المباركة ، لأن الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام ، ومن أفضل الأعمال ، ولهذا تظهر المفاضلة والمفاصلة بين هذه الأعمال في قوله تعالى : ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ** ﴾ [التوبة : ١٩]، أي لا يمكن أن يستوي أولئك الذين قتلوا في سبيل الله،وذهبت أرواحهم رخيصة من أجل لا إله إلاَّ الله ، وبين أولئك الحيارى الذين يتخبطون في الشهوات والملذات ، أو يمارسون أعمالاً رمزية في الإسلام، لا تقدمهم خطوة واحدة إلى الأمام، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام « **ولولا أن أشق على أمتي ، ما قعدت خلف سرية في سبيل الله ، ولو ددت أنّي : أقتل في سبيل الله ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل** » ، وكذلك فقد سنّ رسول الله ﷺ في هذه الأيام ، لمن أراد أن يضحي أضحية الإسلام ، ألاَّ يأخذ شيئا من شعره وأظافره ، كما جاء في حديث أم سلمة رضي الله عنها

أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا دخلت العشر ،وأراد أحدكم أن يضحي، فليمسك عن شعره وأظافره حتى يضحي**» ، وفي رواية أخرى: «**إذا رأيتم هلال ذي الحجة ، وأراد أحدكم أن يضحي ، فلا يأخذ شيئًا من شعره وأظافره**» .

دعوة للإنفاق في أيام العشر :

وختامًا :

أيها الأخوة: يجب ألاَّ تنسوا إخوانكم الفقراء والمساكين في هذه الأيام المباركة ، فإن العيد ينتظرهم على الأبواب ، فيحتاجون إلى الكسوة والأضحية ، وهناك بعض الهيئات الرسمية والخيرية ، وبعض الشباب المفرغين لهذه الأعمال ، فيمكن التعاون معهم بقدر المستطاع ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.



الحـــــج [١]

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . .

أما بعد :

أيها المسلمون: إن الله سبحانه وتعالى ، عندما شرع لعباده جميع المفروضات والمكتوبات ، كالصلاة والصوم والحج وغيرها من سائر العبادات ، ليس معنى ذلك أنه محتاج إليهم أو لعبادتهم ، فهذا غير صحيح ، لأن الله سبحانه وتعالى غني عن العالمين ، ولا تضره معصية العاصين ، أو طاعة الطائعين ، ولكنه فرضها عليهم ليختبرهم بها ، ويعلي شأنهم في العالمين ، ولكي يصل بهم إلى مقام العبودية ، التي هي أشرف المنازل العليّة ، كما قال تعالى : ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)** ﴾ [مريم : ٩٣ – ٩٥] .

أيها الإخوة الكرام:

إن الحج إلى بيت الله الحرام ، يعتبر من أصعب العبادات أداءً ، وأعظمه أجرا ومثوبة ، لما يحويه من مشاق وصعاب وأتعاب مالية وبدنية ، ولذلك جاء لفظ الحج ومشتقاته في القرآن الكريم : إثنتى عشرة مرة ، وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى مواقيت الحج الزمانية والمكانية ، فقال تعالى : ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ** ﴾ [البقرة: ١٩٧] ، وهي : شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذي الحجة ، كما بيَّن ذلك أهل العلم ، وهذا ماورد ضمنًا في قوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ﴾ [البقرة: ١٨٩] .



حـــكم الحـــج :

أما حكمه ومكانته بين شرائع الإسلام:

فهو الركن الخامس من أركان الإسلام ، ولا يسقط بأي حال من الأحوال ، استجابة لأمر الله القائل : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** (٩٧) ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، قال بعض أهل العلم: إن تارك الحج وهو قادر عليه ، كافر بنص الآية الكريمة ﴿ **وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ ، وهذا الحكم يشمل أولئك القادرين عليه ، أما أولئك العاجزين عن أدائه ، فلا تثريب عليهم،حتى يجدوا الزاد والراحلة، لأن الله يقول:﴿ **مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ ، ولذلك روى سعيد بن منصور في سُننه بسند صحيح ، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: « لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار ، فلينظروا إلى كل من كان عنده سعة ولم يحج ، فليضربوا عليهم الجزية ، ما هم عندي بمسلمين ، ما هم عندي بمسلمين »، وفي خطبته عليه الصلاة والسلام التي رواها مسلم في صحيحه أنه قال : « **أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا** فقام زجل وقال: أكل عام يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: **لو قلت نعم، لوجبت، ولما استطعتم، ذروني ما تركتم عليه**» ، وفي حديث جبريل: لما سَئله رسول الله ﷺ عن الإسلام ، عدَّ له خمسة أركان، ومنها الحج ،كما في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان ، وتحج البيت الحرام** » ولهذا فقد كان الحج بالنسبة للنساء، أفضل من الجهاد فى سبيل الله ، فقد سأل بعض نساء الرسول ﷺعن الجهاد؟،فقال لهن: «**أفضل الجهاد، الحج والعمرة** » رواه الشيخان ، وفي رواية عند أحمد وأبي داود بسند صحيح ، أن النبي ﷺ قال : « **عليهن جهاد ، لا قتال فيه ، الحج والعمرة** » .

الحـــج والتوحـــــيد :

إذاً فالحج: هو أحد الشعائر التعبدية التي شرعت لتحقيق العبودية لله وحده لا شريك له ، والبراءة من الشرك وأهله ، ولذلك جاء في القرآن الكريم سورة كاملة موسومة بالحج ، كلها وفي غالبها ، تتحدث عن التوحيد وتنهى عن الشرك، فبين الله سبحانه وتعالى في هذه السورة العظيمة ، أن الكون كله يسجد لله ، ويسبح بحمده قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ** ﴾ [الحج : ١٨]، وحين يأتي الحديث عن المسجد الحرام في السورة المذكورة ، يذكر الله سبحانه وتعالى أنه بوأ لإبراهيم مكان البيت لإقامة التوحيد ، كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** (٢٦) ﴾ [الحج : ٢٦]،وبعد سياق طويل في هذه السورة :يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأداء مناسك الحج وتعظيم حرماته ، ويقرن ذلك كله ، بقوله تعالى ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** (٣٠) **حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** ﴾ [الحج : ٣٠-٣١]، بمعنى أيها المسلمون ، اجتنبوا أعمال الشرك والجاهلية ، التي تصل بكم إلى قعر الهاوية ، ثم في آخر السورة : يضرب الله لنا مثلاً في تحقيق التوحيد ، فيقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** ﴾ [الحج : ٧٣].

وعليه فإن الحاجّ الذي يطوف بالبيت الحرام ، أو يقبّل الحجر الأسود ، أو يرمي الجمرات ، فإنه بذلك لا يكون مشركًا ، لانه لم يدع وثنًا ولا نبيًا ، ولا كعبة ولا قبراً ، وإنما يدعو إلهًا واحداً ، فيقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا

شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، ولهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قبَّل الحجر الأسود ، قال : « **والله إني لأعلم أنك حجر ، لا تنفع ولا تضر ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتك** » .

استغلال موسم الحج :

وعليه نأمل أيها الإخوة الكرام: أن يستغل المسلمون هذه المناسبة العظيمة من كل عام، لأنها تمثل رمزا للتوحيد،وجمعًا لكلمة المسلمين في العالم الحيران ، وإنه لمن المؤسف جداً أن تتحول هذه الشعيرة العظيمة ، والمناسك الجميلة ، التي ظلت عبر التأريخ ميدانا للوحدانية ، إنه لمن المؤسف جداً : أن تتحول هذه المناسبة العظيمة إلى تعظيم غير الله من الأشخاص المبجلين ، أو ترفع فيها ، رايات أو شعارات جاهلية ، ولهذا يحق لنا أن نسأل ، ونقول : فهل صار الحج مكايدة سياسية ، أو منافرة قومية بين تلك الأحزاب ، وتلك الدول والأنظمة ، التي بينها خلافات وتفرقا ، إن هناك توظيفا واستغلالا سيئا لهذه الشعيرة العظيمة في الإسلام ، بتضليل الناس عن آثارها الروحانية ، وفوائدها الاجتماعية .

ولهذا يجب أن تكون هذه العبادة الدينية ، مناسبة تربوية:

[١] لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم: بأن ينادي في الحج لهذا العام ، بأن المسلمين جميعا إخوة في الدين والعقيدة،وأنهم سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي ولا عجمي إلاَّ بالتقوى،وأن دمائهم تتكافأ،يقوم بحاجتهم أدناهم، نريد من المسلمين فى هذا العام ، أن يعلنوا في الحج أنه لا فرق بين عربي ولا عجمي إلاَّ بالتقوى ، لا فرق بين ذلك الرجل الذي يأتي من المغرب أو الجزائر ، أو يأتي من بلاد اليمن أو الباكستان،كلهم لآدم وآدم من تراب، نريد من المسلمين أن يعلنوا في الحج لهذا العام:

[٢] أنهم سيقاتلون أعداء الإسلام ومن يقف ورائهم : وأنهم سيقفون مع إخوانهم في كل بقاع المسلمين ، وسيمدونهم بالمال والسلاح والرجال ، ثم بعد

ذلك يجب أن يعلنوا ولائهم للمسلمين ، فلا نريد ولاءات مشبوهة مع الكفار، ولا نريد حدودا ولا حواجز بين أوطان الإسلام، فكل مسلم يشهد ألاَّ إله إلا الله ، يحق له أن يتجول من المحيط إلى الخليج ، بكل حرية وأمان ، وعليه نأمل من إخواننا الحجاج : أن يقفوا مع إخوانهم المستضعفين في كل مكان ، الذين قتلوا أو شردوا أو أخرجوا من ديارهم وأوطانهم ، وأن يعلنوا ولائهم للإسلام ، وأنهم سيتبرؤون من كل عميل متزندق يحارب الإسلام ، كما تبرأ النبي ﷺ من قومه الجاهلين في حجة الوداع ، عندما أنذرهم ﷺ بقوله : **«ألا كل شئ من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي»** .

مكة تهواهــا الأفئــدة :

إذا أيها المسلمون: الحج مناسبة كبرى ، والأمم العقائدية تفرح أن يكون لها مثل هذه المناسبة العظيمة ، التي يحتشد فيها الملايين من هذه الأمة ، والتي جاءت بدافع التعبد إلى الله سبحانه وتعالى ، فإنهم لم يأتوا إلى تجارة مالية ، أو إلى سياحة أرضية ، وإنما أتوا وتكبدوا المشاق والصعوبات ، المالية والإدارية وغيرها ، من وسائل المواصلات والمصروفات ، لكي يصلوا إلى تلك المشاعر والبقاع المقدسة.

فيا راحــلين إلى منى بقيادي ... هيجتموا يوم الرحيل فؤادي
سرتم وسار دليلكم يا وحشتي ... الشوق أقلقني وصوت الحادي
ويطيب لي ما بين زمزم والصفا ... عند المقام سمعت صوت منادي
من نال من عرفات نظرت ساعة ... نال السرور ونال كل مراد

أيها الإخوة المسلمون: يجب أن تعلموا أن قيمة تلك الأرض المباركة، ليست بذهبها وبترولها وخيراتها ، كلا ، وإنما قيمتها بما حباها الله تعالى من الهداية العظمى ، وجعلها محط أنظار العالمين ، استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام ، عندما ترك ابنه إسماعيل وأمه هاجر في تلك الأرض الصحراء،الجرداء، الموحشة ،

ثم توجه إبراهيم عليه السلام إلى الله عز وجل بقوله : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] ، عند ذلك ولى إبراهيم ظهره نحوا البيت الحرام ، فلحقت به هاجر، تقول له : يا إبراهيم إلى من تذهب وتتركنا هنا ، في هذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا جليس ، وهو لا يلتف إليها خشية أن يرقّ لها ، وهو يقرأ الحزن في قسمات وجهها ، فلما رأت منه ذلك التجاهل والإعراض ، قالت له : آلله أمرك بهذا يا إبراهيم؟ ، قال : نعم ، فقالت : إذا لن يضيعنا الله ، فنشأ ذلك الطفل الصغير إسماعيل عليه السلام في تلك الأرض القاحلة الموحشة ، ثم بوأ الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام مكان البيت ، وأمره أن يؤذن في الناس بالحج، فنادى إبراهيم عليه السلام بأعلى صوته : يا أيها الناس ، إن الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم ، فأجابوه بالتلبية : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

وبهذه المناسبة: فقد ذكر النبي ﷺ بعض تلبية إخوانه الأنبياء في الحج والعمرة، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما،أن رسول الله ﷺ مرّ بواد أزرق، فقال لأصحابه : **أي واد هذا؟** ، قالوا : هذا واد أزرق ، فقال : **كأني أنظر إلى أخيْ موسى ، هابطًا من الثنية ، له جوآر إلى الله تعالى بالتلبية ، ثم مرّ عليه الصلاة والسلام على ثنية يُقال لها : ثنية أرش ، فقال : أي ثنية هذه؟، قالوا : ثنية أرش ، فقال : كأني أنظر إلى أخي يونس بن متى عليه السلام، على ناقة حمراء جعده أي مكتنزة اللحم عليه جبة من صوف وهو يلبي** » .

إذا، الكل يلبي ، وإبراهيم ينادي ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحج : ٢٧] ، هذا هو النداء الأبدي إلى الأمة المحمدية ، لتقف في عرفات الله تلبي ، ولما وقف إبراهيم عليه السلام ينادي ، أسمع الله دعوته النطف في الأرحام ،والحيتان في الماء ، والكائنات في جحورها ،

وأقبل الموحدون يلبون من كل مكان : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، لبيك إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك ، البشرية كلها تلبي ، والأرض تلبي ، والسماء تلبي ، وفي هذه الأيام يخرج آلاف المسلمين ، من شتى البقاع ومختلف الأصقاع ، كلهم يلبي ويقول : لبيك اللهم لبيك ، يخرجون ملبين من موسكو عاصمة الإلحاد ، ومن باريس عاصمة البغي والفساد ، ومن كل العواصم العربية والأوربية ، يخرجون في ردائيين أبيضين ، وكأنهم مسافرون إلى الله ، فهذا سفر إلى عرفات ، وذلك سفر إلى الموقف العظيم ، فإذا لبس الإنسان الإحرام : تذكر أنه سوف يخرج من الدنيا ، ومن قصور الدنيا ، وفلل الدنيا ، وبنوك الدنيا ، وبساتين الدنيا ، ولن يخرج منها إلا بهذا الكفن الأبيض ، الذي يلبسه الملوك وأبناء الملوك ، والأمراء والأغنياء والفقراء ، على حد سواء ، ويلبسه الأبيض والأسود والأحمر ، كلهم يرتدون زيًّا واحدًا ، في صعيد واحد ، ولتبقى العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، فلا تيجان يلبسونها ، ولا أكاليل ولا أساور من ذهب ، فالمسلم في الحج يخلع التيجان ويخلع الذهب والفضة ، ويخلع اللباس الفاخر ويتركه في الميقات من ورائه ، ويأتي أشعث أغبر ، يتلفف بأردية بيضاء ، ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٦] .

خذ القناعة من دنياك وارض بها ... لو لم يكن لك فيها إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل سار منها بغير الطيب والكفن

أحداث عرفة

أيها الناس: إن الذهاب إلى مكة والوقوف في عرفة، ليذكر المسلمين بوقوفهم في عرصات يوم القيامة،يجتمعون في عرفات الله من كل عام، ليتخذوا القرارات، وكأنهم في مؤتمر عالمي لهذه الأمة، ولهذا كان الرسول ﷺ يقول : **« الحج عرفة »** وهو اليوم المشهود الذي نفاخر به أهل الدنيا جميعًا ، يقف فيه رسولنا محمد ﷺ في ردائين أبيضين أشعث أغبر ، ويقول في خطبة الوداع ثلاث كلمات ،

الكلمة الأولى: يشجب التمييز العنصري ويقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ، ثم ينادي: يا أبا بكر يا سيد قريش، أنت وبلال الحبشي سواء بسواء لا فرق بينكما، ويا عمر الفاروق، أنت وصهيب الرومي سيَّان، لا فرق بينكما، ويا علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أنت وسلمان الفارسي سواء بسواء لا فرق بينكما.

إننا نغدو ونسري	في إخاء تالدي
إن يفترق ماء الوصال فماؤنا	عذب تحدر من غمام واحد
أو يختلف نسب يؤلف بيننا	دين أقمناه مقام الوالد

ثم وقف ﷺ في عرفات: ليقول كلمته الثانية، التي أعلن فيها حقوق المرأة، وأنه ينبغي مساعدة المرأة بتحصينها في بيتها وتزويجها رجل صالح ، يحفظ كرامتها ، ونادى بأن يكون لها بيت تسكنه ، ورجل تأوي إليه ، بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ حيث قال تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

ثم وقف ﷺ ، لينادي بحقوق الإنسان ، وهو ينظر إلى الكعبة ويقول ما أعظمك وما أشد حرمتك ، والذي نفسي بيده ، للمؤمن أشد حرمة عند الله منك ثم وقف عند الحجر الأسود يضمه ويقبله ، فانهمرت دموعه عليه الصلاة والسلام كالمطر المدرار ، فالتفت إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: ما هذا يا رسول الله ، قال: « **نعم يا عمر بن الخطاب هاهنا تسكب العبرات** » رواه الحاكم.

تذكّر والذكرى تهيج على الفتى	ومن عادة المحزون أن يتذكرا

وقف ﷺ هناك يبكي ، والبشرية كلها تنظر إليه ، وتسمع كلامه ، وهو يخطب في أكثر من مائة ألف حاج ، غير الأطفال والشيوخ والنساء ، وما كان عنده مكبرات ولا ميكرفونات ، ولكن الله أسمعهم جميعا في أماكنهم، ثم نحر ﷺ بيده الشريفة ثلاث وستين من الإبل ،ثم أعطى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحربة ، ليكمل بها المائة ، ثم قال للناس: «**أيها الناس لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا ، بمعنى ودّعوني أودعكم ، وأشهد الله أني قد بلغتكم رسالة ربي ،**

فارتفعت الأصوات بالبكاء ، واكتست عرفات حلة بيضاء ، وعلموا أنها لحظة وداع يودِّعهم ، وقد نزل قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، يموت أولئك الرجال الذين قدموا أنفسهم رخيصة في سبيل الله ، ويبقى الإسلام من بعدهم شامخًا في حياة البذل والتضحيات والصمود .



الحـــج [٢]

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضيين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . .

أما بعد :

أيها المسلمون: تحدثنا معكم في الموضوع السابق عن أداء مناسك الحج ، وأنه الركن الخامس من أركان الإسلام ، كما قال ﷺ : «**بني الإسلام على خمس ، شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً** » ،ولهذا من تركه وهو قادر عليه ، فقد كفر بنص الآية الكريمة ﴿ **وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران : ٩٧] ،وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار، فلينظروا إلى من كان عنده سعة ولم يحج ، فليضربوا عليهم الجزية،ما هم عندي بمسلمين، ما هم عندي بمسلمين،وكذلك استعرضنا لكم في الدرس السابق، طرفًا من حياة إبراهيم عليه السلام في مكة، وأن الله عز وجل بوأ له مكان البيت الحرام ،كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)** ﴾ [الحج: ٢٦] .

تفاصيل حجة الوداع :

أما نبينا عليه الصلاة والسلام ، فقد أراد أن يختم حياته في ظل الإسلام ، بحجة الوداع ، تلك الرحلة المباركة التي كانت آخر أعماله الدعوية والجهادية في سبيل الإسلام ، لقد خرج النبي ﷺ من مدينته الغراء ، طيَّب الله ثراها وسهولها وجبالها وأرضها وفجاجها، وكل ما فيها وما عليها، خرج ﷺ متوجها إلى مكة ،

ومعه خلق كثير من الناس ، فكانوا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله ، رافعين أصواتهم بالتكبير والتلبية : لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك،لا شريك لك،ولما وصل ﷺ إلى مكة،بدأ بالطواف حول البيت الحرام، ولما انتهى إلى المقام ،سلّم على إبراهيم عليه السلام،وقرأ من قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾[البقرة : ١٢٥]، فصلى ركعتين ، ثم اتجه نحو الصفا ، وقرأ من قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، وفي اليوم الثامن من ذي الحجة الذي يسمى يوم التروية ، أهلَّ بالحج وتوجه نحو منى ، فصلى فيها الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، والفجر من يوم عرفة ، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس من مشرقها ، فتوجه بعد ذلك إلى عرفات الله، وهناك في عرفة ، صلى الظهر والعصر جمعًا وقصرًا ، ثم خطب فيهم خطبته الشهيرة التي تسمى بخطبة الوداع ، استهلها بقوله : « **أيها الناس : أي يوم هذا ؟** ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، **قال : أي شهر هذا ؟** ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، **قال : أي بلد هذا ؟**، قالوا : الله ورسوله أعلم ـ هم كانوا يعلمون ولكنهم لا يجيبون تأدبًا مع الرسول ﷺ ، وقد كانوا يظنون أنه سيسميها بغير أسمائها ـ ، ثم قال لهم : **إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم ، حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كل شئ من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أضع دم ربيعة بن الحارث ، وإن ربا الجاهلية موضوعة ، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب** ، ثم قال لهم : **استوصوا بالنساء خيراً ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألاَّ يطأن فرشكم أحد تكرهونه ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، ثم أوصاهم بكتاب الله وسُنَّة رسوله فقال : تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب الله وسُنَّتي ،ثم أشهدهم على أنفسهم، فقال لهم : إنكم تسألون عني ،**

فماذا أنتم قائلون؟ ، قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأديت ونصحت ، **فجعل يرفع اصبعه السبابة إلى السماء ، ثم يشير بها إلى الناس وهو يقول : اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد** » ، ثلاث مرات ، ثم بعد ذلك توجه إلى المزدلفة بعد أن غربت الشمس في يوم عرفة ، ولما وصل إلى المزدلفة ، صلى فيها المغرب والعشاء جمعًا وقصرًا ، وبعد صلاة الفجر: أتى إلى المشعر الحرام في مزدلفة ، ووقف يكبر الله ويدعوه رغبة ورهبة ، ثم توجه إلى منى مرة أخرى في يوم النحر،فرمى جمرة العقبة الكبرى بسبع حصيات، ثم نحر هديه وحلق رأسه، ثم رجع إلى مكة المكرمة في يوم النحر،وطاف حول البيت الحرام طواف الإفاضة، هذه بعض اللمسات الجميلة ، التي بثها رسول الله ﷺ في حجة الوداع ، ومن خلال تلك الأحداث ودَّع بها أمتة .

منزلة مكة المكرمة :

وفي هذه الأيام: بدأ إخوانكم الحجاج ، يمارسون بعض مناسك الحج لهذا العام ، فبدؤا ينتقلون بين المشاعر المقدسة من مكان إلى مكان ، استجابة لأمر الله القائل : ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

ولهذا فإن رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ، من أعظم الرحلات التاريخية في حيات الإنسان، فإذا كان غيرنا يذهبون للسياحة والترفيه،ويخسرون في ذلك الأموال الطائلة، ثم يعودون من تلك البلاد بآمال خائبة ، وقد فتنوا في دينهم وعقيدتهم وإسلاميتهم ، فنحن اليوم نسافر إلى مكة للسياحة والعبادة ، ونرجع وقد بدلت سيآتنا إلى حسنات بإذن الله ، كما قال ﷺ : «**من حج ولم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه**» .

إذاً: سياحتنا وسفرياتنا في الأرض، كلها لله، فنحن مسافرون إلى الله دائما وأبداً ، ومكة هي الموطن السياحي الرهيب الذي نفاخر به، ويجذب السواح

المسلمين من كل مكان في العالم ، ولهذا سميت مكة وبكة ، لأنها تبك أعناق الظالمين والجبارين ، ولأن الناس يتباكون فيها من شدة مهابتها عند الله عز وجل وعند خلقه من العالمين ، فيذلون ويخضعون عندها ، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى فضلها وشرفها على سائر البقاع ، ومختلف الأصقاع ، وجعل فيها حرمًا آمنا وملجئا للخائفين والمضطربين ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا** ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، وقال أيضًا في آية أخرى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ** ﴾ [العنكبوت : ٦٧] ، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، استنادا إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « **إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل قتال فيه لأحد قبلي ، وإنما أحل لي ساعة من نهار ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته** » كذلك أمر الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه السلام ، أن يدعوا الناس إلى زيارته ، وحجه من كل عام ، فقال تعالى : ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)** ﴾ [الحج : ٢٧-٢٨] ، جاء في تفسير هذه الآية أن إبراهيم عليه السلام قال : يارب ، كيف أبلّغ الناس دعائي وندائي ، وصوتي لا ينفذ إليهم؟ فقال له يا إبراهيم : إن عليك إلاّ النداء وعلينا البلاغ ، فقام إبراهيم عليه السلام على المقام ، وقيل على الحجر ، وقيل على الصفاء ، ونادى بصوته : أيها الناس ، إن ربكم قد اتخذ بيتًا فحجوه ، فقيل : أن الجبال تواضعت ، أي صغرت حتى بلغ النداء أرجاء المعمورة ، وسمع ذلك النداء من في الأرحام والأصلاب ، وأجابه كل شئ حتى الحجر والشجر والمدر ، أما رسولنا عليه الصلاة والسلام ، فقد دعا أمته إلى تعظيم هذه الشعيرة العظيمة في الإسلام ، وكان يحثهم على أدائها ، ولهذا لما سئل أي الأعمال أفضل؟، قال : « **إيمان بالله ورسوله،قيل ثم ماذا؟** ،

قال : **جهاد في سبيل الله** ، قيل ثم ماذا ؟ ، قال : **حج مبرور** » ثم وصفه ﷺ في حديث آخر، بأنه يعادل الجهاد في سبيل الله ، فقال : «**جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج** » إذًا فهؤلاء الحجاج الذين يأتون شُعثًا غُبرًا ، هم وفود الرحمن ، وحق على الله أن يكرم وفوده، لما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **الحجاج والعُمَّار وفود الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم**» رواه النسائي وابن ماجه ، وقال ﷺ : «**العمرة إلى العمرة ، كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلاَّ الجنة** » .

فوائد الحج :

ولهذا يجب أن تعلموا أيها المسلمون:

إن أولئك الحجاج الذين ذهبوا إلى مكة ، وتحملوا الصعاب ، وذاقوا الأمرين في تلك الأودية والشعاب،لا بد أن ينظر الله إليهم ويغفر لهم ذنوبهم، وهو أرحم الراحمين ، ولا بد أن يقطفوا ثمار حجهم وسعيهم ، وأن يعودوا إلى أوطانهم سالمين غانمين بإذن الله ، **وإلاَّ فما شرع الحج إلاَّ لأنه:**

[١] **يمحِّص الذنوب ويكفر السيئات:** كما قال ﷺ في الحديث المتفق عليه « **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ،كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة** » رواه النسائي والترمذي في سننهما ، **ومن فوائد الحج:**

[٢] **أن فيه مضاعفة الأجر والثواب:** فقد جاء في الحديث المتفق عليه قوله عليه الصلاة والسلام : « **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلاَّ الجنة** الشاهد من الحديث «**والحج المبرور ليس له جزاء إلاَّ الجنة**» وفي أيام الحج تضاعف الحسنات ، لأن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، وفي المدينة بألف صلاة ،وكذلك لمس الحجر الأسود ،كما قال ﷺ :

«**الحجر الأسود والركن اليمان ، يحطان الذنوب حطًا** » ، ولكن هذا الجزاء : لا يتم إلاَّ لمن لمسه مخلصًا من قلبه ، متقربًا به إلى الله ، لأن هذا الحجر، يأتي يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ، وله لسان ينطق به ، يشهد لكل من استلمه أو قبله بحق ، ولهذا يشرع لمن طاف حول البيت الحرام أن يستلمه أو يلمسه أو يقبله ، إتباعا لسُنَّة سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ، **ومن الفوائد والعبر التي تبرز في أيام الحج:**

[٣] **أن فيه إزالة لمظاهر الشرك والوثنية، وتحقيق لمعنى التوحيد:** فالحج يعتبر رمزا للتوحيد ومظهرا من مظاهره ، التي ندعو إليها دائما وأبدا ، فيعتبر النداء الذي يردده الحجاج ، فيه ترسيخ لمبدأ التوحيد ، ونفي لمظاهر الشرك والوثنية ، عندما يقول الإنسان في حجه وعمرته : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، ولهذا أمر الله عز وجل نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يطهر بيته من آثار الشرك والوثنية ، فقال تعالى :﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحج : ٢٦] .

ولهذا السبب: عُرف إبراهيم ﷺ في التاريخ ،بأنه رمز للتوحيد وعدو للشرك والجاهلية ، ومحطم للأصنام والوثنية،كما قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران : ٦٧] ، أما رسولنا عليه الصلاة والسلام في يوم عرفة، فقد كان يدعو إلى التوحيد ويرسخ ذلك في قلوب أصحابه، فكان يقول لهم :« **أفضل ما قلت أنا والنبيين قبلي يوم عرفة، لا إله إلاَّ الله لا شريك له** » ، **ومن فوائد الحج للمسلمين:**

[٤] **أن فيه منافع للناس:** استنادا إلى قوله تعالى في سورة الحج :﴿ **لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ** ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحج : ٢٧] ، وفي ذلك دلالة على جواز البيع

والشراء في أيام الحج ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ﴾ [البقرة : ١٩٨] ، **ومن فوائده:**

[٥] **أن فيه تتجلى روح الأخوة والمساواة بين المسلمين:** فيظهر الحجاج بمظهر واحد جميل ، لا فرق بين عربي ولا عجمي إلاَّ بالتقوى كما قال ﷺ : « **الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فرق بين عربي ولا عجمي إلاَّ بالتقوى** » وكذلك يحصل التعارف في أيام الحج، تجسيداً لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وتظهر في أيام الحج ، معاني الأخوة بين المسلمين ، المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، فيصبحون كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، **ومن فوائده وثماره:**

[٦] **أن فيه تذكير باليوم الآخر:** عندما يخلع الإنسان ملابس الدنيا ، ويلبس الإحرام الذي يشبه ملابس الموتى ، فيتلفف في ردائين أبيضين ، وكأنها الأكفان التي أعدت للموتى ، **وكذلك من فوائد الحج وثماره:**

[٧] **أن فيه تعويد على مكارم الأخلاق وجميل الطباع:** امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧) ﴾[البقرة:١٩٧] ، فيتعلم الحجاج فيه مكارم الأخلاق وضبط النفس واللسان ، لان الرسول ﷺ يقول من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

فريضة الحــج :

إذن أيها المسلمون: إن الله سبحانه وتعالى قد كتب عليكم فريضة الحج ، كما كتب عليكم فريضة الصيام والصلاة ، فقال تعالى﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران : ٩٧].

قيل أن هذه الآية: هي أول آية توجب فريضة الحج إلى بيته الحرام عند جمهور العلماء، وعلى هذا، فالحج ركن من أركان الإسلام الذي يقوم عليه، كما قال ﷺ : «**بني الإسلام على خمس: شهادة ألاَّ إله إلاَّ الله ، وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام** » ، ولذلك فمن جحد فريضته فقد كفر بالإجماع ، استنادا لقوله تعالى ﴿ **وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ ومن ترك أدائه تساهلاً أو تكاسلاً: ففيه شبه من اليهود ، لأن اليهود قالوا لم يكتب علينا ، أي ليس في شرعنا ، فردّ عليهم بقوله تعالى : ﴿ **وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ .

وكذلك يجب أن تعلموا أيها المسلمون: أن الحجّ ، لا يجب على الإنسان في العمر إلاَّ مرة واحدة ، لما ثبت أن الرسول ﷺ قال : «**أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا**، فقال رجل من الصحابة :أكل عام يا رسول الله ؟ ، فسكت النبي ﷺ، حتى كررها ثلاثا ، فقال عليه الصلاة والسلام: « **لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ولكن ذروني ما تركتكم عليه ، فإنما أهلك من كان قبلكم ، كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه** » .

معجزاته ﷺ في حجة الوداع:

ولهذا فإن النبي ﷺ لم يحج في حياته إلاَّ مرة واحدة ، التي تسمى بحجة الوداع ، وقد كانت آخر أعماله التشريعية في حياته الدعوية ، والتي من خلالها

ودّع الناس ، وودّعوه ، وقد حصل في هذه الرحلة المباركة ، كثيراً من الآيات والمعجزات ، وكثيرا من المواقف الرائعة ، واللطائف الجميلة ، التي لم ننساها ، ولن ينساها التاريخ أبدا إلى قيام الساعة ، **منها على سبيل المثال:**

[١] عندما تقدم النبي ﷺ في إحرامه الطاهر ، وقلبه الخاشع ، إلى الحجر الأسود، يقبله بحرارة وشوق، لا نظير له، فدمعت عيناه سيلا جارفا من الدموع ، فتعجب عمر ، ولم يكن يتوقع أن الرسول ﷺ سيبكي أمام حجرة لا تنفع ولا تضر، ولهذا كان يقبله عمر ويقول: والله إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ، ولولا أني رأيت رسول الله يقبّلك ما قبّلتك، ولهذا لما رآه يبكي عند الحجر الأسود ، قال يا رسول الله : لماذا تبكي ؟ ،فردّ عليه قائلاً : **«يا عمر ، ها هنا تُسكب العبرات»** ، هناك تلين القلوب وتخشع ، هناك يبكي الإنسان ، هناك يتذكر الإنسان ، والذكرى تؤرقه ، فبكى رسول الله ﷺ، ويبكى عمر رضي الله عنه ، وتبكي الأمة ، لأنها تعلم أن هذا المكان رمزاً لشرفها وعزتها وكرامتها .

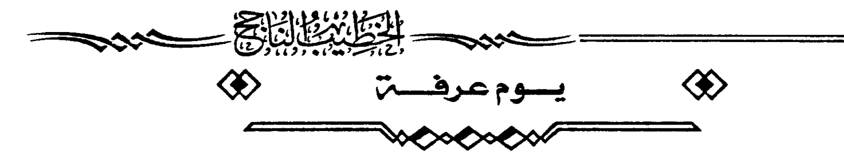
ومن تلك المواقف التي لا يمكن أن ينساها التاريخ أبداً:

[٢] إبل تعشق الموت: فحينما خرج النبي ﷺ إلى الحج في مكة ، ساق معه إبل كثيرة ، بلغت إلى المائة ، ليقدمها هديا وقرباناً إلى الله ، وفي منى أخذ الحربة لينحرها ويذبحها ، فإذا بتلك الإبل التي لا تفهم ولا تعقل ، تتقدم إلى الرسول ﷺ لتضع أعناقها أمامه ، وليفعل بها ما شاء ، لأنه رسول وعبد مأمور ، فسمعا وطاعة،ولا عجب في ذلك، فيا سبحان الله !! إبل تعرّض نفسها للموت ، وتتقدم إلى رسول الله ﷺ ليذبحها فتموت، بينما هناك فئام من الناس ، ومن الذين يتغنّون بالإسلام أو ينتسبون إليه، يدعوهم الرسول ﷺ ، لا ليقطع رقابهم، بل ليرفعها فوق هامات النجوم مناراً ، ولكنهم مع ذلك : يَأبَون ويدسون أنوفهم في التراب ، فبئس ما يحملون من عقول وألباب .

ومن المشاهد الرائعة ، التي حصلت في حجة الوداع الأخيرة:

[٣] اقتسام شعره ﷺ بين أصحابه وأتباعه وأنصاره والمعجبين به: فلما أراد النبي ﷺ أن يحلق شعره في منى ، قال لمَعْمَر ابن عبد الله :«**يا مَعْمَر ألديك موس؟** قال : نعم يا رسول الله ، فقال : «**سم الله واحلق رأسي** » ، فلما انتهى من حلق نصفه الأول، تسابق الصحابة إليه جميعًا ،كلهم يريد أن يحصل على هذه الغنيمة، والفائز منهم بل المحظوظ : من حصل على شعرة واحدة ، أما النصف الآخر من شعره ﷺ ، فآثر به أحد أصحابه،وهو أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه، فقال : يا أبا طلحة ، خذ هذا الشعر كله لك فبكى أبو طلحة من شدة الفرح ، يا لها من سعادة لمن عرف الحياة الطيبة ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** (١٦٩) ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .





يـــوم عرفـــة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . .

أما بعد: أيها المسلمون:

إن الحديث عن يوم عرفة حديث مهيب ؛ لأنه يمثل بالنسبة للمسلمين يوماً مشهوداً كما قال تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [البروج:٣]، أي أن الشاهد هو يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة ، كما روى ذلك الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : الشاهد في هذه الآية يوم الجمعة ، والمشهود هو يوم عرفة . وقال مجاهد : بل المقصود بالشاهد هو الإنسان ، والمشهود هو يوم الجمعة. وأياً كان الخلاف فالأكثرون يرون بأن الشاهد هو يوم الجمعة ، والمشهود هو يوم عرفة؛ ولهذا أقسم الله عز وجل بها في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

إذن يوم عرفة يوم عظيم ، لماذا ؟ ، لأن الرسول ﷺ وصفه بانه يمثل فريضة الحج كلها ، وكأنه بذلك اختزل جميع الأعمال والمناسك في ذلك اليوم العظيم ، حيث قال ﷺ : **«الحج عرفة»** وهذا تعبير دقيق أراد من خلاله أن يركز على أهمية يوم عرفة ، وأنه يوم عظيم عند المسلمين جميعاً ، ولذلك وصفه الرسول ﷺ في حديث آخر بانه أفضل الأيام على الإطلاق كما قال ﷺ : **«ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ، ينزل ربنا سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا ، ويقول: انظروا إلى عبادي جاؤوني شعثاً غبراً ضاحّين أشهدكم أني قد غفرت لهم»** ، وتأكيداً على حرمة ذلك اليوم وتعظيمه ، فقد شُرع الصيام فيه لجميع الأمة ؛ لأنه يكفر سنتين كما قال ﷺ : **«يكفر السنة الماضية والباقية»** ، وأما صيامه بالنسبة لأهل عرفة ، والذين تشرفوا بزيارته في ذلك اليوم العظيم ،

فقد كره النبي ﷺ أن يصومه الحجاج ؛ لأنه يمثل بالنسبة لهم عيداً وفرحاً وسروراً ،كما قال ﷺ : «**يوم عرفة، ويوم النحر ،وأيام منى عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب**» رواه أحمد و أبو داود ، ولهذا سئل ابن عمر رضي الله عنهما عن صوم يوم عرفة ، فقال: « حججت مع رسول الله ﷺ فلم يصمه ، ومع أبي بكر فلم يصمه ، ومع عمر فلم يصمه ، ومع عثمان فلم يصمه ، وأنا لا أصومه ، ولا آمر به ، ولا أنهى عنه » ، وتكون المزية أعظم بالنسبة للحجاج إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة ؛ لأنه بذلك يجتمع عيدان للمسلمين : عيد يوم الجمعة ، وعيد يوم عرفة بالنسبة للحجاج ، ولهذا قد يسأل بعض الناس : أيهما أفضل : يوم الجمعة، أو يوم عرفة ؟ ، فأجاب على هذا السؤال ابن القيم رحمه الله بقوله : « يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع ، ويوم عرفة أفضل أيام السنة كلها » .

مضمون خطبة الوداع :

ونتيجة لهذه المزايا العظيمة ، فقد نال يوم عرفة عند المسلمين مزيداً من التشريف والتعظيم ، ومزيداً من الاهتمام ، حيث ألقيت فيه خطبة بليغة تسمى بخطبة الوداع ، وهي أشهر خطبة في التاريخ ، يصفها المؤرخون والعلماء بأنها خطبة عصماء ، يعجز المتكلمون والخطباء أن يأتوا بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، بل يعجز سيبويه ، وتعجز النساء العربيات أن يلدن خطيباً مفوّهاً كمحمد عليه الصلاة والسلام ، وقد ذكر أهل السير والمؤرخون أن الرسول ﷺ لمّا طلعت الشمس في صبيحة يوم التاسع من ذي الحجة توجه إلى عرفة ، ونزل في نمرة ، ثم بعد ذلك توجه إلى بطن الوادي في عَرنة ، وخطب فيهم خطبته الشهيرة التي تسمى بخطبة الوداع ، استهلها بقوله : « **أيها الناس ، أي يوم هذا ؟** ، قالوا : الله ورسوله أعلم . **قال : أي شهر هذا ؟** ، قالوا : الله ورسوله أعلم . **قال : أي بلد هذا ؟**، قالوا : الله ورسوله أعلم» . هم كانوا يعلمون ، ولكنهم لا يجيبون تأدباً مع الرسول ﷺ ، وأيضاً كانوا يظنون أنه سيسميها بغير

أسمائها ، ثم قال لهم : «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أضع دم ربيعة بن الحارث ، وإن ربا الجاهلية موضوعة ، وأول رباً أضع ربا العباس بن عبد المطلب» . ثم قال لهم : «استوصوا بالنساء خيراً ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» . ثم أوصاهم بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، فقال : «تركت فيكم شيئين ، ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً : كتاب الله وسنتي . ثم أشهدهم على أنفسهم فقال : إنكم تسألون عني ، فماذا أنت قائلون ، قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فجعل يرفع إصبعه السبابة إلى السماء ، ثم يشير بها إلى الناس ويقول : اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد ، اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد ، اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد » جعل يقول ذلك ثلاث مرات .

تعقيبات سريعة للأحداث في عرفة :

أيها المسلمون ، إن الوقوف بعرفة شيء عظيم ، لماذا ؟ .. لأنه يذكرنا بيوم عظيم حين يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين ،ولذلك وقف الرسول ﷺ في يوم عرفة في خطبة الوداع ليقول ثلاث كلمات: الكلمة الأولى ، يشجب فيها التمييز العنصري فقال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾. ثم نادى: **يا أبا بكر ، يا سيد قريش، أنت وبلال الحبشي سواء بسواء، لا فرق بينكما، ويا عمر الفاروق، أنت وصهيب الرومي سيَّان، لا فرق بينكما، ويا علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أنت وسلمان الفارسي سواء بسواء،لا فرق بينكما ».**

إن يفترق ماء الوصال فماؤنا عذبٌ تحدّر من غمامٍ واحدِ
أو يختلف نسبٌ ، يؤلف بيننا دين أقمناه مقام الوالدِ

ثم وقف ﷺ في عرفات ليقول كلمته الثانية التي أعلن فيها حقوق المرأة ، وأنه ينبغي احترام المرأة وتحصينها في بيتها ؛ عملاً بالحديث : «**والمرأة راعية في بيت زوجها ، وهي مسئولة عن رعيتها**» ونادى أن يكون لها بيت تسكنه ، ورجل تأوي إليه بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، ثم وقف ﷺ ليقول كلمته الثالثة ، وينادي بحقوق الإنسان ، وهو ينظر إلى الكعبة ويقول : «**ما أعظمك ! وما أشد حرمتك ! والذي نفسي بيده ، للمؤمن أشد حرمة عند الله منك**» ثم قال للناس : **أيها الناس ، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بمعنى : ودعوني أودعكم وأشهد الله أني قد بلغتكم رسالة ربي**». فارتفعت الأصوات بالبكاء ، واكتست عرفات الله حلة بيضاء ، وعلموا أنها لحظة وداع يودعهم ، وقد نزل قوله تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] ، ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] ، يموت أولئك الرجال الذين قدموا أنفسهم رخيصة في سبيل الله ، ويبقى الإسلام من بعدهم شامخاً في حياة البذل والتضحيات والصمود والفداء .

المستفاد من يوم عرفة :

أيها المسلمون : إن يوم عرفة يوم مشهود ولهذا يحتوي على كثير من الأسرار والعبر ، وما هي إلا ذكرى للبشر . وإن تلك الأحداث التي بزغ فجرها في يوم عرفة ، كان لها أثر عظيم في حياة المسلمين ، منها :

[١] أنها كرّست مفهوم الوحدة بين المسلمين ، وعملت على جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم ، فتراهم يجتمعون في تلك البقاع الطاهرة ، ويؤدون رسالة واحدة تحت راية واحدة ، كلهم يلبس ذلك الرداء الأبيض الجميل ، ويرددون

شعاراً واحداً : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. وهناك في ذلك الموقف العظيم أعلن النبي ﷺ وحدة المسلمين ، وأنهم أمة واحدة ، لا فرق بين عربهم وعجمهم إلا بالتقوى ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾، وفي يوم عرفة يحصل التعارف والتعاون وتزول تلك الفوارق العصبية والجاهلية التي فرقت بين المسلمين استجابة لأمر الله القائل: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)** ﴾ [الحجرات :١٣]، وفي يوم عرفة يشعر المسلمون بأنهم أمة واحدة عندما يجتمعون من شتى البقاع ومختلف الأصقاع جنباً إلى جنب كاللحمة الواحدة ؛ عملاً بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)** ﴾ [الأنبياء:٩٢] ، ويجسدون في ذلك اليوم أسمى معاني الأخوة والمحبة بين المسلمين امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات :١٠]، وقول الرسول ﷺ :**«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»** .

وفي يوم عرفة يتذكر المسلمون بأن لهم إخواناً في مشارق الأرض ومغاربها يقتلون ويشردون ، وهناك الجوعى والمرضى ينادون ويستغيثون، فيحس المسلمون أنهم في ذلك اليوم وكأنهم لحمة واحدة ، يتألمون لما أصابهم جميعاً ، وعلى إثرها يجتمعون ويتخذون قراراً واحداً بأنهم سيقفون مع إخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها، وسيكونون حرباً على من حاربهم ، وسلماً لمن سالمهم عملاً بقوله تعالى: ﴿ **وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ** ﴾ [الأنفال:٧٢]، وفي يوم عرفة تظهر قوة المسلمين عندما يأتون بذلك الحشد الهائل الكبير، يأتون من كل فج عميق من بلدان آسيا وأوروبا وأمريكا ومن أدغال أفريقيا،كلهم يعظم شعائر الله والبيت الحرام، يثبتون للعالم أجمع بأنهم أقوى أمة على وجه الأرض ، وأنهم سيقاتلون أعداءهم صفاً واحداً ؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ**

﴿ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف : ٤] .

أيها المسلمون: إن يوم عرفة يمثل بالنسبة للمسلمين يوماً مهيباً يخشى منه أعداء الإسلام ؛ لأنهم يعلمون أن المقدسات عند المسلمين يمكن أن تكون سبباً في وحدتهم وقوتهم ، ولذلك أرادوا أن يزيلوها من أماكنها التاريخية والجغرافية ومن الأرض جميعاً ، فيقول أحدهم واسمه ماكس : « **لن تتوقف جهودنا في** حربنا على الإسلام حتى يرتفع الصليب في سماء مكة ، ويقام قُدَّاس الأحد في المدينة » ، ويقول آخر : « لن نعيش في أمن وسلام وما يزال عند المسلمين مكة والمدينة ويوم عرفة » . إذن هم يعلمون أن يوم عرفة يشكل بالنسبة لهم خطورة شديدة ؛ لأن فيه إظهاراً لقوة المسلمين عندما يجتمعون بتلك الحشود الهائلة ، أو عندما يتخذون القرارات الصائبة . فلو أراد أهل عرفات أن يقيموا دولة الخلافة الإسلامية لفعلوا ، ولو أرادوا أن يعيدوا حضارة الإسلام في بغداد والبصرة والكوفة ودمشق لفعلوا ، ولو أرادوا أن يفتحوا العالم بـ لا إله إلا الله و ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ لفعلوا ، ولو أراد أهل عرفات أن يسقطوا تلك الزعامات الخائنة والعميلة لفعلوا ، ولو أرادوا أن يستبدلوا الحكام الظالمين بحكام عادلين لفعلوا ، ولو أرادوا أن يستردوا أموال الأمة التي نهبت بغير حق لفعلوا ، ولو أرادوا أن يسحقوا إسرائيل لفعلوا ، ولو أرادوا أن يحاكموا أعداء الإسلام في جرائم الحرب التي ارتكبوها ضد المسلمين لفعلوا ؛ لأنهم في ظل وحدة الإسلام قوة ضاربة لا يُستهان بها ، ويحسب لها الأعداء ألف حساب .

ولذلك يقول أحدهم : « لو أن المسلمين عرفوا قيمة الإسلام ، لحكموا العالم به إلى أن تقوم الساعة » ويقول آخر : « يجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة التي بيننا وبينهم »، بمعنى : أنهم لا يريدون أن يقاتلوا المسلمين وهم أمة واحدة أو يحملون أفكاراً إسلامية، وإنما يريدون أن يقاتلوا المسلمين وهم يحملون أفكاراً غربية أو علمانية ؛ لأنهم يعلمون يقيناً أن حربهم مع الإسلام ، وبهذه الصورة ستكون حتماً خاسرة .

أيها المسلمون :

[٢] إن يوم عرفة فيه ترسيخ لمبدأ التوحيد والعقيدة ، يظهر ذلك من خلال النداء الجميل الذي يردده الحجاج في يوم عرفة : « **لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك** » . ولهذا أراد النبي ﷺ في يوم عرفة أن يرسخ مبدأ التوحيد في قلوب أصحابه ، فكان يقول لهم : « **خير ما قلت أنا والنبيون قبلي يوم عرفة : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير** » .

إن هذا التركيز في يوم عرفة على شهادة التوحيد ، يثبت لنا مدى أهمية التوحيد عند المسلمين ، وأنه يجب عليهم أن يتبرؤوا من كل الأصنام الجاهلية التي تعبد من دون الله ، سواء كان ذلك الانحراف في شرك القصور أو في شرك القبور ، فالذين عبدوا اللات ، والعزى ، وهبل قد ضلوا ضلالاً بعيداً ، كما قال تعالى : ﴿ **إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ** ﴾ [النساء : ١١٧، ١١٨]، فهناك من الناس من يعبد الله، وهناك من يعبد الشيطان، وهناك من يعبد الطواغيت من دون الله ، فيسمع لهم ويطيع ، وينفذ أوامرهم حتى لو كانت تخالف أوامر الله، كما قال تعالى: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ [التوبة : ٣١]، فقال عدي بن حاتم : « يا رسول الله، إنا كنا لا نعبدهم ولا نصلي لهم . فقال عليه الصلاة والسلام : « **أو لم يكونوا يحلون لكم فتحلون ، ويحرّمون عليكم فتحرمون ؟** » ، قال : بلى . **قال : فتلك عبادتكم إياهم** » .

وعليه نقول: لمن يعبد الطواغيت من دون الله ،وينصب لهم التماثيل أو الأفلام والصور ، أو يثني عليهم ويسبّح بحمدهم بالغدو والآصال ؛ فهذا لا شك أنه من المشركين،وأنه قد أشرك مع الله آلهة أخرى، والله عز وجل يقول: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا** ﴾ [النساء : ٦٠]

ونتيجة لهذه الآثار السلبية والأعمال الشيطانية ، التي يكون سببها الإشراك بالله والتعظيم لغير الله ؛ فقد أراد النبي ﷺ أن يبرز هذه القضية في يوم عرفة ، وأن يركز على مفهوم التوحيد عند المسلمين، وكأنه بذلك يريد أن يقول لأهل عرفة :يجب على الحاضرين جميعاً في هذا الموقف العظيم، أن يعلنوا براءتهم من الشرك وأهله ، وأن يعلنوا براءتهم من كل الطواغيت في العالم التي تعبد من دون الله ؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

ومن تلك الفوائد والأسرار التي نثرها رسول الله ﷺ في يوم عرفة :

[٣] لتأكيد على حقوق الإنسان في ظل الإسلام ، يظهر ذلك جلياً عندما كان يقول في خطبته الشهيرة : «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا** » .

إن الرسول ﷺ في يوم عرفة أراد أن يعظِّم الحقوق بين المسلمين ، رغم أنه قد أشار إليها في مواضع كثيرة ، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : «**المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه**» .

وجاء في حديث آخر: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» وغيرها من الأحاديث التي ورد ذكرها لبيان تلك الحقوق، ولكن الرسول ﷺ في يوم عرفة استغل ذلك الحشد الهائل من المسلمين ، وتلك الجموع المحتشدة ؛ ليضع لهم تلك القضية الخطيرة ، ويجعلها من أولى اهتماماته وحديثه ، حيث كان ينظر إلى البيت الحرام ويقول: «**والله ، إنك لبيت عظيم ، وإن حرمة المؤمن لأشد منك حرمة**» ، ويقول في حديث آخر : «**لأن تهدم الكعبة حجراً حجراً أهون عند الله من إراقة دم امرئ مسلم** » .

إذاً أيها المسلمون ، إن موضوع الدماء موضوع حساس ؛ ولهذا بدأ النبي ﷺ في خطبته يوم عرفة بالحديث عن هذا الموضوع الحساس ، ويشير إليه بحرف

التوكيد والنصب إنّ : «**إن دماءكم**» ، ثم أكد عليها مرة أخرى : «**وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أضع دم ربيعة ابن الحارث**». وكأنه بذلك يريد أن يحقن دماء المسلمين ، وأن يزيل مسألة الثأر والغارات إلى الأبد ، فوضع خطوطاً حمراء لمن يتجاوز هذه الحدود الخطرة، كما أشار إليها في حديث سابق : «**كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ،وعرضه**».وقد حرص الإسلام على سلامة النفوس ، وحماية الأعراض والحقوق ؛ ولذلك جعل القاتل يوم القيامة يغوص في أربع عقوبات كما قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)** ﴾ [النساء :٩٣] ، بل لو اشترك الإنسان بشطر كلمة مثل : «أق» والتي شطرها الآخر «تُل» يستحق بها الطرد والإبعاد من رحمة الله كما قال ﷺ : «**من أعان على دم امرئ مسلم بشطر كلمة ، كتب يوم القيامة بين عينيه : آيس من رحمة الله**» رواه البيهقي ، وفي حديث آخر : «**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم امرئ مسلم ؛ لأكبهم الله جميعاً في النار**» رواه الترمذي بسند حسن .

وكذلك من الأمور التي أشار إليها النبي ﷺ في يوم عرفة :

[٤] **التأكيد على حرمة الربا** ، وأنه حرام في الإسلام ، حيث كان يقول عليه الصلاة والسلام : «**وإن ربا الجاهلية موضوعة ، وأول ربا أضع ربا العباس ابن عبد المطلب**». وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الموضوع ؛ لأن أصحاب الجاهلية كانوا يمارسونه على نطاق واسع ، ولهذا أراد النبي ﷺ أن يطهر أهل بيته من أوساخ الربا، فبدأ أولاً بعمه العباس بن عبد المطلب، وألزمه أن يتخلص من أمواله الربوية التي ربت في الجاهلية،وما كان له أن يفعل ذلك إلا تسليماً وانقياداً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ ، وامتثالاً لقوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨)** ﴾ [البقرة :٢٧٨]،أي تخلصوا من الأموال التي رابيتم بها في الجاهلية، ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ [البقرة : ٢٧٩] ، ولكن مع هذا الوعيد في الآيات ، ومع تلك التحذيرات التي أطلقها

رسول الله ﷺ من عرفات ، فما يزال كثير من المسلمين اليوم يتعاملون بالربا، والله عز وجل قد حذرهم منه ، حيث قال : ﴿ **وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ** ﴾ [الروم: ٣٩].

ونتيجة لهذه الخطورة ، فقد نهى رسول الله ﷺ أن تباع السلعة بمثلها دون أخذ ثمنها سواء بسواء ،حيث قال: «**الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلاً بمثل ، ويداً بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى**» ثم بعد هذا ينتشر الربا في كل مكان، بل أصبح رمزاً وشعاراً لهذا الزمان ، كما قال ﷺ : «**ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا ، فمن لم يأكله أصابه من غباره**» رواه أبو داود وابن ماجة ، وهذا ما نراه واقعاً في حياة المسلمين اليوم ، فقد كثر فيها الربا ، وعم بها الفوضى ، وأصبح التركيز عليه شيئاً مألوفاً ومرغوباً، بل من أجله شرّعت ورسمت القوانين والأنظمة ، وأصبحت البنوك الربوية ترفع أعلامها في كل شارع ومدينة . ونتيجة لهذا الأمر الخطير ؛ فقد أعلن الرسول ﷺ في يوم عرفة براءته من الربا ومن آكله وموكله ، ولعن في حديث جابر كل من يتكسّب به ، حيث قال : «**لعن رسول الله آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، وشاهديه ، كلهم سواء**» . ثم أشار ﷺ في يوم عرفة إلى :

[٥] **حق المرأة** ، حيث قال ﷺ : « **ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف** » أي يجب أن تحترموا حقوق المرأة ؛ لأنها تشكل نصف المجتمع ، كما قال ﷺ : «**النساء شقائق الرجال**» فإذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام :«**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» ويقول في حديث آخر: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة في بني إسرائيل كانت في النساء**» ،ولهذا فقد أمرها الإسلام أن تلتزم بيتها وحجابها وعفتها ؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب :٥٣]،وكذلك لا يجوزلها أن تسافر إلا مع ذي محرم ، قال ذلك النبي ﷺ وهو يخطب في أيام الحج ، فقال

رجل من الأنصار : « يا رسول الله ، إن امرأتي خرجت حاجّة ، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا . فقال عليه الصلاة والسلام : « **انطلق فحج مع امرأتك** » . إنه في هذه الحادثة أمره أن يدع الغزو والجهاد في سبيل الله ، ثم يذهب ويحج مع امرأته ؛ خوفاً عليها من الفتنة أو الإيذاء .

فالنبي ﷺ في يوم عرفة أراد أن يحترم حقوق المرأة ، حيث أمرها أن تستقر في بيتها وأن يستجاب لأمرها وطلبها ، وأمرها أن تتجمل لزوجها ، فإذا أمرها بشيء أطاعته ، وإذا نظر إليها أسرته ، وإذا غاب عنها حفظته ، وبذلك تصبح المرأة في بيتها هي صاحبة القرار الأول ، كما قال ﷺ : « **والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها** » .

وكذلك أمرها الإسلام أن تكون عنصراً فعالاً في المجتمع ؛ لأنها تصنع الرجال وتخرج الأجيال ، ولذلك يقال : « إن وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة » أمرها الإسلام أن تعمل ولكن في حدود بيتها، وعلى مستوى أفراد أسرتها وبنات جنسها؛ لأن الرسول ﷺ يقول : « **المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان** » . ولا شك أن المرأة التي تخرج من بيتها سافرة متبرجة ، فإنها قد جلبت على نفسها مفاسد كثيرة ، منها : أنها هتكت الستر الذي بينها وبين الله ، كما قال ﷺ : « **أيما امرأة نزعت ثوبها في غير بيت زوجها ، فقد هتكت ما بينها وبين الله من ستر** » ، وكذلك تخسر الجنة وتحرم من دخولها ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : « **ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** » .

ومن تلك الآثار السيئة التي تجنيها المرأة على نفسها بخروجها عن دائرة الحشمة والعفاف : أن تقع فريسة سهلة في حبال الشيطان ومزالقه ؛ لأن الرسول ﷺ يقول : « **ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما** » بل يتمثل الشيطان في صورة المرأة القذرة ، ويظهرها بمظهر جميل فاتن حتى لو كانت من أقبح

الناس ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : «**فإنها تقبل وتدبر في صورة شيطان**» .
كذلك يخشى عليها أن تقع في الفتنة : ﴿ **أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا** ﴾ [التوبة : ٤٩] ، فيخشى عليها أن تقع في الحرام؛ لأن الرسول ﷺ يقول : «**أيما امرأة استعطرت ، فمرّت على قوم ليجدوا ريحها ، فهي زانية** » . والمرأة في أصلها وفي طبيعة تكوينها ضعيفة مسكينة كما وصفها الرسول ﷺ بقوله : «**ناقصات عقل ودين**» ونتيجة لضعفها وقلة عقلها ؛ فإنها تقع فريسة سهلة لشياطين الإنس والجن ، ويتم استغلال عاطفتها استغلالاً سيئاً ، بحيث يوضع أمامها كثير من العوائق والفتن وهي لا تعلم عن ذلك شيئاً ، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : «**رفقاً بالقوارير ؛ فإنهن خُلقن من ضلع أعوج**» . ونتيجة لهذه الأسباب ؛ فقد حرص النبي ﷺ في يوم عرفة أن يحصن تلك القوارير بعناصر البقاء والاستمرار .

ثم ختم ﷺ حديثه في يوم عرفة بخبر عظيم وأمر جسيم :

[٦] حيث نعى إلى المسلمين قرب أجله ومصيره المحتوم، فقال لهم : «**أيها الناس، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**» بمعنى : ودّعوني أودعكم ، وأشهد الله أني قد بلغتكم رسالة ربي .عند ذلك علم الأذكياء أنها لحظة وداع يودعهم ، وعلموا أن الرسول ﷺ ينعى حياته الشريفة إلى الدار الآخرة ؛ ولذلك لـمّا أُعلن وفاته ﷺ في المدينة كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، أكثرهم صبراً وتجلداً ، وأقلهم صدمة وجزعاً ، وكان أكثرهم استعداداً لقبول هذا الأمر العظيم ، لماذا؟ .. لأنه فهم الدرس في يوم عرفة ، وفهم ماذا كان يرمي إليه النبي ﷺ من قوله : « **لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**» أما غيره من الصحابة الكرام ، فلم يستوعبوا هذه الحقيقة ، ولم يفهموا ذلك الدرس وتلك الإشارات التي كان يصدرها النبي ﷺ في يوم عرفة ، بل لم يكن في حسبانهم أن الرسول ﷺ سيموت في يوم ما ، أو أنه سيفارقهم ، ولم يفكر بهذا الأمر أحد البتة، غير أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يستعد لهذا اليوم العصيب ، وأما عمر رضي الله عنه ذلك الرجل الصلب ، الذي ما حنى رأسه في جاهلية ولا إسلام إلا لله ؛ فإنه في ذلك الموقف العصيب انهار

مباشرة ، وتملّكه الذهول والاستغراب ، ثم تحامل على نفسه ، وأخرج سيفه ، وأقسم بالله أنه ليؤدب كل من يقول : إن محمداً قد مات . حتى جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ودخل إلى حجرة النبي ﷺ فوجده قد فارق الحياة تماماً ، عندها خرج إلى الناس ؛ ليذيع الخبر الأكيد ، ويعلن وفاة النبي ﷺ ، ولكن عمر ما يزال على حاله من الذهول،لا يريد أن يصدّق هذا الخبر الأليم ، فيناديه أبو بكر: مهلاً يا عمر ، مهلاً يا عمر . ولكن هيهات هيهات ، عمر في ذاك الوقت لا يسمع ولا يجيب . فيتوجه أبو بكر إلى الناس ويقول : «أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي دائم لا يموت . ثم يقرأ من قوله تعالى : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)** ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

وحينما سمع عمر هذه الآيات لم يتمالك نفسه وصدم صدمة عنيفة ، وكأنه يسمعها لأول مرة في حياته ، فيقع على الأرض مغشياً عليه . وهكذا أعلن رسمياً وفاة النبي ﷺ ، وحينها فهم كثير من الناس ذلك المغزى ، وتلك الإشارات التي كان يشير إليها النبي ﷺ في يوم عرفة : «**لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا** ». نسأل الله عز وجل أن يجمعنا به في دار كرامته وجناته وفي مستقر رحمته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



عيد الأضحى

المقدمة الأولى

الله أكبر ما حج المسلمون بيت الله الحرام ، الله أكبر ما وقف الحجاج في عرفات الله خاشعين خاضعين لله الواحد الأنام ، الله أكبر ما طاف الحجاج والمعتمرون حول البيت الحرام،الله أكبر ما لبّى الملبون في مِنى وعند الركن والمقام، الله أكبر ما اشتاق الحجاج إلى الأهل والأوطان، الله أكبر ما رجعوا من ذنوبهم وقد بُدِّلت سيئاتهم إلى حسنات،الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد ، إله الأولين والآخرين، وقيّوم السموات والأرضين، ومالك يوم الدين : ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ④ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ⑤ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ⑥ ﴾ [النحل: ٤ - ٦] ، نحمده سبحانه حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، ونشكره عز وجل على توفيقه وامتنانه،ونشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له تعظيماً لشأنه، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فتح الله به أعيناً عمياً وآذاناً صمًّا ، وقلوباً غلفى ، فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . .

أما بعد :

أيها المسلمون ، إنكم في يوم أغر ، في يوم الحج الأكبر ، إنه لفرح عظيم في هذا اليوم العظيم ، أن يجتمع وفود الرحمن في مكة يؤدّون صلاة العيد في خشوع وخضوع لله رب العالمين ، ويشترك معهم المسلمون في شتى البقاع

ومختلف الأصقاع يؤدون صلاة العيد . وقد كان الحجاج بالأمس القريب على جبل عرفات يذلون أعناقهم لله الواحد الأحد،ويرفعون أصواتهم بشعار التوحيد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . ارتفعت تلك القلوب المؤمنة فوق تلك البقاع الطاهرة ، تركوا المال والأهل والأوطان ، وركبوا البحار اقتداءً بسيد الأنام ورسول الإسلام ، وتلبية لنداء إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) ﴾ [الحج:٢٧]، ففي هذه الآية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس ويدعوهم إلى حج بيته الحرام ، فقال إبراهيم عليه السلام: يا رب ، كيف يصل إلى الناس ندائي وصوتي لا ينفذهم ؟! ، فقال له : إنْ عليك إلا النداء وعلينا البلاغ . فقام إبراهيم على المقام ، وقيل على الحجر ، وقيل على الصفا ، ونادى بأعلى صوته : أيها الناس ، إن الله قد اتخذ بيتاً للحج فحجّوه . قيل : إن الجبال تواضعت أي صغرت حتى بلغ النداء أرجاء المعمورة ، وأسمع الله من في الأرحام والأصلاب ، وأجابه كل شيء حتى الحجر والشجر والمدر ، وما ذلك على الله بعزيز ، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون .

ذكرى وموعظة :

الله أكبر الله أكبر الله أكبر،أيها المسلمون،إن هذا العيد السعيد يأتي في نهاية كل عام مجيد ، ولم يبق منه إلا جزء يسير ؛ ولهذا يجب عليكم أن تحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل . فاعدوا لأنفسكم أيها المؤمنون جواباً قبل فوات الأوان ، قبل ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) ﴾ [الزمر:٥٦ – ٥٨] ، ولذلك

يرى النبي ﷺ أحد الصحابة يرمم داره ، فيقول له : «**يا هذا ، إن الأمر أقرب من ذلك** ».أي لا تتعب نفسك في الدنيا كثيراً، فإنك عنها راحل، ولأهلك مفارق .

إذن أيها المؤمنون ، والله لتذوقُنَّ الموت كما تذوقون الحياة ، ثم تعيشون حياة برزخية في قبوركم إلى يوم القيامة ؛ ولهذا ثبت أن النبي ﷺ جلس يوماً على شفير قبر ، فبكى حتى بلّ الثرى من دموعه ﷺ .

وجاء في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان إذا ذكر الجنة والنار فلا يبكي ، وإذا ذكر القبر يبكي طويلاً ، فقيل له : يا عثمان ، نراك تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتذكر القبر فتبكي ؟! فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**القبر أول منازل الآخرة ، فمن نجا منه كان بعده أيسر منه ، ومن لم ينج منه كان بعده أشد**» ، وسمعته أيضاً يقول :«**ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه**».
وهذا عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يروى أنه لـمّا صلى بالناس في يوم العيد ، مرّ على مقبرة في طريقه، فوقف عندها طويلاً وبكى بكاءً مريراً ،ثم أنشد يقول :

أتيت القبور فناديتها ... أين المعظم والمحتقر؟!
تساءلوا جميعاً فما مخبر ... وماتوا جميعاً ومات الخبر!
فيا سائلاً عن أناس مضوا ... أما لك فيما مضى معتبر؟!

فيا أيها المؤمنون ، ماذا أعددتم لمنكر ونكير؟ ، وماذا أعددتم لغربة القبور إلى يوم الدين ؟.

ليس الغريبُ غريبَ الشام واليمن ... إن الغريب غريب اللحد والكفن!
إن الغريب له حق لغربته ... على المقيمين في الأوطان والسكن
يوم القيامة لا مال ولا ولد ... وضمه القبر تنسي ليلة العرس

ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : «**إن للقبر ضمة لو نجى منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ** » وثبت في الحديث الصحيح أن الميت في قبره يسمع كلام

المشيعين له ويستأنس بهم ، كما جاء في حديث عبد الرحمن بن شماسة أنه : حضر عمرو بن العاص وهو في سياق الموت ، فبكى طويلاً ثم حول وجهه عنا ، فجعل ابنه يقول له : يا أبتاه ، ما الذي يبكيك وقد صحبت رسول الله ﷺ ، وجاهدت معه ؟!، فأقبل علينا بوجهه، وقال رضي الله عنه : « والله ، لقد ولينا ما ولينا ، ولا أدري ما الله صانع بنا ؟ ، فإذا أنا مت ، فلا تصحبني نائحة ولا نار ، فإذا دفنتموني فسنوا عليّ التراب سناً ، ثم أقيموا حول قبري ما ينحر به جزور ، ويقسّم لحمها حتى أستأنس بكم » رواه مسلم . الله أكبر لقد كان يخشى على نفسه من غربة القبر ووحشته وضمته ، ولا يريد أن يعيش وحيداً فريداً في قبره ، ولذلك أوصاهم أن يقفوا برهة من الزمن عند قبره لعله يستأنس بهم ويأمن بحديثهم . فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وأعدوا أنفسكم للرحيل ، فإن اليوم إمهال وغداً عسير: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) ﴾ [الصافات: ٢٤ – ٢٦] .

حوادث آخر الزمان :

الله أكبر الله أكبر الله أكبر . أيها المسلمون ، إنكم في هذه الأيام تعيشون في آخر الأزمان التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: « **لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة كشهر ، ويكون الشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ، وتكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كاحتراق السعفة** » رواه الترمذي ، وما تزال هذه الآيات،وهذه الفتن تترى على هذه الأمة ، وتموج كموج البحر ، كما بين ذلك النبي ﷺ في صحيح مسلم بقوله : « **بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ، ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل** » ولهذا أخبر النبي ﷺ بالأمور العظام التي ستكون من بعده ، حيث قال : « **إن هذا الأمر يبدأ نبوّة ورحمة** ،

ثم يكون خلافة ورحمة ، ثم ملكاً عضوضاً ، ثم كائناً جبرياً وعتواً وفساداً في الأرض، يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ويرزقون على ذلك» أي يتكسّبون في أرزاقهم بهذه المحرمات التي ذكرت، ثم قال ﷺ : «**إن من أشراط الساعة : ظهور المعازف،وشرب الخمور،وكثرة الشرط،والهمازون اللمازون ، وكثرة أولاد الزنا وتسليم الخاصة وشهادة الزور وكتمان الحق وفشوا القلم والتجارة ، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة**» رواه الترمذي ، ومنها ما حدّث به رسول الله ﷺ في مسند الإمام أحمد من قوله عليه الصلاة والسلام : «**إنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه**»، وهذا ما يحدث الآن في أمتنا، فقد شربت الخمور علانية،وظهرت الموسيقى والمعازف،وتعامل الناس بالمكس والربا ، الذي أصاب كل بيت من المسلمين اليوم ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «**ليأتينّ على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره**» رواه أبو داود وابن ماجة.

وقد أشار النبي ﷺ إلى كثير من الآيات والأحداث في آخر الزمان ، والتي منها : سهولة المواصلات ، وتقارب الزمان ، بحيث تقصر المسافات بين المدن والقرى والأسواق ؛ نتيجة لابتكار وسائل المواصلات والاتصالات ، كما جاء في الآية الكريمة : ﴿ **وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ** ⟨٨⟩ ﴾ [النحل: ٨]، وفي آية أخرى ﴿ **وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ** ⟨٤٢⟩ ﴾ [يس: ٤٢] ، أي أن هذه السيارات والطائرات وجميع وسائل النقل والمواصلات هي المقصود من قوله تعالى: ﴿ **وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ ولهذا جاء في الحديث : «**ويركبون المياثر**» والمقصود بها السيارات بمفهوم العصر ،كما جاء في الحديث الذي رواه الحاكم في مستدركه من قوله عليه الصلاة والسلام : «**سيكون في آخر أمتي أقوام يركبون على السرج كأشباه الرحال ، ينزلون بها على أبواب**

المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

إذن أيها المسلمون: خذوا حذركم من هذه الآيات التي تنزل بالمصائب والمحن، وإياكم والفتن التي تفتن القلوب والأبدان ، قال تعالى : ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾ [محمد ـ ﷺ ـ : ١٨] ، أي ظهرت علاماتها وأماراتها .

مظاهر الأخوة الإسلامية :

إذن أيها المسلمون نحن في هذا اليوم محتاجون إلى الإحساس بهذه الأخوة الإيمانية، و أن تلامس شغاف قلوبنا ومشاعرنا : لأن فيها مزيداً من الرحمة والحنان والعطف والإحسان، عندما تزور أخاً ، أو تعود مريضاً، أو تساعد فقيراً ، أو تشبع جائعاً ، أو تكسو عارياً : فإنك بذلك تنال أجراً عظيماً ، يثبت ذلك ما رواه الترمذي في سُننه أن رسول الله ﷺ قال : « **من عاد مريضاً أو زار أخاً في الله ناداه مناد : أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً** » ، وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه : « **أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد؟ ، قال : أريد أخاً لي في قرية كذا وكذا . قال : وهل لك عليه من نعمة تربها ـ أي هل قدم لك معروفاً تجازيه ـ قال : لا ، غير أني أحببته في الله . فقال ذلك الملك : إن الله عز وجل قد أحبك كما أحببته فيه** » .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر . أيها المسلمون ، إنه لحدث عظيم وفرحة عظيمة في هذا اليوم الأغر ، أن يجتمع المسلمون في شتى البقاع ومختلف الأصقاع ، جنباً إلى جنب، يؤدون صلاة العيد في خشوع وخضوع لله رب العالمين ،

ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، تلك الأخوة والمحبة التي نريدها في هذا اليوم والتي أشار إليها النبي ﷺ بقوله : «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» ولذلك يحس المسلمون أنهم في هذا اليوم لُحمة واحدة،عندما يقفون صفاً واحداً لا فرق بين غنيهم وفقيرهم، وأبيضهم وأسودهم إلا بالتقوى ، كلهم لآدم وآدم من تراب ، يجسّدون في هذا اليوم معنى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٢] ، إن هذه الأخوة التي نريدها أن تسود في هذا اليوم ، وأن تكون شعاراً واحداً للمسلمين:﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات:١٠]، نريدها أن تكون في سبيل الله ، كما قال ﷺ : «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله ، والحب في الله والبغض في الله**» ، وعليه من أراد أن يذوق طعم الإيمان فليذق أولاً معنى قوله ﷺ : «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرأ لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**».

وبهذه الأعمال البسيطة والمشاعر الطيبة ، يمكن لك أن تحسن إلى إخوانك المسلمين ، أو تقدم لهم معروفاً أو خيراً ، حتى لو كنت فقيراً ، أو ليس عندك مالاً ، فلا تبخل عليهم ولو بكلمة طيبة كما قال ﷺ : «**لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق** » وفي رواية أخرى «**بوجه طليق** » .

مظاهــر الأذى للمسلمين :

وأخيراً لو كنت بخيلاً ، أو أنانياً تحب نفسك أو مصلحتك الشخصية ، أو ليس عندك رغبة في خدمة إخوانك المسلمين ؛ فما عليك إلا أن تكف أذاك عنهم ، وإياك أن تسيء إليهم ، أو تمسهم بسوء ؛ لأن الله عز وجل قد حذر من

ذلك أشد التحذير ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب : ٥٨] ، ولهذا فإن الرسول نفى عنهم كمال الإيمان ، حيث قال : « **والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن** ،قيل من يا رسول الله : **قال : من لا يأمن جاره بوائقه**» أي شروره. وقال في حديث آخر : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم فلا يؤذي جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**» ولكن بعض المسلمين الغوغاء ، والذين فقدوا صفة الأخلاق والحياء ، فإنهم قد ألفوا أذية المسلمين وإلحاق الضرر بهم ، وحبب إليهم ذلك ، والرسول ﷺ يقول : «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**» بمعنى أن الذي يستخدم هذا الأسلوب العنيف مع إخوانه المسلمين لا يستحق أن يكون منهم ، وقد أصبح عنصراً فاسداً في جسد الأمة ؛ لأنه يعتدي عليهم :

[١] **بلسانه ويده :** فيضرب هذا ويشتم هذا ويسب هذا ، حتى يفقد نصيبه من الخير والحسنات ، فيخسر بذلك الدنيا والآخرة ، كما قال ﷺ : «**من الناس من يعمل أعمالاً مثل الجبال ، أو مثل جبل تهامة ، ثم يأتي يوم القيامة وقد شتم هذا ، وسب هذا ، وأخذ مال هذا ؛ فيأخذ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، حتى لم يبق منها شيء ، فيأخذ من سيئاتهم ، ثم توضع عليه ، ثم يطرح في النار**» . وأخطر من ذلك كله أن يستخدم يده في أذية المسلمين ، كأن يضربهم ، أو يقتلهم ، أو يسلب حقوقهم ؛ ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : «**ما يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً** » . وأوَّل الدماء التي يحكم الله فيها يوم القيامة دماء المقتول كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي في سُننه ، أن الرسول ﷺ قال : «**يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة وناصيته بيده وأوداجه تشخب دماً ، فيقول : يا رب سل هذا فيما قتلني ؟ حتى يدنيه الله عز وجل**» يريد هذا أن يعرف السبب : لماذا قتله ؟! ،

ولماذا أزهق روحه البريئة الطيبة ؟! ، ولماذا استخدم يده القذرة في قتل نفس كريمة مصانة ؟!.

وهناك أنواع أخرى من الأذى قد تكون باليد أو اللسان وما أدراك ما اللسان، وهي التي حذّر منها رسول الله ﷺ بقوله: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، لا يلقي لها بالاً ، تهوي به في نار جهنم ما بين المشرق والمغرب**» ولهذا قال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**كف عليك هذا**».فقال معاذ رضي الله عنه:وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله ؟، قال: **ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم ، أو قال على مناخرهم ، إلا حصائد ألسنتهم**» . وإذا كان الإنسان يعتدي على إخوانه بيده ويأكل لحومهم بلسانه فهو يعتبر من أظلم الناس :

[٢] كما في الغيبة والنميمة : التي عرفها رسول الله ﷺ بقوله : «**أتدرون ما الغيبة ؟** قالوا : الله ورسوله أعلم . **قال : هي ذكرك أخاك بما يكره** . قيل : إن كان في أخي ما أقول؟، **قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**» هذا بالنسبة لو كان حيًّا ، وأما إن كان ميتاً فيلزم من باب أولى ألا تسبه، ولا تذكره بسوء؛ امتثالاً لقول الرسول ﷺ :«**لا تسبوا الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا** » رواه البخاري ، وحينها يلزمك في هذا المقام أن تذكر محاسنه الطيبة ، عسى أن يشفع له الملائكة عند ربهم كما قال ﷺ : «**إن الملائكة يؤمّنون فقولوا خيراً** » .

ومن الآفات التي مزقت أواصر الأخوة والمحبة بين المسلمين،هي النميمة، وهي من أخبث وسائل الشيطان في نقل الكلام بين الناس ؛ لغرض الإفساد ، وإشعال الفتن والحروب فيما بينهم ، وهي التي كانت سبباً في نشر العداوة والبغضاء بين المسلمين . ونتيجة لهذا العمل الشنيع الذي تسببه النميمة ، فقد رتب عليها أشد العقوبات، حيث قال ﷺ : «**لا يدخل الجنة نمّام**» ، وجاء في الصحيحين من

حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين يعذبان ، فقال : «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس في النميمة** » .وكذلك من صور الأذى التي لحقت بالمسلمين :

[٣] **اللعن والشتم والسبيبة :** وهذا خلق سيئ قبيح ، ومن صفات الجاهلين والكافرين ، ولا يجوز لمسلم أن يلعن أخاه المسلم؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «**ليس المؤمن بلعان ولا طعان ولا فاحش بذيء**» وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً » والفاحش : هو الذي يكون قد تأصل فيه الفحش ، وأصبح سجية له ، وأما المتفحش : فهو الذي يتكلف الفحش ، ويتعمده في أخلاقه وسلوكه .

فعلى المسلم أن يتجنب هذه الخصال الذميمة مع الناس ومع أسرته وأبنائه ، ولكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، إذ يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : « خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لي : أف قط . ولا قال لشيء فعلته : لمَ فعلته» ، فقد كان ﷺ يعامل أصحابه بالرفق واللين وبالأخلاق الحسنة ، كما وصفه ربه بقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] ، ولكن بعض المسلمين اليوم بلغوا درجة عالية في اللعن والشتم والسب لإخوانهم المسلمين ، حتى وصلوا إلى درجة عالية في القبح ، والله عز وجل يقول : ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿٢٤﴾ ﴾ [النور: ٢٤]، وقد حرم الإسلام كل أنواع الأذى التي تصيب المسلمين في أبدانهم وأخلاقهم وسلوكهم، ومنها :

[٤] **الكبر والغرور، والسخرية والاستهزاء، واحتقار المسلمين** من خلال صورهم وأقوالهم وأفعالهم ، بأن يقال : هذا أحول ، وهذا أعور ، وهذا أصلع . أو يكون الاستهزاء والاحتقار في ملبسه أو مهنته ، بأن يقال : هذا فرّاش ، أو حلاّق ، أو قصّاب . وبعض المسلمين يحتقرون إخوانهم المسلمين ؛ لأنهم فقراء ،

أو ليس عندهم تجارة أو وظيفة أو مال ، ولذلك فلا أحد يدعوهم ، أو يذكرهم ، أو يزورهم في المناسبات والأعياد ، وهنيئاً لهم قول الرسول ﷺ : « **إن الله يحب من عباده الأخفياء الأتقياء ، الذين إذا حضروا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفقدوا ، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم** » . وقد يكون هؤلاء المحتقرون عند الناس ـ والذين لا قيمة لهم في نظر الناس ـ من أفضل الخلق عند الله، ومن أوليائه الصالحين ، كما قال ﷺ : «**رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره** » أما أولئك المجرمون والمتكبرون ، والذين يفتخرون على إخوانهم المسلمين ، فإنهم كما جاء وصفهم في الحديث : «**يأتون يوم القيامة كأمثال الذر يطؤهم الناس بأقدامهم**» ويحرمون كذلك من دخول الجنة كما قال ﷺ : «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثال ذرة من كبر** »، وقال في حديث آخر رواه أبو داود وأحمد : «**لا يدخل الجنة الجوّاظ ، ولا الجعظري**» ومعنى الجواظ : هو الغليظ الفظ ، والجعظري : هو المختال المتكبر والمتشبع بما ليس فيه ، وخير لهذا الإنسان أن يعيش حياته متواضعاً لله ، رحيماً بإخوانه المسلمين حتى يشمله ما جاء في هذه الآية الكريمة : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)** ﴾ [القصص : ٨٣] .

كذلك من صور الأذى لإخوانك المسلمين :

[٥] أن تكشف عوراتهم بإظهار عيوبهم وزلاتهم،وأن تتجسس عليهم في أسرارهم ومقاصدهم . وهذا ليس من صفات المؤمن الحق ، أن يكون دائم الشك في إخوانه المسلمين ، ويسيء الظن بهم ، سواء كانوا من أهله أو أقاربه أو جيرانه أو زملائه ؛ لأنه يرتكب بذلك إثماً وقطيعة، والله عز وجل يقول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا** ﴾ [الحجرات : ١٢] ، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «**إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تباغضوا ولا تحاسدوا**

وكونوا عباد الله إخواناً » ومعنى قوله : « **وَلاَ تَجَسَّسُوا** » مأخوذ من التجسس ، ويؤخذ منه الجاسوس : وهو ذلك الشخص الذي يتبع عورات المسلمين ، ويبحث عن عيوبهم وأسرارهم وزلات أقوالهم وأفعالهم ، ولهذا ورد نهي شديد عن التجسس على المسلمين وكشف عوراتهم ؛ لأن «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون** » ، ولا يسلم من الخطأ إلا المعصومون كالأنبياء والمرسلين . وعليه نقول : كيف ترمي بيوت الناس وبيتك من زجاج ؟! ، ولهذا أخبر الرسول ﷺ أن الله سبحانه وتعالى يفضح الجاسوس في قعر داره كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه في بيته** » ، وفي رواية أخرى : «**في قعر بيته**» . وحسماً لهذه المسألة وقطعاً لدابر المرجفين والأفاكين ، الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، فقد شُرع التعزير في حقهم بإقامة الحد عليهم كما في قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** (٤) ﴾ [النور: ٤] .

انتشار الظلم في المسلمين :

الله أكبر الله أكبر . أيها المسلمون ، اعلموا أنكم في يوم أغر يغرس فيه عناصر الأخوة والمحبة بين المسلمين ، ويخسأ فيه أولئك الظالمون والمجرمون الذين عاثوا في الأرض فساداً ، ونشروا الظلم والعدوان في بلاد المسلمين ، ولقد تمادى أولئك الظالمون في ظلمهم،حتى صار كثير من الناس اليوم كالوحوش الضارية في غابة سوداء،ولذلك نرى أن الأقوياء قد استأثروا على إخوانهم الفقراء، ومارسوا عليهم مظالم شتى في حياتهم وأرزاقهم ، وسلبوا شيئاً من كرامتهم وحقوقهم وأعراضهم ؛ ولذلك لا تجد مكاناً أو موضعاً على هذه البسيطة إلا وفيه مظلوم

يتأوه ، قد ناله الشيء الكثير من ظلم الظالمين وفساد المفسدين ، ولهذا نسمع ونرى في مجتمع المسلمين صوراً من الظلم ، فمنها :

[١] أخ يظلم أخاه ، وجار يظلم جاره : بأن يأخذ حقه ، أو يغتصب داره ، أو يسلب كرامته ، أو ينتهك عرضه ، بأن يعتدي عليه وعلى أولاده ، وهذا مع الأسف الشديد ما نراه اليوم يحصل في بلاد المسلمين ، وكم سمعنا أن جاراً قتل جاره أو سفك دمه أو انتهك عرضه ! بينما رسولنا عليه الصلاة والسلام يقول : «**والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن** ، قيل من يا رسول الله ، **قال : من لا يأمن جاره بوائقه**» أي شروره ، وذكروا للنبي ﷺ أن امرأة تصلي كثيراً ، وتصوم كثيراً ولكنها تؤذي جيرانها ، فقال : «**هي في النار**» رواه أحمد والبزار وابن حبان وفي الصحيحين أن النبي ﷺ سئل :« **أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك** ! ، قيل : ثم أي ؟ ، **قال . أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك** ! قيل : ثم أي ؟ ، **قال : أن تزاني حليلة جارك** » . وكذلك من صور الظلم الذي يعيشه المسلمون في حياتهم :

[٢] ظلم الأغنياء للفقراء ، باستغلال حاجتهم وفقرهم : ولقد رأينا بعض الأغنياء من يأخذ حق إخوانه المساكين بالقوة والإكراه ؛ لأنه ذو مال أو جاه أو سلطان ، ومن الظالمين من يعتدي على الفقراء والمساكين بضربهم أو سبهم أو إهانتهم ؛ لأنهم فقراء لا يجدون ناصراً إلا الله ، ومنهم من يستغل حاجتهم ، ويفعل معهم المنكرات ؛ استغلالاً لحاجاتهم وفقرهم ، واستخفافاً بعقولهم . وكم سمعنا أن غنياً ظالماً مارس الفاحشة مع امرأة فقيرة ؛ لأنها في حاجة ماسة ، ثم أعطاها شيئاً زهيداً من المال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ! .

وكذلك من الصور الظالمة التي يمارسها بعض المتنفذين على هذه الأمة :

[٣] ظلم الحكام لشعوبهم . وهذا سائد ومنتشر في بلاد المسلمين ، فالشعوب الآن تئن وترزح تحت ظلم حكامها ، يمارسون عليها أبشع الجرائم والاضطهاد ،

ويسلبون كرامتها،وينهبون ثرواتها تحت حجج واهية أو هي من بيوت العناكب ، بينما نحن في هذه الأمة ، وفي هذا الظرف الحرج من تاريخ أمتنا نحتاج إلى حكام يملكون التقوى والإيمان ، وينشرون العدل والسلام بين الناس ، نريد حكاماً كأمثال أبي بكر ، وعمر الذي كان يخشى أن يظلم أحداً من رعيته ، فيقول : «لو أن بغلة تعثرت في العراق لخشيت الله أن يسألني : لمَ لم تسوِّ لها الطريق يا عمر» ، وخرج في ليلة من الليالي يتفقد أحوال رعيته : هل هناك جائع ؟ ، هل هناك مريض ؟ ،هل هناك مظلوم فينتصر له ، وإذا به يرى في مكان بعيد ضوءاً أو ناراً خافتة ، فيقترب منها ، فإذا هي امرأة مسكينة عندها أطفال صغار يتضاغون من الجوع ، وهي تضع لهم أحجاراً على تلك النار ، تلهّيهم وتشغلهم بها حتى يناموا ، ولـمّا اقترب منها عمر قال لها : وما الذي جاء بك إلى هذا المكان ، وفي هذه الساعة المتأخرة يا امرأة ؟ قالت : ما ترى منَ حالنا . فقال لها : وأين الخليفة عمر من حالكم ؟ ، فقالت : قاتل الله عمر ، يتولى أمر المسلمين ولا ينظر في حاجتهم ؟ ، عند ذلك ارتعدت فرائص عمر رضي الله عنه ، وقال لها : يرحمك الله وما يدري عمر بحالكم ؟! ، فقالت : كيف يتولى أمرنا ولا يعلم عن حالنا ؟! ، عندها بكى عمر بكاءً شديداً ، وعلم أنه مسئول عن هذه الأمة بأجمعها ، وأن هؤلاء جميعاً سيتعلقون برقبته يوم القيامة . فذهب مسرعاً إلى بيت مال المسلمين ، وأخذ كيساً من الدقيق ، ثم وضعه على عاتقه ، فأراد خادمه ميسرة أن يحمله عنه ، فقال : عنك يا أمير المؤمنين . فقال عمر رضي الله عنه : إليك عني فإنك لن تحمله عني يوم القيامة . ثم ذهب به إلى تلك المرأة وأولادها ، وأصلح لهما الطعام ، ولم يذهب من عندهم إلا وقد شبعوا جميعاً . عند ذلك أرادت المرأة أن تشكر هذا الرجل الذي قدم لها معروفاً ، فقالت له : إذن أنت خير من عمر – وهي لا تعلم أنه عمر – فقال لها : قولي خيراً يا امرأة ، يغفر الله لعمر ، ليته ينجو بنفسه كفافاً يوم القيامة . ثم انصرف من عندها وهو يخشى أن تقدم شكواها

إلى الله ، فيسأله يوم القيامة عنها : لماذا في رعيتك امرأة جائعة يا عمر ؟! ، لماذا في رعيتك أطفال صغار يتضاغون من الجوع ؟! .. أما اليوم فشعوب بأكملها تُباد وتموت من الجوع، ولا أحد يحس بهم أو يخفف شيئاً من آلامهم وأحزانهم ، أو حتى يسمع لنداءاتهم واستغاثاتهم ! .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

المقدمة الثانية

الله أكبر ما نطق بذكره لسان ، الله أكبر عدد الإنس والجان ، الله أكبر كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ، الله أكبر ولمن خاف مقام ربه جنتان ، الله أكبر فيهما عينان نضاختان ، الله أكبر فبأي آلاء ربكما تكذبان ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

الحمد لله حمداً كثيراً ،وسبحان الله بكرة وأصيلاً، لا إله إلا الله لا شريك له ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، نحمده سبحانه حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، ونشكره عز وجل على توفيقه وامتنانه ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من أرسله في العالمين أجمعين ، فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد أيها المسلمون :

نحن في يوم أشرقت فيه الأرض بهجة ونوراً ، وامتلأت به القلوب فرحاً وسروراً ؛ لأن المسلمين في هذا اليوم ينشرون بذور الرحمة فيما بينهم ، ويعانق بعضهم بعضاً،وهناك عادة طيبة في هذا اليوم يجب أن نشيد بها،ونحث عليها ، وهي صلة الأرحام التي ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿ **وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﴾ [الأنفال:٧٥]،ولهذا فإن الرحم تصعد إلى السماء، وتستعيذ بالله من القطيعة، فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**الرحم معلقة بالعرش ، تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله**» وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . فقال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذاك لك**»

ثم قال ﷺ: «اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣) ﴾ [محمد: ٢٢ ، ٢٣] ، ولهذا السبب فقد كانت الرحم من آخر الوصايا التي أوصى بها النبي ﷺ أمته ، حيث قال : «**أرحامكم أرحامكم**» رواه بن حبان ، وقد كانت الرحم هي السبب في دخول الجنة أو الخروج منها ، كما قال ﷺ : «**لا يدخل الجنة قاطع**» وفي رواية أخرى : «**قاطع رحم**» رواه البخاري ومسلم ، وكذلك هي السبب في زيادة الأعمال والأرزاق ، كما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال ﷺ : «**من سرّه أن يُبسط له في رزقه ، ويُنسأ له في أثره ، فليصل رحمه**» وجاء في الأثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً : «**من سره أن يمد الله في عمره ، ويوسع له في رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء ؛ فليتق الله ، وليصل رحمه**» .

أنــواع الرحــم :

وقد يسأل سائل : من هم الأرحام الذين تجب صلتهم؟ ، ومن هم الذين يستحقون الأولوية على غيرهم ، ولهم المقام الأول من بينهم جميعاً ؟ فإذا أردنا أن نعرف هذه المسألة ، ونجيب على هذه التساؤلات ؛ فلنستمع أولاً لحديث الرسول ﷺ وهو يقول : «**...أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أبوك**» يظهر من خلال هذا الحديث مدى أهمية الوالدين حتى لو كانا كافرين ، فالله عز وجل يقول : ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان : ١٥] ،وعليه يجوز لك أن تصلهما في حال كفرهما،كما ورد في حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : «قدمت أمي من مكة إلى المدينة وهي مشركة ، فقلت: يا نبي الله ، إن أمي أتت راغبة ، أفأصلها ؟ ، **قال : نعم صليها**» وكذلك الزوجة والأولاد من أحق الناس بصحبتك وصلتك، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «**من عال ابنتين أو ثلاثاً ،**

أو اختين أو ثلاثاً حتى يبنّ أو يموت عنهن ؛ كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» ثم بعد ذلك يلزمك صلة الأقرب فالأقرب، عملاً بقول الرسول ﷺ : **«أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أبوك ، ثم أدناك ،أدناك »** رواه مسلم، الشاهد من الحديث قوله ﷺ : **«أدناك ، أدناك »**.

وأخيراً : تعم هذه القرابة حتى تصل إلى كيان الأسرة أو القبيلة والعشيرة ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** (٢١٤) ﴾ [الشعراء : ٢١٤] ، يقول أبو هريرة رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية : دعا رسول الله ﷺ جميع أهل مكة ، وعلى رأسهم سادات قريش وكبراؤها ، ثم بدأ يناديهم بأسمائهم التي تغرس فيهم مبدأ القرابة وصلة الأرحام ، فكان يقول : **«يا بني كعب ، يا بني عبد مناف ، يا بني هاشم ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد ، أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً »** ، بمعنى أنه لا يستطيع أن يرد عنهم شيئاً من عذاب الله ، ولكن صلة الرحم وحسن الجوار هي التي جعلته ينذر قومه وعشيرته الأقربين ؛ ولذلك جاء في آخر الحديث : **«غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها »** أي سأقوم بواجبي نحوها ، حتى لو تخليتم عني وعن قرابتي .

أنــواع صلــة الأرحـــام :

ولهذا فقد يسأل بعض الناس ويقول: كيف أصل أرحامي ؟،وكيف أبرّهم ، وأشعر أني قد أديت واجبي نحوهم ؟ ، وهذا أمر يسير لمن وفقه الله إلى هذا الأمر العظيم ، الذي يلزمك على إثره أن تحسن إلى أرحامك وأقاربك ، ثم الذين يلونهم ، ثم يلونهم ، فينبغي عليك أن تزورهم وتمنحهم شيئاً من عطفك وحنانك ، وأن تشعرهم بحبك ومودتك ، وأن تزورهم في الأعياد والمناسبات ، وعند حدوث المصائب والأمراض والبليات ؛ عملاً بقول الرسول ﷺ : **«خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي»** ، وكذلك من أعظم الواجبات في صلة

الأرحام: أن تصلهم بالمال إن كانوا محتاجين أو فقراء؛ عملاً بقول الرسول ﷺ : «**الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم صدقة وصِلَة** » رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة، وفي هذا دليل على أن الصدقة على الأقارب أفضل وأولى من غيرهم من الأجانب؛ لأن النبي ﷺ أمر أبا طلحة أن يجعل صدقته في الأقربين حيث قال له : «**اجعلها في قرابتك** » .

وكذلك من الأمور التي تساعد على صلة الأرحام : عدم الإضرار بهم أو أذيتهم ، بل يجب إعفاؤهم والتجاوز عن سيئاتهم وأخطائهم ، وينبغي علينا أن نتأسى برسول الله ﷺ وهو يدخل مكة عام الفتح ، فقد كان يريد أن يبطش بهم جراء ما فعلوه بالمسلمين ، لكنه تذكر صلة الأرحام ، وأن له في مكة ، نسباً وصهراً ، فقال : « **يا أهل مكة ، ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم** . ذكروه بصلة الأرحام ، وأنهم ينشدون فيه الرحمة والمغفرة ، فقال ﷺ : « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** ».

وكذلك نرى هذه الروح الطيبة ، ومدى أهمية الأرحام في حياة الرسول ﷺ نرى ذلك عندما أصيبت قريش سنة كاملة حتى كادوا أن يهلكوا جميعاً ، فجاء إليه أبو سفيان يناشده الرحم، ويتوسل إليه أن يدعو لهم بدلاً من الدعاء عليهم ، فاستجاب النبي ﷺ لطلبهم نزولاً عند رغبتهم ، وطمعاً في إيمانهم ، أو لعلهم أن يستفيدوا من قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء : ٦٤] ،لقد كان النبي ﷺ يجد من أهله وعشيرته الأقربين أشد الأذى، ومع ذلك كان يحسن إليهم ويرفق بهم؛ عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يقول : لا إله إلا الله، وهكذا حال كثير من المسلمين اليوم قد تحسن إليهم الدهر كله ، ولكنهم مع ذلك يجهلون عليك ، ويقابلون الإحسان إليهم بالسيئة والخسران . ولكن ، لا بأس عليك ، فقُدوتك في هذا محمد ﷺ ، الذي واجه أنواع الأذى من قومه

وعشيرته ، ومن أقرب الناس وأحبهم إليه ، ومع ذلك نعلم أن بعض المسلمين ، من ذوي القربى والأرحام قد يتألمون من أقاربهم الذين بالغوا في هجرهم ، وتركوا الإحسان إليهم ، فيشتكى بعضهم ويقول : أحسن إليهم وهم يسيؤون إليّ . فهذا الرجل وأمثاله إن كان صادقاً فيما يقول ، فليقرأ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيؤون إليّ ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ ؟! ، فقال : « **لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك** » والملّ : هو الرماد الحار .

ابتـــلاء الذبح في يـــوم العيـــد :

الله أكبر الله أكبر ، أيها المسلمون ، اعلموا أن في هذا اليوم العظيم حصل ابتلاء عظيم لإبراهيم عليه السلام ، حيث أمره الله عز وجل أن يذبح ولده الوحيد وقرة عينه إسماعيل عليه السلام ، اختباراً وامتحاناً حتى يكون من المخلصين الموقنين ، فامتثل أمر ربه طائعاً ، وخرج بابنه مسارعاً ،وقال له : ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ** ﴾ [الصافات : ١٠٢] ، الله أكبر ، إنه بلاء وأي بلاء ، ولدٌ صغير يأمر الله أباه في الكبر أن يذبحه وهو لم يذنب ، ولم يرتكب إثماً ولا جريمة قط ، ومع ذلك لم يتساءل الولد ولم يقل : يا أبتي ، لماذا تقتلني ؟! وبأي ذنب أقتل ؟! يا أبتي ، ما هي الجريمة التي اقترفتها ؟! يا أبتي ، أنا إنسان بريء لم أرتكب إثماً ولا جريمة قط ! كلا ، لم يتساءل أبداً ، لماذا ؟ لأنه تربى على الإيمان تربى في بيت النبوة ، وكان يعلم أن التسليم بقضاء الله وقدره مقدم على كل شيء ، حتى لو كان فيه إزهاق روحه ، وتعريض نفسه للموت والفناء، أما إبراهيم عليه السلام فكان لا يختلف كثيراً عن ولده إسماعيل عليه السلام ، بل كان أشد ألماً وحيرة ، وأعمق تفكيراً ، وكان في موقف لا يُحسد عليه ، كيف يقتل ولده الصغير الذي

تربى في حجره ، وترعرع بين يديه ، وأصبح الآن شاباً يافعاً قد تملكه الحب إلى شغاف قلبه ، ينظر بعين الرحمة وعاطفة الأبوة ، ويحن إليه شوقاً وإشفاقاً ، ولكن إسماعيل عليه السلام فاق كل التوقعات ، وكان أكبر من ذلك بكثير ، وكان رجلاً يحمل نفوس الكبار في مواقف الرجال ، وتولى الرد بنفسه عن نفسه ، فقال : ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢]، الله أكبر لقد نزل هذا الجواب على أبيه برداً وسلاماً،وأعطاه دفعة وشحنة إلى الأمام، عندها امتثل إبراهيم عليه السلام أمر ربه،وعمل بنصيحة ولده إسماعيل عليه السلام ، وأخذ السكين بيده ، فادركته رحمة ربه أرحم الراحمين ، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) ﴾ [الصافات: ١٠٣ - ١٠٧] ، إن هذه المنزلة درجة عالية في الاختبار والامتحان،لا يبلغها إلا الصادقون المخلصون ، الذين ضحّوا بكل شيء - حتى بأنفسهم - في سبيل الله .

الأضحيـــة وأحكامهـــا :

ومن خلال هذه الحادثة ، وعلى إثرها شرعت سُنَّة الفداء والأضحية ، وكان أول من سنها إبراهيم عليه السلام، وأحياها بعد ذلك محمد ﷺ حيث ضحى بكبشين أملحين أقرنين : الأول عنه وعن أهل بيته ، والثاني عن فقراء أمته إلى يوم الدين ، وكان من هديه ﷺ اختيار الأضحية ، واستحسانها ، وسلامتها من العيوب ، وكان لا يضحي بالعمياء و العوراء ، ولا العرجاء ، والعجفاء ، ولا مقطوعة الأذن والذنب ، ولا مكسورة القرن ، ويجوز من الضأن ما له ستة أشهر ، ومن الغنم ما له سنه كاملة ، ومن البقر ما له سنتان ، ومن الإبل ما له خمس سنين ، ويكفي عن الرجل وأهل بيته شاة واحدة ، وتقسم البدنة إلى سبعة أسهم بما يعادل سبعة شياه ، وكذلك من السُّنَّة أن يذبح الإنسان بيده ويقول :« بسم الله ، الله أكبر ،

اللهم إن هذا منك ولك » ويجوز له أن ينوب وكيلاً عنه إن كان عاجزاً ، أو ليس عنده خبرة في هذا المجال ، ويسن له أن يقول : « بسم الله ، الله أكبر ، اللهم إن هذا عن فلان »، ويجوز له أن يقسم ذبيحته إلى ثلاثة أقسام ، منها : ثلث يتصدق به ، وثلث يهديه ، وثلث يأكل منه ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ [الحج: ٨٢] .

وختاماً :

نسأل الله عز وجل أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال في هذا اليوم السعيد، الذي يسعد فيه المسلمون جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أفـــراح الأضـــحى

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . .

أما بعد... أيها المسلمون:

إننا في هذه الأيام ، نعيش أيام فرح وسرور، بعد أيام خلت في طاعة ربنا المعبود ، فلقد كنا في الأيام السالفة من هذا الشهر المبارك ، نستقبل أيام العشر المباركة ونخصها بمزيد من الطاعة والإنابة والعبادة ، ثم تلاها موسم الحج إلى بيت الله الحرام، فهناك من ذهب إلى تلك الديار المقدسة،لأداء تلك الرسالة الخالدة، ثم سيعود أولئك عمّا قريب ، إلى أهليهم وأوطانهم بإذن الله فرحين مسرورين ، وهناك من المسلمين من حرم الذهاب إلى هناك ، إلى بيت الله الحرام ، لأسباب صحية أو مادية،أو غير ذلك من الأسباب والمعوقات،ولذلك شرع لهم الصيام في يوم عرفة ، تعويضا لهم وجبراً لخاطرهم ، لأنه يكفر سنتين كما قال ﷺ : «**يُكفِّر السنة الماضية والسنة الباقية**»، ثم تلاها بعد ذلك عيد الأضحى، الذي يضحي فيه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، إقتدائًا بالرسول ﷺ، ومشاركة لإخوانهم الحجاج الذين ينحرون هداياهم في مِنى، في ذلك اليوم العظيم.

ونحن الآن أيها الإخوة: مازلنا نعيش معهم هذه الأفراح الموسمية ، في هذه الأيام المباركة من أيام العيد المبارك ، وإنها لفرحة عظيمة ، أن يستغل المسلمون هذه الأيام المباركة في تحقيق السعادة لأنفسهم وأمتهم ، لأن بعض الناس قد يظنون أن السعادة في هذه الأيام: تكون بالإكثار من الشهوات والملذات ، أو تكون بالاستغراق في الفواحش والآثام والمنكرات ، فهؤلاء كلا ، لن يجدوا طريق

السعادة التي ينشدونها في أيام العيد ، لأن أفراحهم فى معصية الله ، فأعرضوا عن ذكر الله وعن الصلاة ، والله عز وجل يقول : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه : ١٢٤] .

أوهــام السعــادة :

إن هناك أوهامًا للسعادة يعيشها كثير من الناس اليوم ، إذًا فليس السعيد من أدرك العيد أو يفرح بأيام العيد ، فقد تكون هذه الأيام وبالاً على أصحابها ، فيا لله : كم سمعنا أن أناساً خرجوا من بيوتهم يترفهون ويتنزهون في أيام العيد ، ثم لم يعودوا إلى أهليهم ومساكنهم إلاَّ وقد حملوا على الأكتاف موتى،لا يدرون بأي واد هلكوا ، وبعضهم خرج من بيته فرحًا مسروراً ، وعاد إليها بعد أيام أو ساعات، وقد بدلت أفراحه إلى أحزان وسعادته إلى أوهام ، فهناك من الناس من يعيشون الأوهام في حياتهم،ويظنون بذلك أنهم يعيشون حياة السعداء، فيبحثون دائما عن المثير والغريب في عالم عجيب، ولهذا تجد بعضهم يحلمون بحياة سعيدة ، فمرة يحلمون بالجاه والسلطان، ومرة يحلمون بالمال ، ومرة يحلمون بزوجة حسناء، وما علموا أنها حياة دنيئة وسعادة وهمية، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة:٥٥] ، ويقول في آية أخرى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾.
[سبأ : ٣٧] .

فالمال قد يكون سببًا في هلاك الإنسان وليس في سعادته ، فهذا قارون الذي آتاه الله المال الكثير، وكان يظن أن سعادته سوف تكون بالمال ، ولكن الله عز وجل ختم حياته بقوله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص:٨١] ،ولقد أحسن

القائل حين قال :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

ومع ذلك فهناك من الناس، من يظن أن السعادة : في تحقيق الشهوات والملذات وإشباع الرغبات، ولذلك يشبعون رغباتهم في المنكرات ، فيشربون الخمور ويرتكبون الزنا، علّهم أن يجدوا سعادة في قلوبهم، ولكن هيهات هيهات ، فقد ورد في بعض الدراسات أن حوادث الانتحار التي يسببها الخمر والمسكرات في العالم : بلغت ٨٠٪ من الحوادث والجرائم والانحرافات، ولقد ثبت بالدليل والبرهان ، أن بعض هذه الجرائم والانحرافات ، قد تكون سببا في هلاك الأمم والشعوب، والأمراض والحروب ، ولهذا سمعنا كثيراً عن هذه الحالات ، فقد قيل : أن رجلاً ذهب في أيام الأعياد ، إلى بلد من البلدان المعروفة بالفساد، وهناك في شقته شرب الخمر، قارورة ثم الثانية ثم الثالثة، هكذا حتى شعر بالغثيان، فذهب إلى دورة المياه أعزكم الله ، أتدرون ماذا حصل له في دورة المياه؟ إنه مات في الحمام ورأسه في المرحاض ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ، ورجل آخر: ذهب يستريح أو يتمشى في أيام الأعياد ، فطلب امرأة حسناء ، ذات منصب وجمال ، فأتت إليه ومارس معها جريمته الشنعاء ، ثم بعد ذلك عاد إلى أهله ووطنه وقد أصيب بمرض خطير ، الإيدز الذي يؤدى به في آخر الأمر إلى الوفاة.

إذا أيها المسلمون: فهل توجد السعادة عند أهل الفجور والمجون ، أو عند أهل القصور والخمور؟ أقول كلا ، إنها لذة فانية، يعقبها ألم وحسرات ، ولكن الزواج المباح في ظل الإسلام ، يعقبه سرور واطمئنان ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا** ﴾ [الروم : ٢١]، وقال ﷺ : **«الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة»** ، وقوله ﷺ أيضًا : **« حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة »** ،ولكن بعض الناس: يبحثون عن السعادة في الشهوة والشهرة والصيت ، ويظنون أن فيها السعادة الأبدية ،

بينما الرسول ﷺ يقول: « **إن الله يحب من عبادة الأخفياء الأتقياء ، الذين إذا حضروا لم يُعرفوا ، وإذا غابوا لم يُفقدوا** » ، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم فهؤلاء هم السعداء ، أما غيرهم من أهل الفجور والمجون والرياضة والفن والخمور،والذين تطاردهم العدسات في كل مكان،ويتبعهم الصحفيون والإعلاميون من مكان إلى مكان ، فهؤلاء يعيشون سعادة وهمية لا حقيقية ، يعيشون حياة البؤس والشقاء ، فهذا أحد المغنين الكبار ، الذي عرف بأغانيه الماجنة ، عاش حياته مريضًا ومات مريضًا ، وعاش وحيدًا بلا زوجة ولا أولاد ، يموت بعد خمسين عامًا ، وهو ما يزال يقول: الحب عذاب ، عذبّ نفسه في سبيل الشيطان إلى آخر لحظة من حياته ، أمّا خالد بن الوليد رضي الله عنه ، « وهو على فراش الموت يقول: والله ما في جسدي موضع شبر،إلاّ وفيه ضربة بسيف ، أو رمية برمح ،وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء » ، فهذا السعيد يريد أن يموت في سبيل الله ، وذلك التعيس يريد أن يموت في سبيل الحب والغرام ، فرق شاسع بين الفريقين: لا يستوي أولئك السعداء ، وأولئك الأشقياء ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧)** ﴾ .

[هود : ١٠٦-١٠٧] .

فيا أيها السعداء: لا تفرحوا كثيرًا في هذه الأيام ، فإنكم مسافرون إلى الله ، وإنكم لن تجدوا السعادة التي تنشدون، إلاَّ في ظل حياة الإيمان، فالحياة بلا إيمان، حياة مذلة وشقاء، والمجتمع بلاء إيمان، مجتمع غابة وإن لمعت فيه بوارق الحضارة، والإنسان بلا إيمان يعيش كما يعيش الحيوان ، قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** ﴾ [محمد : ١٢] ، وخير شاهد على ذلك ، ما يعيشه المجتمع الغربي الكافر، رغم أنهم عمَّروا الحياة ، وصنعوا ودرسوا واخترعوا ، حتى وصلوا إلى الذرَّة ، ولكنهم مع ذلك يعيشون فراغًا إيمانيًا كبيرًا ،

يؤدي بهم في آخر المطاف إلى الانتحار، فيقول أحد العلماء النفسانيين واسمه دايل : إن عدد الأمريكيين الذين يقبلون على الانتحار، هم أكثر بكثير من الذين يموتون بسبب الحوادث والأمراض الفتاكة.

إذاً: السعادة التي يبحثون عنها ، ليست في الزمان ولا في المكان ولا في الأيام ، ولكنها في الإيمان ، كما قال تعالى : ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (١٠٩) ﴾ [التوبة : ١٠٩] ، أمّا أهل الإيمان ، فإنهم يعيشون سعادة لو علم بها الملوك ، وأبناء الملوك ، لجالدوهم عليها بالسيوف ، ولذلك كان عبد الملك بن مروان أحد الخلفاء الأمويين: يتأوه ويقول: يا ليتني لم أتولى الخلافة ، وكان ابنه هشام يقول: عددت أيام سعادتي التي قضيتها في الخلافة ، فوجدتها لا تزيد على ثلاثة عشر يومًا ، وقيل أن أحد الأمراء العباسيين: كان يسكن قصراً منيفًا في بغداد، والناس من حوله مطيعون ، ولكنه مع ذلك لم يكن سعيداً ، فاطل يومًا من شرفة قصره المنيف، فرأى رجلا يعمل حمّالا في السوق ، فكان ذلك الحمال إذا جاء وقت الضحى ، ذهب يتوضأ ثم يصلي ركعتين على نهر دجلة ، فإذا جاء المساء ، ذهب ذلك الرجل إلى بيته وأهله ، عنده قوت يومه وليلته ، فحزن ذلك الأمير على نفسه حزنًا شديداً ، لأنه لم يكن سعيداً،ولأن ذلك الحمال أسعد منه، فترك القصور والدور والإمارة والغرور، وذهب يهيم على وجهه حتى وصل به المطاف إلى بلاد خراسان ، وعمل هناك نجاراً، ليجد السعادة الحقيقة ، التي يسعى إليها الساعون، ويؤملها المتأملون.

[١] **أمّا بلال بن رباح** رضي الله عنه **:** فلم يكن خليفة ولا وزيراً ، وإنما كان عبداً حبشياً، ملأ الله قلبه بالإيمان، فمزج حرارة العذاب بحلاوة الإيمان، فطغت ورجحت حلاوة الإيمان على مرارة العذاب، وأبى أن يقول كلمة الكفر، لأنه يحمل الإيمان ، وكان لا يزيد عن قوله أحدٌ أحد.

[٢] **وكذلك خُبيب بن عدي** رضي الله عنه **:** أخذوه وكبلوه وأخرجوه إلى بطحاء مكة ، وخيّروه بين حياة الإيمان وحياة أخرى ، مليئة بالذل والهوان ، فاختار لنفسه أن يكون شهيداً في ظل حياة الإيمان ، ثم خيّروه مرة أخرى ، أن يسب رسول الله ﷺ ، فأبى وقال :والله لا أحب أن يُشاك محمد ﷺ بشوكة في المدينة، وأنا معافًا سالمًا في أهلي ومالي ، إنها لحياة السعداء .

[٣] **أمّا خالد بن الوليد** رضي الله عنه **سيف الله المسلول:** بعد أن ذاق حلاوة الإيمان في قلبه ، يقول : لغدوة أو روحة في سبيل الله ، أو ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد ، في سرية من المهاجرين والأنصار، لأحب إليَّ من ليلة فيحاء ، يهدى إليَّ فيها بعروس حسناء،ولهذا فإن الروم في معركة اليرموك،قالوا له :يا خالد، تزعمون أنكم متوكلون على الله ، فإذا كنتم كذلك ، فاشرب هذه القارورة المملوءة سُمًّا ، فقال خالد : بسم الله ، توكلت على الله ثم شربها ، ولم يصبه شئ بإذن الله ، ثم سحقهم في معركة اليرموك سحقاً، ودسّ أنوفهم في التراب ، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم ، يعيشون حياة السعداء ، التي حرم منها غيرهم من الأشقياء ﴿ **فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)** ﴾ [آل عمران : ١٧٤].

التفكر في آيات الله تجلب السعادة :

إذا أيها المسلمون: إن كثيرا من الناس اليوم يبحثون عن السعادة ، ويعملون على إشباع رغباتهم وشهواتهم ، علّهم أن يجدوا شيئا منها ، ولكن يجب قبل ذلك : أن تعلموا أن هؤلاء جميعا ، لن يجدوا السعادة التي يسعون إليها ، إلا عندما يلتزموا بأمر الله، وينظروا في آيات الله وفي كتابه، فقد يمر الإنسان على آية واحدة، فيبكي لها بكاء الثكلى على وليدها، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ، يتأثرون من آيات الله ، ويبكون عند ذكرها ، لما فيها من نذير ووعيد ،

ولهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع هذه الآية ﴿**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ** ⑦﴾ [الطور:٧] ،سقط مغشيًا عليه، وبقي في بيته مريضاً، شهراً كاملاً يزوره الناس ، أمّا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: فقد كان صائمًا ، ثم يتذكر آية في كتاب الله : ﴿**إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا** ⑫ **وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا** ⑬﴾ [المزمل:١٢-١٣] ، فيبكي بكاء شديدا ، ثم يقول لهم: خذوا الطعام عني ، فإني لا حاجة لي بطعامكم ، وهذا محمد بن المنكدر: يبكي لآية واحدة ، وفي إحدى المرات ، اشتد بكاؤه حتى أشفق عليه أهله من شدة البكاء ، فسألوه ما الذي يبكيك؟ أمات عليك أحد؟ ، أقتلت نفساً؟، لكنه لم يردّ عليهم ، فأتوا إلى صاحبه أبا حازم ، وقالوا له: إن صاحبك قد أهلك نفسه بالبكاء ، فأتى إليه واسأله ما الذي يبكيه؟ فجاء إليه أبو حازم ، وقال له: يا أبا عبد الله ، ما الذي يبكيك ، لقد أتعبت نفسك وأتعبت أهلك من بعدك ، فقال: يا أبا حازم ، يبكيني قوله تعالى ﴿ **وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**﴾ [الزمر : ٤٧] ، لقد كان يخشى أن يواجه عذابًا يوم القيامة ، لم يكن يتصوره ولا في حسبانه ، ولذلك يبكي خوفًا وحزنًا على نفسه من هذه الآية الكريمة ، أمّا اليوم: فآيات تهز الأرض والجبال ، والسموات والبحار، وما فيها من الكائنات ، والناس عن هذه الآيات مشغولون أو يتشاغلون بأفراحهم وأعيادهم ، وكأنهم أمنوا مكر الله ، أفلا يتذكر أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس من قبورهم لرب العلمين.

فيا أيها المسلمون: إذا أردتم حياة السعداء ، وأن تعيشوا في أمن ورخاء ، فما عليكم إلاّ أن تشرحوا صدوركم لذكر الله، وتنوروا قلوبكم بآيات الله ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد :٢٨] ،وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**سبق المفردون** ، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟، قال: **الذاكرون الله كثيراً والذاكرات** » ، ولهذا فمن أشغل نفسه وقلبه بذكر الله عاش سعيداً ، ومن أعرض عن ذكر الله ، عاش تعيساً بئيسًا ، كما قال تعالى : ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن**

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]، آيات تهز الأرض والجبال،فكيف بهذا الإنسان، الذي جحد نعمة ربه ، وهي تترى عليه بالغدو ولآصال: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) ﴾ [ق: ٦] ،أنواع شتى من المأكولات والمشروبات، سُخرت لهذا الإنسان ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) ﴾ [ق: ٨] ، آيات وعبر، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فقد كان الرسول ﷺ : إذا رأى غيمًا عُرف ذلك في وجهه ، لأنه يخشى أن يكون فيه العذاب ، ولهذا لما خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ خرج من بيته فزعًا ، يخشى أن تكون الساعة ، وعليه إذا سكت الناس عن هذه المنكرات ، التي تسود في هذه المجتمعات ، فما عليهم إلاَّ أن ينتظروا خسف ومسخ وقذف ، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي في سُننه ، قوله عليه الصلاة والسلام : « **سيكون في هذه الأمة: خسف ومسخ وقذف** ، فقال رجل من المسلمين، ومتى ذلك يا رسول الله؟، **قال: إذا ظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور**»،وروى ابن ماجة في سُننه أن رسول الله ﷺ :«**قال ليشربن أناس من أمتي الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، يُعزف على رؤوسهم بالمعازف، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والخنازير**» فنسأل الله عز وجل أن يسلم هذه الأمة من هذه الزلازل والمحن ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



وداع السنة الهجرية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد... أيها المسلمون:

إنكم في هذه الأيام تودعون عامًا هجريًا ماضيًا، وتستقبلون عامًا هجريًا جديداً ، فلا بد من نظرة إلى الماضي للاعتبار والإتعاض بما حدث فيه ، ولا بد كذلك من نظرة إلى المستقبل ، لأن كل ما هو آت فيه قريب ، مهما ظن الإنسان أنه بعيد ، ولهذا قيل: إن مع اليوم غداً ،وإن غدا لناظره قريب، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ** ﴾[النحل: ٧٧]،فذاهب وآت،ومطر ونبات وأرض مدحاة، وأنهار مجراة، وجبال مرساة،وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا يجعلنا ذلك كله، نؤمن ونفكر في هذه الآيات، ولذلك وعظ رسول الله ﷺ أحد أصحابه بقوله: « **اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك** » ، وحذرنا رسول الله ﷺ بقوله:« **لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه،وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه** » ولكن مع الأسف الشديد: فإن كثيراً من الناس اليوم عن هذه الآيات لغافلين ، وعن التذكرة لمعرضين ، كما قال تعالى: ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [الشعراء : ١٣٦: ١٤٠]، وعليه فإن

حوادث الدهر كثيرة، والناس فيها يتخبطون ليل نهار،وصدق رسول الله ﷺ عندما قال :«**ما من عام إلاَّ والذي يليه شر منه ، حتى تلقوا ربكم**» أو كما قال ﷺ .

زوال الإنســـان :

أيها المؤمنون: إن ذهاب الأيام سنة بعد سنة ، وعامًا بعد عام ، دليل على زوال الإنسان من هذه الحياة ، وأن أيامه معدودة وأنفاسه محدودة ، كما قال تعالى :﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** (١٨٥) ﴾ [آل عمران :١٨٥] .

مـــضـى الـدهـــر والأيام حـاصـل ... وجـاء رسـول الموت والقلب غـافل

نعيـمك في الدنيـا غرور وحـسـرة ... وعـيشـك فـيـهـا مـحـال وباطـل

فهذا الإنسان مبتلى بالموت والمرض ، ولا يدري كيف وأين تؤخذ روحه ، هل تؤخذ روحه وهو في حال الصحة والفراغ، أم تؤخذ روحه وهو في حال غربته عن أهله ووطنه ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ** ﴾ [لقمان :٣٤] ، فيا سبحان من أذل بالموت كل جبار عنيد ، وكسر به من الملوك كل بطل صنديد ، أخرجهم من سعة القصور إلى ضيق القبور ، أخذ الأطفال من المهود ، فأسكنهم اللحود ، أين أهل المدن والحصون ، وأين أرباب المعاني والفنون ، أين سليمان عليه السلام الذي آتاه الله مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده ، وأين ذو القرنين الذي بلغ مطلع الشمس ومغربها ، لقد ذهبوا وذهبت بهم الدنيا ، وصاروا عبرة للمعتبرين ، وذكرى للذاكرين ، فأين قوم ثمود وعاد ، وأين الآباء والأجداد ، وأين الفراعنة الشداد ، ألم يكونوا أكثر منا آمالاً ، وأطول آجالاً ، طحنهم الدهر بكلكله ، ومزقهم بتطاوله ، فلو رأيتهم في قبورهم لعجبت من أمرهم ، وقد غير البلى أحوالهم ، ومزق أوصالهم ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله .

زوال الدنيا :

أيها الناس: يجب أن تعلموا أن كل يوم يمر بنا ، فإنه يبعدنا عن الدنيا ويقربنا إلى الآخرة ، قال تعالى : ﴿ **يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ** ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور :٤٤] ، ألم تروا إلى الشمس كل يوم تطلع من مشرقها ثم تغيب ، وفي ذلك أعظم الاعتبار ، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر** » ، ويرى ﷺ أحد أصحابه يرم داره ، فيقول له : «**إن الأمر أقرب من ذلك ، إنما مثلي ومثل الدنيا ، كراكب أستظل تحت شجرة ثم تركها وارتحل**»،ويقول في حديث آخر يوصي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « **يا عبد الله ، كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** » ، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، يقول: « إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك» .

وجاء في الأثر: أنه قيل لنوح عليه السلام ، وقد لبث في قومه ألف سنة إلاَّ خمسين عامًا ، قيل له: كيف رأيت هذه الدنيا؟ ، فقال: رأيتها كداخل من باب وخارج من الآخر ، ولكن مع الأسف الشديد: قد انصرف كثير من الناس اليوم إلى الدنيا ومالوا عن الآخرة ، والله عز وجل قد خيّرهم بين الدارين ، فقال تعالى: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ** ﴿٢٠﴾ ﴾[الشورى: ٢٠]، وقال في آية أخرى ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ** ﴿١٥﴾ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥-١٦] .

فيا من رضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، واطمأننتم بها،وغفلتم عن آيات الله، ألم تسمعوا إلى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ**

الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [يونس : ٧،٨] فاحذروا عباد الله من هذه الدنيا ، ومن شهواتها وملذاتها ، فإن تلك النعم التي آلت إليكم ، قد يكون فيها استدراجًا لكم من حيث لا تعلمون ، ففي مسند الإمام أحمد ، قوله عليه الصلاة والسلام : « **إذا رأيتم الله يعطي العبد من الدنيا ما يحب ، وهو مقيم على معاصيه ، فإن ذلك استدراجًا له** » يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾** ﴾ [القلم : ٤٤ ـ ٤٥] .

تقارب الزمان :

إذًا: فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا أن سرعة التغيير في السنين والأعوام ، علامة من علامات الساعة ، كما جاء في مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة كالشهر ، ويكون الشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ، وتكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كاحتراق السعفة** » وفي آخر الزمان تظهر الفتن التي تموج كموج البحر ، كما بين ذلك النبي ﷺ في صحيح مسلم بقوله : « **بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل** » ، ولهذا فإن الرسول ﷺ لم يترك خيرا قط لأمته إلاَّ ودلهم عليه ، ولم يترك شراً قط إلاَّ وحذرهم منه ، كما قال ﷺ : « **إنه ما من نبي قبلي ، إلاَّ كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها** » ، وجاء في مسند الإمام أحمد قوله عليه الصلاة والسلام : « **إنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء ، كما يتجارى الكلب بصاحبه** » .

ولذلك فخذوا حذركم أيها المؤمنون من هذه الفتن،التي تفتن القلوب والأبدان، وإلاَّ فماذا تنتظرون، هل تنتظرون إلا فقراً منسيًا،أو غنًا مطغيًا، أو هرمًا مفنداً،أو موتًا مجهزاً،أو الدجال فشر غائب ينتظر،أو الساعة فالساعة أدهى وأمر، قال تعالى :﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾[محمد :١٨].

محاسبة النفس :

ولهذا يجب عليكم أيها المسلمون قبل فوات العام ، أن تحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغد حساب ولا عمل ، وعليه فلا يظن الإنسان أنه طليق الاختيار في حياته ، وأنه حر في أيامه ولياليه،أقول:كلا، إنه لا بد له أن يقف للحساب والاستجواب، يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ** (٢٤) ﴾ [الصافات:٢٤] ، يقف الإنسان في قبره طويلا للسؤال والجواب ، كما بين ذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح :« **إذا وضع الإنسان في قبره، يأتيه الملكان منكر ونكير، فيجلسانه ويقولا له: من ربك ؟،وما دينك ؟، ومن نبيك ؟** » ، فأما المؤمن الذي تربى على الإيمان ، وعلى حب الله وحب رسوله ﷺ ، وعلى شهادة التوحيد، فإنه يجيب على الأسئلة مباشرة بدون تأخير، فيقول :ربي الله، وديني الإسلام ، ونبيي محمد عليه الصلاة والسلام ، أما ذلك الكافر والمجرم ، والذي يحارب الإسلام ، وكان يعمل على تشويه صورة الإسلام ، فإنه يتلجلج ولا يستطيع أن يجيب ، فيقول: هاه ، هاه لا أدري ، لا أدري ، فيضرب بمطرقة من حديد ، ثم يقال له: لا دريت ولا تليت ، فيا أيها المسكين: حاسب نفسك قبل أن تحاسب ، وزن أعمالك قبل توزن عليك ، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ،كان يتهم نفسه دائمًا بالتقصير، لذلك يرى يومًا طائراً يطير على الشجر، ويأكل من الثمر، ثم يموت ولا حساب

ولا عقاب فقال: يا ليتني مثل هذا الطائر يأكل ثم يموت،ولا حساب ولا عذاب ، ويقول في موضع آخر:والله لو أعلم أن إحدى رجليّ في الجنة،والأخرى خارجها ، ما أمنت مكر الله ، أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه،كان يحاسب نفسه ويقول:إني وددت أن أنجوا خفافًا،لا لي ولا عليّ، ليت أمي لم تلدني.

التوبة:

إذا أيها المؤمنون: إن لكم عهدًا عند الله ، أن يبدل سيئاتكم إلى حسنات ، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧)** ﴾ [النساء:١٧] ، ولكن هناك من الناس من تمر عليهم السنين، سنة بعد سنة، وعاما بعد عام،وهم غارقون في الذنوب والمعاصي ، وكأنهم أمنوا مكر الله ، ولذلك كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر، كنا نعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات، أي المهلكات،وقال ﷺ في حديث آخر: « **إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن إذا اجتمعن على الرجل يهلكنه**» ولهذا يجب على الإنسان أن يدرك ما بقي له في حياته ، قبل فوات الأوان ، طالما يزال الأمر بالإمكان ، قبل أن يغرغر هذا الإنسان،كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**» ، فإذا وصلت الروح إلى الحلقوم ، فهناك لا ينفع إيمان ولا توبة ، كما جاء في الآية الكريمة : ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)** ﴾ [النساء : ١٨] .

إذا فالبدار البدار أيها المؤمنون إلى التوبة، قبل فوات الأوان، قبل: ﴿ **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ**

مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الزمر: ٥٦-٥٨] .

فيا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان ذا يرجوك إلا محسن ... فبمن يلوذ ويستجير المذنب
ربي دعوتك ما أمنتني تضرعًا ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

مزية شهر محرم :

أيها المؤمنون: يجب أن تعلموا أننا في هذه الأيام ، نستقبل أول شهر مبارك في السنة الهجرية ، ألا وهو شهر محرم ، الذي جعله الله من الأشهر الحرم ، التي يجب على المسلمين تعظيمها ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج:٣٢] ، بل كان أصحاب الجاهلية يعظمون هذا الشهر تعظيمًا كبيرًا ، فكانوا لا يبدءون القتال فيه ، تعظيمًا له وتشريفًا ، ولهذا فإن شهر محرم العظيم ، امتاز على غيره من الشهور والأعوام ، بميزات كثيرة وفضائل جمة ، والتي منها:

[١] **أنه من الأشهر الحرم:** كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ** ﴾ [التوبة : ٣٦] ، **ومن فضائله أيضاً :**

[٢] **أن فيه يوم عاشوراء :** وهو اليوم الذي نجى الله فيه موسى عليه السلام من فرعون ، لذلك شرع الصيام فيه ، عملاً بقول الرسول ﷺ : « **نحن أحق بموسى منكم** » فصامه ﷺ وأمر الناس بصيامه ، كما جاء في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ أمر رجلاً من أسلم أن يؤذن في الناس ،أن هذا اليوم ، يوم عاشوراء، فمن أكل قبل ذلك فليمسك بقية يومه، ومن لم يأكل فليبقى صائما إلى آخر النهار، ولما فُرض شهر رمضان ، قال ﷺ : «**من شاء صامه ومن**

شاء أفطره» .

ولهذا أيها المسلمون: نحن قادمون على شهر كريم ، فيه أعظم رحلة في التاريخ ، قادها محمد ﷺ من مكة إلى المدينة ، تلك الهجرة المباركة ، التي جاءت بعد صبر طويل ، وليل دامس رهيب ، جاءت تحقيقًا لوعد الله القائل : ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴾ [القصص:٥] ، هذه الرحلة المباركة ، التي كانت بداية عهد وعام جديد ، يستقبل فيه المسلمون الأحداث الجسام ، منذ فجر الإسلام وحتى الآن ، ففي السنة الأولى من الهجرة المباركة ، أرادت قريش أن ترتكب خطأ فادحًا ، وعملاً جبانًا ، بقتل النبي ﷺ ، ولكن الله عز وجل يكشف المؤامرة ، التي عقدها كفار قريش مع إبليس اللعين ، فيأتيه الخبر من السماء بقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)** ﴾ [الأنفال:٣٠] ، وفي الغار يبتسم ﷺ ويقول لصاحبه رضي الله عنه : ﴿ **لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ** ﴾ ثم ينزل قوله تعالى تأييداً وتثبيتا لهما ﴿ **إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)** ﴾ [التوبة : ٤٠] ، تلك الأيام التي خلت ، جرت فيها الأحداث الجسام على أمة الإسلام ، أما اليوم فيستقبل المسلمون عامهم الجديد ، بكثير من الآهات والأحزان ، فقتل وتشريد ، وبطش وتنكيل على أمة الإسلام ، تداعت عليها الأمم من كل حدب وصوب ، كما قال ﷺ : «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها** ، قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟، **قال: لا أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل** **اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك** » .

الكسوف والخسوف

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد : أيها المسلمون:

إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله التي تدل على عظمة الله وقوته وقدرته وجبروته ، وعندما يحصل لأحدهما كسوف أو خسوف ، فإن ذلك يعني أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبتلي هذه الآيات بما أجرى عليها من أحكام وعظات، فالشمس التي يستفيد منها الناس تُسلب من خصائصها وطبيعتها التي خلقت عليها ، وكذلك القمر في الليلة الظلماء يصيبه ما أصابها ، إن موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب؟ ، ولهذا كان النبي ﷺ إذا رأى ما يحصل لهذه الآيات الكونية ، يخرج من بيته مسرعاً فزعاً إلى الصلاة ، يخشى على أمته من الهلاك ، ولقد كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فخرج من بيته مسرعاً فزعاً ، يخشى أن تكون الساعة ، وحينها أشيع في المسلمين أن الشمس لم تنكسف في ذلك اليوم إلا حزناً على موت ولده إبراهيم ، فصعد النبي ﷺ إلى المنبر وقال : «**أيها الناس ، إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبّروا وصلّوا وتصدّقوا** » .

القسم بالآيــات الكونيــة :

ثم بعد ذلك إياكم أن تستهينوا بهذه الآيات العظيمة التي عظمها الله عز وجل من فوق سبع سموات ، وأقسم بها في كتابه الكريم ، حيث قال تعالى :

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ ﴾ [الشمس: ١ – ٧] ، وفي آية أخرى : ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ [الضحى: ١–٣] ،وغيرها كثير من الآيات التي أقسم الله بها تعظيماً وتشريفاً لها،ويدخل معها الكثير من الآيات التي نراها ونشاهدها في هذا الكون العظيم الفسيح،منها:الشمس والقمر، والليل والنهار، والسموات السبع ،والأرضين السبع وما فيهن ،كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧ ﴾ [فصلت:٣٧]، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ۝٢٢ ﴾. [الروم : ٢٢].

الحكمة من خلق الآيات الكونية :

إن هذه الآيات رغم أنها عظيمة،ولكنها مع ذلك سخّرت لخدمة هذا الإنسان الضعيف الحقير الفقير إلى الله ، كما قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝٣٣ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤ ﴾ [إبراهيم:٣٤] ، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٤ وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ ﴾ [النحل:١٤، ١٥] ، ومن فوائدها أن فيها أسراراً ومنافع للناس ، فهي التي تضيء لكم بالليل والنهار ، تعرفون بها السنين والحساب ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ

نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [يونس: ٥] .

دعوة إلى التفكر والتأمـــل :

إننا مطالبون بالتفكر والتأمل عند مشاهدة هذه الآيات ، وما يحصل لها من أسرار وخفيات ؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ** (١٩٠) ﴾ [آل عمران: ١٩٠] ، هذه الآية بكى منها رسول الله ﷺ ، فعندما جاء إليه بلال يستأذنه بالصلاة ، قال: يا رسول الله ، تبكي وأنت سيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين؟!، فقال: **يا بلال ، لقد أنزلت عليّ الليلة آيات ، ويل لمن قرأها ولم يتدبرها:** ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ هذه الآية اشتملت على دعوتين: الأولى النظر والتفكر والتأمل،والثانية فيها حث ودعوة إلى ذكر الله، والثناء عليه بالغدو والآصال؛ولهذا كان النبي ﷺ عندما يشاهد هذه الآيات العظيمة ، وما يحصل لها من تقلبات في أحوالها وأفلاكها ،كان يفزع إلى الذكر والصلاة ، وينادي في الناس الصلاة جامعة ، ثم يقول لهم :«**والله ، لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ،ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله** » .

ولهذا لما كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، خرج من بيته فزعاً إلى الصلاة ، يخشى أن تكون الساعة ، ثم قال : «**أيها الناس ، إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبّروا وصلّوا وتصدّقوا** » ثم قال أيضاً : «**لقد رأيت في مقامي هذا كل شيء وُعدتم به ، لقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً أفظع منها** » .

التوبة

إذن أيها المسلمون : ماذا أعددتم لهذه النار ،فإن أجسادكم على النار لا تقوى، أما آن لكم أن تعودوا إلى الله عودة المذنبين التائبين المخبتين ، عسى أن يرحمكم ربكم ،وأن يكفر عنكم سيئاتكم؟!، أما آن لكم أن تستجيبوا لقوله تعالى : **﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) ﴾** [الحديد : ١٦].

أيها الناس، بادروا بالتوبة والأعمال قبل فوات الأوان ، قبل : **﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) ﴾** [الزمر:٥٦ ـ ٥٨] ، «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** » فإذا طلعت الشمس من مغربها ، فلا ينفع هناك إيمان ولا توبة كما قال تعالى : **﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾** [الأنعام :١٥٨] ،وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

نموذج مقدمة :

إن هذه الآيات التي نراها تحدث من حين إلى آخر هي آيات كونية قدرية ، يرسلها الله عز وجل تخويفاً وتحذيراً لعباده المؤمنين ، ولينذر بها أولئك العاصين والمعرضين ، ولهذا لما كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ خرج من بيته مسرعاً فزعاً إلى الصلاة يخشى أن تكون الساعة ، وحينها ، في ذلك اليوم ، وافق

ذلك الحدث موت ولده إبراهيم رضي الله عنه ، فظن المسلمون أن ذلك لم يحدث إلا عزاءً ومواساة للرسول ﷺ، عند ذلك صعد النبي ﷺ إلى المنبر وقال : «**أيها الناس ، إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبّروه وصلّوا وتصدّقوا** » .

غضب الله على العباد :

إن هذه الآيات تجعل الإنسان يفكر كثيراً في عظمة الله وقوته وقدرته وجبروته ، فالله قادر أن يعذب هذه الآيات بما شاء من جنوده وأحكامه ، وبما شاء من الخسوف والمسوخ ، وقد يعرضها للابتلاء في الدنيا،كما يفعل بها يوم القيامة عندما تذوب كما يذوب الملح ،ويصيبها من أمر الله ما يصيبها، قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** (٤٨) ﴾ [إبراهيم : ٤٨] ، أمّا الجبال الصمة الصلبة ، فإنها تسير من مكانها إلى مكان آخر، كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ** (٣) ﴾ [التكوير:٣] ،وفي سورة طه : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا** (١٠٥) **فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا** (١٠٦) **لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا** (١٠٧) ﴾ [طه:١٠٥ - ١٠٧]،ثم بعد ذلك تصير إلى رمال ناعمة لطيفة، كما قال تعالى :﴿ **وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً** ﴾ [المزمل : ١٤]،أما تلك البحار الهائجة والأمواج العالية ، والتي يعيش في بواطنها عالم هائل من الحيوانات البحرية، والتي تغطي الجزء الأكبر من الكرة الأرضية، فإنها في ذلك اليوم تفجّر وتسعر وتشتعل ناراً على أصحابها؛مصداقاً لقوله تعالى :﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ** (٣) **وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ** (٤) ﴾ [الإنفطار:٣،٤] وكذلك السماء في ذلك اليوم تمور موراناً شديداً كما قال تعالى :﴿ **يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا** (٩) ﴾ [الطور:٩] ، فيتغير لونها من اللون الأزرق الجميل إلى ألوان مختلفة باهتة ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ** (٣٧) ﴾ [الرحمن:٣٧] ، قال الحسن

البصري رحمه الله في هذه الآية : ﴿ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ أي تكون ألواناً مختلفة «أي أن هذه السموات السبع وما فيهن من آيات ومخلوقات يصيبها من أمر الله ما يصيبها ، حتى يخالف العادة التي جبلت عليها ، ولذلك نرى أن الشمس والقمر عند كسوفهما وخسوفهما ، تتغير أحوالهما من حال إلى حال ، وما ذلك إلا نذير شؤم وغضب على العباد لما أحدثوه في الأرض من الفساد ، فالله عز وجل عندما يغضب على العباد فإن تلك النواميس الكونية والأفلاك السماوية تخشى على نفسها من الهلاك ، كما قال تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾ [مريم : ٩٠] ، وكذلك النبي ﷺ عندما كان يرى ذلك يخشى على نفسه وعلى أمته من الهلاك ، فيخرج من بيته مسرعاً إلى الصلاة ، يريد أن يخفف من تلك المصيبة وهول العذاب ، فالله يغضب ويغار عندما ينتهكون محارمه في الأرض ؛ ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : **«أتعجبون من غيرة سعد ، فوالله إني لأغير منه ، والله أغير منَّا »** .

الدروس والعبر :

ولهذا يجب على المسلمين أن يعلموا أن الله سبحانه وتعالى مطلّع على أعمالهم ، ولا يغرنهم كثرة الإمهال ، وإنه لمن العيب والعار أن تمر عليهم هذه الأحداث دون الأخذ بالأسباب أو الاعتبار ، فإنه ما من حدث يحصل في هذه البسيطة إلا وفيه ذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين ، وعليه أقول وأؤكد أن هذه الأحداث ما هي إلا :

[١] تعبير عن الغضب والسخط من رب العالمين لما يفعله كثير من الناس في الأرض ، وليس أحداثاً فلكية أو تغيرات مناخية كما يقوله الفلكيون والماديون ؛ لأنهم لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا،وهم عن الآخرة هم غافلون، يعتقدون حسب ظنهم وزعمهم أنها تفاعلات كيماوية أو فلكية ، وهي في الحقيقة ما هي

إلا دليل واضح على أن الله سبحانه وتعالى قد غضب على العباد لما أحدثوا في الأرض من الفساد ، يؤكد ذلك ما حدث في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما رجفت المدينة رجفة شديدة تشبه الزلزلة ، فقال عمر رضي الله عنه : أيها الناس ، ما هذا وما أسرعَ ما أحدثتم! فوالذي نفسي بيده ، لئن عادت لا أساكنكم فيها أبداً .

وقد كان النبي ﷺ إذا شاهد مثل تلك الآيات يخشى أن يكون فيها العذاب ، فقد كان إذا رأى غيماً أو مطراً عرف ذلك في وجهه، فتقول له عائشة رضي الله عنها : «ما لي يا رسول الله ، أرى الناس إذا رأوا غيماً أو مطراً استبشروا ، وإذا رأيت أنت عُرف ذلك في وجهك ؟»، فيقول: «**ياعائشة، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب ؟**» أي قد يكون فيه غضب من رب العالمين ونحن لا نعلم بذلك، ولكن الله عز وجل غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وهناك فائدة أخرى نستفيدها من هذه الحادثة :

[٢] إن فيها تذكير بأمر الساعة وما يحدث في آخر الزمان من الشدائد والأهوال التي أشار إليها النبي ﷺ في كثير من الأحيان ، حيث قال :«**إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، فتجيء الفتنة فيرقق بعضها بعضاً**» وكلما عاش الناس في آخر الزمان كلما تعرضوا لمثل هذه الفتن ، والتي منها الزلازل والمحن ، ومنها الخسوف والمسوخ ، كما قال ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى تكثر الزلازل**» ، وهذا واقع في الأمة لا محالة ، فكل يوم نرى ونسمع عن هذه الزلازل والبراكين ، التي تأخذ الناس بغتة وهم نائمون، لقد أصيب كثير من البلدان بهذه الكوارث التي زلزلت الأرض من تحت أقدامهم ، وحولت جزءاً كبيراً من حياتهم إلى جحيم ، وما ذلك إلا إثباتاً لما جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : «**إن بين يدي الساعة مسخاً وخسفاً وقذفاً** »، وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف**» ، فقال رجل من المسلمين ، ومتى ذلك يا رسول الله؟ ، قال : إذا

ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور » ،وهذا واقع في الأمة لا محالة . وما نراه اليوم يحدث في أمتنا إلا دليل قاطع لما جاء في الأحاديث التي أشار فيها النبي ﷺ إلى زوال الإنسان وقربه من آخر الزمان الذي كثرت فيه الخبائث، وتنوعت فيه الكوارث ، فمرة خسوف ومسوخ ، ومرة زلازل وبراكين ، ومرة أخرى طوفان يعم البلاد والعباد، وهكذا أصبحت هذه الآيات وهذه التغيرات الكونية علامة بارزة على هذا الزمان وسمة تحصل في كل مكان ، ولهذا حذر النبي ﷺ أمته من هذه الكوارث وما يحصل في آخر الزمان، وأنذر عشيرته الأقربين من أهل الجزيرة وما حولها من العربان، حيث قال عليه الصلاة والسلام : **«ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتِحَ الليلة من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه.. وحلّق بين أصابعه»** . فحذاري أيها المسلمون ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا بما فيها من شهوات وملذات ، فإن أموالكم وأولادكم لا تقيكم من عذاب الله ، ولا تقربكم إلى الله زلفى كما قال تعالى: **﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) ﴾** [سبأ : ٣٧] .

الاستسقاء وقلة الأمطار

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ومالك يوم الدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد.. أيها المسلمون :

إن الله سبحانه وتعالى عندما يغضب على العباد ينزل عليهم أنواعاً شتى وألواناً من العذاب والعقاب ، فمرة يبتليهم بالأمراض والحروب ، ومرة أخرى يبتليهم بالجدب والقحط والسنين، وقلة الأمطار ، وغليان الأسعار، وهكذا تتوالى عليهم النعم وتنزل عليهم النقم جراء ما أحدثوه في الأرض من الفساد ، فإن كان خيراً فهو خير لأنفسهم ، وإن كان غير ذلك فلا يلومنّ إلا أنفسهم،قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى : ٣٠] ، ﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴿١٦٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] .

فيا أيها المسلمون : لا تسألوا عما حل بكم وبدياركم من الضيق والجفاف وقلة الأمطار ، فأنتم السبب في كثير من البلايا والمصائب والأحداث : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد : ١١] ، فهذا هو السبب الذي نخشى منه كثيراً ، والذي أوردنا المهالك .

أسباب قلة الأمطار:

ولهذا يجب أن تحذروا من تلك الأعمال التي كانت سبباً في تأخير

الأمطار ، وذلك لأن كثيراً من الناس اليوم قد :

[١] ظلموا أنفسهم بالذنوب والمعاصي، وبما كسبت أيديهم من البغي والفساد ، وقد كان ذلك سبباً في مقت الله وغضبه على العباد ، بل أقول وأجزم أن ذلك هو السبب في قلة الأمطار وغليان الأسعار وما نحن فيه من شدة وضيق ، فإن للذنوب والمعاصي أثر كبير على حياة الناس ومعايشهم وأرزاقهم ، منها : حرمان أسباب الرزق ونزع البركة منه ، كما جاء في مُسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال : «**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه** » ولهذا يقول أحد السلف : «**ما عصيت الله مرة إلا رأيت ذلك في خلق دابتي وأهلي**» ولكن بعض الناس يجهلون هذه الحقيقة ، ويجهلون أن سعة الأرزاق لا تكون إلا في بركتها ، وليس في نمائها وزيادتها ؛ ولهذا وعد المتقون والمؤمنون القائمون على حدود الله بسعة أكبر في أرزاقهم وحياة أفضل ،كما قال تعالى : ﴿ **وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦)** ﴾ الجن: ١٦]، وقال أيضاً في آية أخرى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [الأعراف :٩٦]، ولكن أهل القرى كذبوا وأعرضوا، بل مارسوا أنواعاً شتى من الجرائم والمنكرات ؛ ولذلك حرموا الأرزاق ، وحرموا الأمطار ، وحرموا العلم والنور الذي يأتيهم من الله سبحانه وتعالى ؛ لأن المعصية تورث في قلب صاحبها ظلاماً وتطفىء ذلك النور الذي يأتيه من الله ، **كما قال الإمام الشافعي رحمه الله :**

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتى لعاصي

إذا يجب على المسلمين أن يعلموا أن مظاهر الفساد ، وانتشار الظلم والإلحاد سبب لما هم فيه من الضيق وقلة الأمطار . فوالله ، ما ظهر الزنا والخمر والمعازف في أمة من الأمم إلا وظهر فيها الغلاء والبلاء ، وانتشر فيهم الأمراض والحروب التي

لم تكن معروفة في أسلافهم ، كما قال ﷺ : «**لم تظهر فاحشة قط في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن معروفة في أسلافهم**» وما هذه الحروب الطاحنة ، ومصائب الحالة الراهنة، والفتن التي تموج كموج البحر، والآفات التي في هذا الدهر؛ إلا نتيجة للأخلاق الفاسدة والإعراض عن تعاليم الكتاب والسُّنَّة ، شاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ (٤٥)** ﴾ [إبراهيم:٤٥] ، وجاء عند الطبراني وغيره أن النبي ﷺ قال : «**ما طفَّف قوم كيلاً ، ولا بخسوا ميزاناً إلا منعهم الله عز وجل القطر من السماء ، وما ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت والأمراض التي لم تكن معروفة في أسلافهم**» وعليه إذا انتشر الفساد ، وظهر الإلحاد ، وتجاهر الناس بالمعاصي والذنوب ؛ فغيرُ عزيز على الله أن يخسف بهم الأرض ، أو يرسل عليهم حاصباً من السماء ، أو يهلكهم بالأمراض والحروب ؛ وصدق الله إذ يقول : ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾ [الانعام : ٦٥] ، لأن الله عز وجل قد حذر القرى التي كفرت بأنعم الله ، واستحلت محارم الله ، حيث قال تعالى : ﴿ **أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)** ﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩] ، وجاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : «**توشك القرى أن تخرب وهي عامرة . قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟! قال : إذا علا فجارُها أبرارها ، وساد القبيلةَ منافقوها**» ، وقد حدث أن تزلزلت الأرض على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: «**أيها الناس ما هذا ؟!، وما أسرع ما أحدثتم !، فو الذي** نفسي بيده ، لئن عادت لا أساكنكم فيها أبداً » ، أي أنه سيخرج من المدينة المنورة ، مدينة الحبيب محمد ﷺ ؛ليقينه المسبق بان الله سبحانه وتعالى لا يرسل

هذه الآيات وهذه الزلازل والمحن إلا تعبيراً عن غضبه وسخطه على العباد ، لذلك كان النبي ﷺ إذا رأى غيماً عرف ذلك في وجهه ، فإذا نزل المطر استبشر خيراً ، وكان إذا رأى الكسوف أو الخسوف يفزع إلى الصلاة ، ثم يخرج من بيته فزعاً مسرعاً ، يخشى أن يحل بهم العذاب . أما اليوم فكم من الآيات ! وكم من الزلازل والفيضانات تحل بهم أو قريباً من دارهم ثم لا يؤمنون ولا هم يذكرون ! وفي الآخرة هم الأخسرون . **وكذلك من الأسباب التي ساهمت في قلة الأمطار ومنع البركات من السماء :**

[١] الاستهانة والاستخفاف بالنعم ، وعدم الشكر لمن أوجدها وأسبغها قال تعالى : ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل : ١٨] ، وقال تعالى عن كفار قريش الذين جحدوا نعمة الإيمان : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ** ﴿٢٨﴾ ﴾ [إبراهيم : ٢٨] ، أي ألـم تعلم يا محمد ، أن الله سبحانه وتعالى أسبغ النعم على أهل مكة ،منها : نعمة الإيمان ، ونعمة الرزق في طيب العيش والمقام ، فكانوا يذهبون في رحلة الشتاء والصيف إلى اليمن والشام ، ويأتون بالأرزاق من كل مكان ، ولكنهم مع ذلك أعرضوا وكذبوا ولم يقابلوا تلك النعم بالجزيل والشكران ، فأحلوا قومهم دار البوار ، وكذلك أهل سبأ الذين كانوا يعيشون في نعمة ورخاء ، وقد سخرت لهم البساتين الجميلة الخضراء ، حتى قيل : إن المرأة كانت تضع على رأسها وعاء ، ثم تمر بين الأشجار ، فإذا تلك الثمار تتدلى وتسقط في ذلك الوعاء ، ولكنهم مع ذلك لم يشكروا نعم الله عليهم، بل أعرضوا وكذبوا وجحدوا تلك النعم التي آلت إليهم ، فانظروا بعدها ماذا حل بهم وبدارهم وجناتهم وبساتينهم ، كما قال تعالى : ﴿ **وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ** ﴿١٦﴾ **ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ** ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ : ١٦ - ١٧] .

إذن أيها المسلمون: إياكم أن تقابلوا نعم الله عليكم بالجحد والنكران ، أو

تقابلوا الطاعة بالعصيان ؛ لأن الله عز وجل قد حذركم بقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ⑦ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

ولهذا يجب أن تعلموا أن هذه النعم عندما لا تجد شكراً فإن الله عز وجل يحولها إلى نقم أو عذاب،كما جاء عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال :« **إن الله ليمتّع بالنعمة ما شاء له أن يمتع ، فإذا لم يجد شكراً واعترافاً بها ، قلبها عليهم عذاباً** » ،ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ : « **اللهم إني أعوذ بك من فجاءة نقمتك ، وزوال نعمتك ، وتحوّل عافيتك وجميع سخطك** » وكان ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، فتقول له عائشة : لمَ تفعل بنفسك هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيقول لها : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من عباده الشاكرين الذاكرين .

وكذلك من الأسباب التي ساهمت في قلة الأمطار واحتباس الخير عن الناس:

[٣] انتشار الأخلاق السيئة ، كالحقد والحسد ، والغيبة والنميمة ، وغيرها من الأخلاق المذمومة ،ولذلك يجازيهم الله أسوأ ما كانوا يعملون، فيحبس عنهم من رحمته وبركاته كما حبسوها على أولئك الضعفاء والفقراء والمساكين ؛ لأن هذه الأمطار تنزل بالرحمة والإحسان،وتعبر عن أسمى آيات الرحمة، وأولئك لا يستحقون تلك الرحمة ؛ لأن قلوبهم قد ملئت حقداً وحسداً على المسلمين ، ولذلك قد يفاجئون بالعذاب وهم ينتظرون رحمة الله تنزل عليهم ، كما قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: « **يا عائشة ، ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب** » .

لقد استبشر قوم بالخير والمطر وفيه العذاب : ﴿ **قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا** ﴾ [الأحقاف :٢٤]، فهلكوا جميعاً عن بكرة أبيهم .لقد نصب لهم الفخ على هيئة تشبه المطر ، وتم استدراجهم من حيث لا يعلمون، كما قال تعالى : ﴿ **فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ** ㊹ **وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ** ㊺ ﴾ [القلم : ٤٤ ، ٤٥] .

إذن أيها المسلمون ، اعلموا يقيناً أنكم لن ترزقوا الخير والقطر من السماء ما دام الغل والحقد والحسد ساري المفعول بينكم، وجاثماً على قلوبكم وصدوركم؛ لأنها قلوب مريضة أصابها الحقد والغل والحسد، وختم عليها الران ، فيأبى الله إلا أن يذل من عصاه ؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صوركم ولا أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، فأروا الله من أنفسكم خيراً وطهروا قلوبكم من هذه الأمراض التي بسببها حُرِمَ الناس خيراً كثيراً ، واحتبس عنهم غيث الرحمن ، قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

هذه بعض الأسباب الرئيسية التي ساهمت في قلة الأمطار، وهناك أسباب أخرى يظهر فيها التسليم والانقياد وتحقيق العبودية لله رب العالمين ، منها على سبيل المثال : ما يحصل الآن من الجفاف وقلة الأمطار .

[٤] **وقد يكون ذلك ابتلاء وامتحاناً للمؤمنين :** كما حصل لهم في عام الرمادة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه رغم أن المسلمين في ذلك العصر كانوا حديثي عهد بالرسول ﷺ ، ويعيشون في خير القرون ، ولكن الله عز وجل ابتلاهم اختباراً لهم وامتحاناً ، أيصبرون أم يسخطون ؟ ، وقد أخبرهم قبل ذلك أنهم معرضون لهذا الابتلاء كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)** ﴾ [البقرة : ١٥٥]. وقد يكون من الأسباب التي يريدها الله في عباده

[٥] **تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى :** فيحثهم على الدعاء وحسن الطلب والالتجاء ؛ لأن الحاجة والافتقار تعلم الإنسان كيف يدعو الله ويتقرب إليه ، كما قال ﷺ : «**ما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي**

يبطش بها ،ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»،إن هذه صفة المؤمن الذي يريد أن يتعرف إلى الله في الرخاء والشدة،ولكن بعض المسلمين ـ هدانا الله وإياهم ـ إذا كانوا في حاجة وضراء يلتجئون إلى الله ويقولون : يا رب يا رب ، فما إن يكشف الله عنهم ، ويقضي حاجتهم ، يعودون إلى كبرهم وغرورهم ، وهذه صفة مذمومة وقبيحة ؛ لأنها من أعمال المشركين في الجاهلية ، الذين قال الله عنهم : ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴿٦٥﴾ ﴾[العنكبوت:٦٥] ، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : «**تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة** » .

أسباب نزول الأمطار :

أيها المسلمون : يجب أن تعلموا أن هذه الأسباب التي ذكرناها سابقاً هي التي ساهمت أو كانت سبباً في شحة المياه ، وقلة الأمطار ، ولهذا يجب على المسلمين أن يستأصلوا مواطن الداء الذي أصاب هذه الأمة ، وأن يستجلبوا رحمة الله عليهم بكل الوسائل الممكنة والشرعية التي تكون مرضية عند ربهم ؛ لأن هذه الشدائد والكروبات لن تزول عن هذه الأمة إلا بثلاثة أمور :

[١] **بالتوبة والاستغفار** : كما جاء في الأثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : «**ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع بلاء إلا بتوبة** » أي كلما عاد الناس إلى الله غشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم البركات ؛ لأن الله عز وجل يقبل توبة التائبين ، ويغفر ذنوب المذنبين ، ثم بعد ذلك يكرمهم في الدنيا والآخرة ، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : «**ما من عبد يذنب ذنباً ، ثم يقوم فيصلي لله ركعتين إلا غفر له**» ، ثم قرأ عليه الصلاة والسلام : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ، ولهذا جاء في الأثر عن

موسي عليه السلام أنه خرج يوماً إلى الصحراء ومعه سبعون ألفاً من قومه يدعون الله أن يسقيهم الغيث ، نتيجة لما أصابهم من قحط وجدب شديد ، وكان من بين الحاضرين معهم رجل عاصٍ ما يزال مصراً على عصيانه ، فلما دعى موسى ربه ، وابتهل إليه ابتهال المذنبين التائبين ، عندها لم تزد السماء إلا تقشعاً ، والشمس إلا حرارة ، أي أن الله سبحانه وتعالى لم ينظر إليه ، ولم يستجب لدعائه ، ولم ينزل عليهم شيئاً من رحماته ، عند ذلك حزن موسى حزناً شديداً ، فأوحى الله إليه : يا موسى ؛ إن في قومك رجلاً عاصياً ما يزال يبارزني بالمعاصي منذ أربعين سنة ، فأخرجه من بين أظهركم . عندها قام موسى عليه السلام ينادي في الناس: يا أيها العاصي الذي بسببك منعنا القطر من السماء ، ومازلت تبارز الله بالمعاصي منذ أربعين سنة ، اخرج من بيننا . فعلم ذلك الرجل أنه المقصود والمطلوب ، فأحس بالذنب والخطيئة ، وتاب توبة صادقة ، لكنه لم يستطع أن يخرج من بين الناس ، خشية الفضيحة والعار، فأدخل رأسه في ثيابه ، وجعل ينادي ربه نداءً خفياً ، ويبكي ويتضرع إلى الله،حتى قبل الله توبته،وما هي إلا لحظات حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، فأمطرت كأفواه القرب الآنية ، فقال موسى عليه السلام : يا رب ، كيف سُقينا وما خرج من بين أظهرنا أحد ؟! قال الله : يا موسى ، سقيتم بالذي منعتم به . أي أن توبته كانت هي السبب في نزول الرحمة عليكم ، كما أن عصيانه كان السبب في احتباس المطر عليكم ، عند ذلك قال موسى عليه السلام : يا رب ، إني أريد أن أرى هذا العبد الطائع . فقال : يا موسى ، إني لم أفضحه وقد عصاني ، فكيف أفضحه وهو يطيعني؟! » .

أيها الإخوة الكرام : إن هذا الموقف العظيم يذكرنا بما يحصل للعبد في ذلك اليوم العظيم ، عندما يأتي ربنا سبحانه وتعالى ويذكر عبده بالصغائر ، والعبد من الكبائر مشفق، حتى إذا ظن أنه هالك، قال الله سبحانه وتعالى : أي عبدي ، إني سترتها عليك في الدنيا ، وهأنذا أسترها عليك اليوم . لقد سلم هذا العبد

بفضل الله ورحمته،أما بنو إسرائيل من قوم موسى فقد سلموا بفضل توبة واحدة .

إذن أيها المسلمون : انظروا إلى التوبة وأثرها على حياة الناس وأرزاقهم ومعايشهم ، فقد كادوا أن يهلكوا جميعاً ؛ لأن فيهم عاصياً واحداً ما يزال مصراً على عصيانه ، ولمّا أعلن توبته وبراءته إلى الله ، رحم الله الجميع ، وعمّهم الخير والبركات ، ونزلت عليهم الأمطار ، ولهذا يجب أن تعلموا أن التوبة والاستغفار سبب لكثير من الخير والمسرات ومجلبة للأرزاق ، كما قال تعالى حاكياً وناصحاً لقوم نوح : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢)** ﴾ [نوح : ١٠ ـ ١٢] ، إن الإنسان قد يحصل على كل هذه الخيرات والمسرات بشيء يسير ، ألا وهو الاستغفار .

وكذلك قد يعالج الإنسان كثيراً من مشاكله وأمراضه :

[٢] بالدعاء : لأن الدعاء سلاح فعال لو صدر من قلب خالص مفعم بالإيمان ، لزال كثير من المشاكل والأحزان ، فبالدعاء تُحل كثير من المسائل والهموم ، كما جاء في الحديث أن أعرابياً دخل المسجد والنبي ﷺ يخطب على المنبر في يوم الجمعة ، فقال : « يا رسول الله ، لقد هلكت الأموال ، وجاع العيال ، وانقطعت بنا السبل ، فادع الله أن يرحمنا . عند ذلك رفع النبي ﷺ يديه إلى السماء وقال : **اللهم اسقنا ، اللهم أغثنا ، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب** ».

قال أنس رضي الله عنه راوي الحديث : والله ، ما تُرى في السماء قزعة غيم ولا سحاب ، فوالذي نفسي بيده ، ما هي إلا لحظات حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل ﷺ عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته ، واستمر ذلك أسبوعاً كاملاً حتى جاء ذلك الرجل أو غيره في الجمعة الأخرى والنبي ﷺ يخطب على المنبر ، فقال : يا رسول الله ، لقد هلكت الأموال ، وجاع العيال ، وانقطعت بنا السبل ، فادع الله أن يرحمنا . فرفع ﷺ يديه إلى السماء وقال: **اللهم حوالينا**

ولا علينا، اللهم على الآكام والضراب ومنابت الشجر. قال أنس رضي الله عنه راوي الحديث : وما هي إلا لحظات حتى خرجنا نمشي في الشمس » .

إذا فالدعاء سلاح فعال ، ولكن لمن يحسن إستخدامه ، اليوم كثير من الناس يدعون الله ، ولكن الله عز وجل لا يستجيب لهم .

نحن ندعو الله في كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروبِ
فكيف يستجيب لنا؟! وقد سددنا طريقها بالذنوب

يقول عليه الصلاة والسلام: «**إن الله لا يستجيب الدعاء من قلب غافل لاه**» فالله عز وجل لا يستجيب الدعاء من أولئك المغفلين ، الذين يحملون قلوباً غافلة لاهية، لأنها قد بليت وصدئت بالذنوب والمعاصي، ثم ذكر ﷺ « **الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذيّ بالحرام ؛ فأنى يستجاب له؟!** » ،أي لا يمكن أن يستجيب الله له وقد باشر هذه المنكرات والمحرمات،وكذلك لا يستجيب الله الدعاء من قلوب غافلة لاهية قد مُلئت حقداً وحسداً على المسلمين .

ولهذا لا يمكن أن تنزل الأمطار على العباد إلا عندما :

[٣] تسود الرحمة فيما بينهم، وينشرون العطف والحنان ؛ لأن الله عز وجل لا ينزل رحمته إلا على رحيم كما قال ﷺ : «**والذي نفسي بيده ، لا يضع الله رحمته إلا على رحيم** » ، وقال أيضاً في الحديث الآخر : «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** » ، وهذا شرط لابد من تحقيقه ، أي أن هذه الخيرات والمسرات لا يمكن أن تصلوا إليها ما لم تنشروا الرحمة فيما بينكم ، وإلا كيف نريد من الله عز وجل أن يرحمنا، أو ينزل علينا غيثاً من السماء ، ونحن لا نتراحم بيننا ؟! ، كيف نريد من الله أن يرحمنا ، ونحن لم نرحم أنفسنا ؟! ، كيف نريد من الله أن يرحمنا ونحن لم نؤد حقوق إخواننا ، ولم نحسن إليهم ؟! ، وقد أُمرنا أن نفعل ذلك ، كما في قوله ﷺ : «**أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس** ،

وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً » ، وقال ﷺ في حديث آخر : «المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » ولكن مع الأسف الشديد ، كم أضاع المسلمون اليوم بينهم من أموال وحقوق ! وكم هتكوا بينهم من أعراض وأستار ! والله عز وجل ما يزال يسترهم ويرحمهم ، وهو القوي الجبار ، العزيز الغفار . لقد أخذ كثير من المسلمين اليوم حقوق إخوانهم الفقراء والمساكين ، واستبدوا بها ، ثم بعد ذلك يريدون من الله عز وجل أن يرحمهم ، أو ينزل عليهم غيثا وأمطاراً من السماء ، وما علموا أن هذه الخيرات والمسرات والأمطار لا تنزل على هذه الأمة إلا رحمة بضعفائها ، كما قال ﷺ : «وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» رواه البخاري،وعليه نقول ونجزم أن الخير الذي تنعمون به لا يأتيكم إلا بتحقيق هذه الرحمة بين أفراد المسلمين وطوائفهم ، وأن يحسنوا إلى إخوانهم وجيرانهم ، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام لصاحبه أبي ذر رضي الله عنه : «يا أبا ذر ، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك » ، ولكن مع الأسف الشديد بعض المسلمين اليوم لم يحسنوا إلى جيرانهم وإخوانهم ، ولم يعملوا بهذه التوجيهات والتعاليم النبوية ، بل مارسوا على إخوانهم أنواعاً شتى من الإيذاء والشرور ! ويا ليتهم سمعوا كيف أقسم النبي ﷺ بقوله : «والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن . قيل : من يا رسول الله ؟! ، قال : من لا يأمن جاره بوائقه » ، أي شروره وأذاه ، ولذا يجب أن تصلحوا قلوبكم ونياتكم نحو إخوانكم وذويكم ؛ حتى يرحمكم الله برحمته ، وينزل عليكم من خيره وفضله . اللهم أرسل السماء علينا مدراراً ، وأمددنا بأموال وبنين ، وأسبغ علينا النعم ، وأزل عنا النقم ، اللهم إن بالعباد والبلاد من الشدة واللأواء . . .

نمـــوذج مقدمــــة :

أيها المسلمون : إن ما أصابكم اليوم من جهد وجدب وقحط وشدة ولأواء ، قد أصاب المسلمين من قبلكم في عهد رسول الله ﷺ ، وتأخر المطر عنهم لأيام أو شهور ، وألحق بهم ذلك الجفاف أضراراً كبيرة في حياتهم ومعايشهم وأرزاقهم. ولـمّا اشتد بهم الأمر،وضاق عليهم الحال؛تقدم أحد المسلمين إلى رسول الله ﷺ ، وشكا إليه ما حل بهم من سوء وأضرار ، فقال : يا رسول الله ، لقد جاع العيال ، وهلكت الأموال ، وانقطعت بنا السبل ، فادع الله أن يغيثنا . عند ذلك رفع النبي ﷺ يديه إلى السماء يستسقي ربه . وكان ذلك في يوم الجمعة ، واكتفى بالدعاء لهم دون الصلاة . وثبت عنه ﷺ أنه وعد الناس يوماً يخرجون فيه إلى مصلى العيد ؛ لكي يصلي بهم صلاة الاستسقاء ، ولما طلعت الشمس خرج من بيته ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : « خرج بنا رسول الله ﷺ يوماً إلى المصلى ، فصلى بنا ركعتين بلا أذان ولا إقامة ، ثم خطبنا ﷺ وما يزال يرفع يديه بالدعاء حتى رأينا بياض إبطيه عليه الصلاة والسلام ، ثم قلب رداءه ، فجعل الأيمن على الأيسر ، والأيسر على الأيمن ، ثم بعدها أنشأ الله سحابة في السماء ، فرعدت وبرقت ثم أمطرت ولم يأت ﷺ إلى بيته ومسجده حتى سالت السيول ، وجرت الأنهار ، وأسرع الناس إلى بيوتهم ومكانّهم ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال : **«أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وأني عبد الله ورسوله»** رواه أبو داود ، **إن هؤلاء القوم تعرفوا إلى الله في الرخاء ، ولذلك عرفهم الله في وقت الشدة :** ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٣] ، واستمروا على ذلك حتى بعد وفاة النبي ﷺ ، وبالتحديد في عام الرمادة لـمّا أصاب المسلمين ما أصابهم من قحط وجوع ، وقلة في المال والأمطار ، وضيق في الحال ؛ ولهذا

ياترى في هذا الموقف العصيب ماذا فعلوا ؟ ،وإلى من توجهوا ؟،لقد توجهوا إلى رب الأرباب ، وخالق الأسباب ، ومجري السحاب ، وثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يستسقي بعم الرسول ﷺ العباس بن عبد المطلب ، وكان يرفع يديه إلى السماء ويقول : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك ﷺ فتسقينا ، وها نحن اليوم نتوسل بعم رسولك محمد ﷺ . وعندها كانوا يمطرون ، وتتنزل عليهم الرحمات من ربهم .

ما عليه المسلمون اليـــوم :

أما اليوم فقد ظلموا أنفسهم بما كسبت أيديهم من البغي والفساد ، وكان ذلك سبباً في قلة الأمطار وغليان الأسعار ، وما نحن فيه من شدة وضيق ؛ ما ذلك إلا نتيجة لما أحدثوا في الأرض من الفساد ، فاستحقوا هذه العقوبات ، واستحقوا المنع والحرمان من كل خير يأتيهم وأرزاق، قال تعالى :﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** (٤١) ﴾ [الروم : ٤١] ، ولهذا استيقظ النبي ﷺ ليلة محمراً وجهه يقول : « **ويل للعرب من شر قد اقترب ، فُتِحَ الليلة من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه .. وحلّق بين أصابعه** » وفي حديث آخر قام النبي ﷺ في ليلة من الليالي وهو يقول : « **سبحان الله ! ، ماذا أنزل من الخزائن ! ، وماذا أنزل من الفتن ! ، من يوقظ صواحب الحجرات ؛ لكي يصلين ، ربّ كاسية في الدنيا ، عارية الآخرة** » .

إن هذه البلايا والمحن التي تصيب هذه الأمة ، ما هي إلا من عند أنفسنا : ﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ** ﴾ .

[آل عمران : ١٦٥] .

إذن نحن السبب ، وليس أحداً غيرنا . وإذا أردتم أن تعرفوا هذه الحقيقة ، فانظروا إلى حياة المسلمين الأوائل في وقت الأزمات ماذا كانوا يفعلون؟.. كانوا

يلتجئون إلى الله ، ويمدون أيديهم إليه ، فقد كان النبي ﷺ يرفع يديه إلى السماء ويقول : اللهم إن بالعباد والبلاد من الجهد والشدة والضنك ما لا يعلمه إلا أنت . وما هي إلا لحظات حتى يرسل السماء عليهم مدراراً ، ويجعل لهم في الأرض جنات ، ويجعل لهم أنهاراً ، ويستمر عليهم ذلك الخير حتى يخشى الناس على أنفسهم وأموالهم من الهلاك .وقد كان من هدى النبي ﷺ عند نزول المطر أن يحسر عن ثوبه ورأسه حتى يصيبه شيء من المطر ، كما جاء عند مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ كان يتمطر في أول المطر ، أي يخرج بين المطر في أوله فسئل عن سبب ذلك ، فقال : «**لأنه حديث عهد بربه**» .

وكان ﷺ يخرج معه الأطفال والشيوخ والنساء يتوسّل بهم إلى الله، كما جاء في الحديث : «**لولا شباب خُشّع ، وشيوخ رُكّع ، وأطفال رُضّع ، وبهائم رُتّع ؛ لصب عليكم العذاب صبًّا** » رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط ، ويُسنّ كذلك لمن أغيث بالمطر أن يقول : مُطرنا بفضل من الله ورحمته ، ويحرم عليه أن يقول : مُطرنا بنوء كذا وكذا . ومن رأى سحابة يسن له أن يقول : «**سُقيا رحمة لا سُقيا عذاب**» ، وروى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ كان إذا رأى عاصفة أو ريحاً شديداً يقول : «**اللهم إني أسألك خيرها ، وخير ما فيها ، وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها ، وشر ما فيها ، وشر ما أرسلت به**» ، وكان إذا سمع البرق أو الرعد يقول : «**سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكه من خيفته** » ، وفي حديث آخر رواه الترمذي في سننه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد أو البرق يقول : « **اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك** » .

ولذا حرّي بالمؤمنين أن يستغلوا هذه الأوقات الطيبة التي يستجيب الله دعاءهم فيها ، فإن لله نفحات من رحمته ، يصيب بها من يشاء من عباده ، فأحسنوا الطلب . وحُسن الاختيار عند ثلاثة أمور كما قال ﷺ : «**اطلبوا**

استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وعند إقامة الصلاة، وعند نزول الغيث » رواه الشافعي في الأم،وروى البيهقي بسند ضعيف: «**الدعاء لا يُرد عند النداء، وعند البأس ، وتحت المطر** » ، وفي الحديث الآخر : «**يُستجاب الدعاء في أربعة مواطن : عند التقاء الصفوف ، وعند نُزول الغيث ، وعند إقامة الصلاة ، وعند رُؤية الكعبة** » .

نماذج من الدعاء في الاستسقاء:

إذًا : فالمسلمون مطالبون بأن يقفوا بين يدي الله خاشعين خاضعين، متذللين، رافعين أكف الضراعة إليه ، عسى الله أن ينزل علينا غيثاً من عنده رحمة بأولئك الأطفال الصغار ، الذين لم يرتكبوا إثماً ولا ذنباً ، ولم يصيبوا حراماً ، فادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

✿ اللهم يا حيّ يا قيوم ، يا أرحم الراحمين ، يا مغيث أغثنا برحمتك ، اللهم اسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم اسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من اليائسين ، اللهم اسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من البائسين ، غيث الإيمان في قلوبنا ، وغيث الرحمة في أوطاننا يا أرحم الراحمين ، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً ، هنيئاً مريئاً ، غدقاً طبقاً مجللاً ، نافعاً واسعاً مباركاً إلى يوم الدين .

✿ اللهم إن بالعباد والبلاد من الجهد والضنك والشدة واللأواء ما لا نشكوه إلا إليك ، ولا تعلمه إلا أنت ، اللهم أنبت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع وأنزل علينا من بركات السماء ، وأخرج لنا من بركات الأرض ، واجعل ذلك عوناً لنا على طاعتك ، وبلاغاً إلى حين .

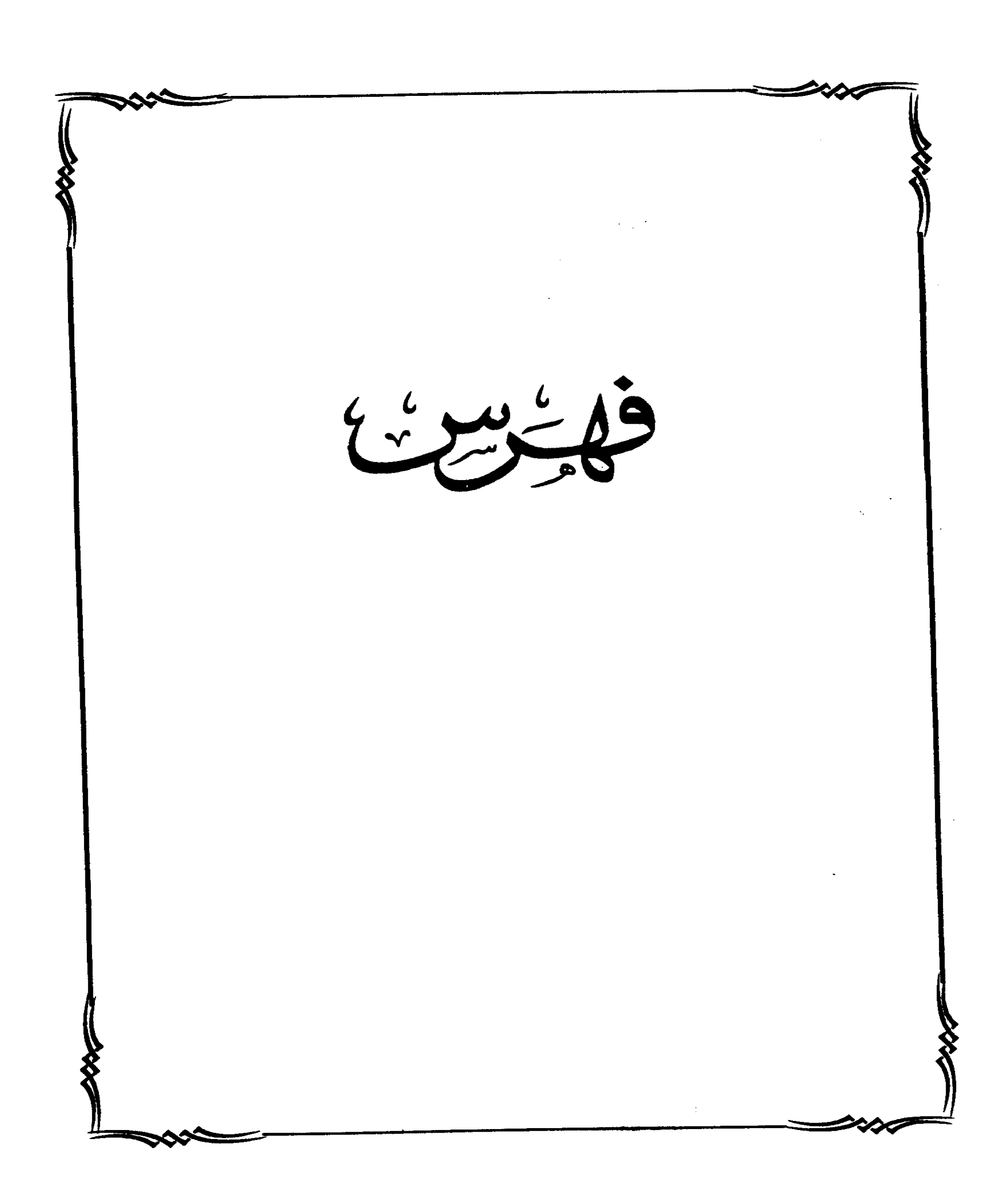
✿ اللهم اسق عبادك الرُّكع ، وبهائمك الرتّع ، وأطفالك الرضّع ، وكن بهم رحيماً وحافظاً ومعيناً ، اللهم سُقيا رحمة لا سُقيا عذاب ولا هدم ولا غرق .

❁ اللهم إنا نستغفرك إنك كنت بنا غفاراً ، فأرسل السماء علينا مدراراً ، وأمددنا بأموال وبنين ، اللهم لا تردّنا خائبين ، ولا عن بابك مطرودين ، وهب المسيئين منّا للمحسنين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة :

وأخيراً أيها المسلمون : لقد كان من سُنَّة نبيكم محمد ﷺ ، بعدما يستغيث ربه في حالة الاستسقاء ، يقلب رداءه الأيمن على الأيسر ، والأيسر على الأيمن ، فاقلبوا أرديتكم اقتداءً بسُنَّة نبيكم محمد ﷺ ، وتفاؤلاً أن يقلب الله أحوالك من الشدة إلى الرخاء ، ومن الضعف إلى القوة ، ومن الاهانة إلى العزة والرفعة ، ومن القحط إلى رغد في العيش وخير عميم ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، والله الموفق .




فهرس



فهرس

رقم الصفحة



من أحدث مطبوعات دار الإيمان

الخطيب الناجح

الرقائق والإيمانيات

كتبه
محمد ناجي سنان
عفا الله عنه



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

الخطيب الناجح

مواضيع منوعة

كتبه

محمد ناجي سنان

عفا الله عنه

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

